اعلام
الهدى بغرب إفريقيا

تأليف الأستاذ
محمّد جوف بن تفسير باب البرنيّ

الطبعة الأولى سنة 1999م السنغال

محتويات الكتاب

نبذة تاريخية عن السنغال 2

الفصل الأول

1 ــ مقدمة المؤلف : 9

2 ــ مناهج إسلامية لإختيار القادة والساسة 42

3 ــ مجاملة واستهزاء مقنع أساس العلاقات : 49

4 ــ مناهج إستعمارية موروثة لإختيار القادة والساسة : 53

5 ــ سقوط النظام المسيحي الفرنسي سنغور بعد نصف قرن من فرضه : 57

الفصل الثاني

الديانات الإفريقية (المعتقدات) 64

كلمة عن الأعلام :.. 65

الفصل الثالث

* **الإسلام : ....** 91

1 ــ كيفية وصول وانتشار الإسلام في السنغال : 92

2 ــ كيفية أداء شعائر الإسلام : 98

3ــدور مدارس القرآن في تربية النشء وتكوين الأطر والأئمة الأعلام:...100

4 ــ دور المساجد والجوامع وزوايا زعماء الطرق الصوفية : 101

5 ــ دور السلطة الحاكمة : 102

6ــ الجانب العلمي التطبيقي لشعائر الدين : 104

****

7 ــ الأعياد والحفلات الدينية : 112

8 ــ أعياد أخرى رسمية غير إسلامية : 113

9 ــ الإسراء والمعراج والعظات المستمدة منهما : 114

10 ــ توقيت حادثة المعراج : 115

11 ــ طبيعة الإسراء والمعراج وحكمهما : 116

12 ــ الإسراء والمعراج : 117

13 ــ حكم وقفاته أثناء الإسراء والمعراج : 118

14 ــ سند الإسراء والمعراج قرآنيا وسنة : 119

15 ــ آراء حول كيفية وقوع الإسراء والمعراج : 120

16 ــ سرد الحادثة حسب الروايات : 121

17 ــ تصوير الإسراء والمعراج من القرآن : 122

الفصل الرابع

1 ــ التربية ووسائلها البشرية والمادية : 124
2 ــ الوسائل البشرية : 125
3 ــ مصادر التربية الإسلامية : 129
4 ــ مناهج التربية قبل ، أثناء وبعد الإستقلال : 130
6 ــ المعلمون وكيفية إختيارهم : 131
7 ــ إختيار المعلمين بع الإستقلال : 132
8 ــ دور الآباء في تربية الأبناء : 140
9 ــ العناية بمرافق التربية والتعليم : 140
10 ــ المدرسة العامة والحرة : 142

الفصل الخامس

* **الإستعمار الفرنسي** (1891-1960) : 146
1 ــ إنقلاب الوضع إلى إحتلال حقيقي : 148
2 ــ المقاومة ضد الإحتلال الفرنسي : 152
3 – االمقاومة الوطنية والدينية : 153
4 ــ من هم هؤلاء الأعلام : 154
5 ــ الديانة المسيحية : 155
6 ــ وسائل التمسيح والتنصير : 155
7 ــ الإحتكار المسيحي : 159
8 ــ معاقل المسيحية بالسنغال : 162
9 ــ كاسمانز ودور المسيحية فيها : 163
10 ــ تولية المناصب والوظائف للمسيحيين : 164
11 ــ المسيحية ومبدأ فصل الدين بالدولة : 168
12 ــ إسلامية النخبة المثقفة بالفرنسية : 171
13 ــ آثار المسيحية في الشباب : 175
14 ــ تسلل المسيحية في السنغال : 176
15 ــ الخلاصة : 180

الفصل السادس

* دراسة حياة ومنجزات بعض الأعلام : 183

الأول

الشيخ عمر الفوتي (1797-1864) : 183
1 ـــ مولده، دراسته وإرهاصات جهاده : 183
2 ـــ مراسلاته ومؤلفاته : 198
3 ـــ شهادات حول جهاده وشخصيته : 206
4 ـــ أساس شرعية جهاده : 209
5 ـــ مجال جهاده :. 213
6 ـــ شيخ عمر الفوتي سلطان الدولة الإسلامية : 219

الثاني :

– ابن مقداد سك (1826-1880) 224

الثالث :

– ابن مقداد سك الإبن (1867-1943) 228

الرابع :

– الشيخ موسى كمرا (1867-1945) 231
– مولده، دراساته، مؤلفاته، شهادات أهل العصر عن علمه ومقامه:.231

الخامس :

– الحاج مالك سه (1858-1922) 239
1 ـــ حياته، مؤلفاته وملخص جوهرة الكمال : 240

السادس :

– الإمام مبه جغ به (1809-1867)..................................256

السابع :

– القاضي مجغت كلا المتوفى سنة 1902م :.........................257

الثامن :

– الإمام لاي تشاو (1842-1909) : 263

التاسع :

– الحاج عبد الله انياس المتوفى سنة 1922م. :.......................268

العاشر :

– الشيخ حمى الله المتوفى سنة 1943م : 274

الحادي عشر :

– الشيخ أحمد بنب بكّ (1853-1927) : 276
1 ـــ نشأته المريدية وتطورها : 277
2 ـــ مؤلفاته وبعض منجزاته :.......................................286

الثاني عشر :
– الشيخ أحم صغير امباي : (1860-1945) : 290
1 ــ الإنسانية في مواقفه : 292
الثالث عشر :
– الشيخ أحمد صغير (1909-1988) : 295
1 ، مولده وأصول أسرته . ض. : 296
2 ــ دراساته : 298
3 ــ نشأة المدرسة وتطورها (في 12 من ربيع الأول سنة 1939) :...300
4 ــ ظروف نشأة المدرسة والعقبات التي واجهتها : 301
5 ــ أسباب تطورها وازدياد روّادها : 303
6 ــ مراحل الدراسة فيها : 309
7 ــ المرحلة الأولى لتعليم القرآن : 311
8 ــ كيفية التعليم في المرحلة الأولى : 315
9 ــ المرحلة الثانوية والأخيرة : 318
10 ــ سنكى الطلبة : 320
11 ــ معدل سنوات الحفظ : 322
12 ــ عدد خريجي المدرسة من إنشائها ومصيرهم المهني : 325
13 ــ مصادر تمويل المدرسة القرآنية بكوكي : 328
14ــ الفصل الرابع عشر : الشيخ احمد تيجان سي.................. 219
15 ــ الفصل الخامس عشر : الرئيس ليووبول سيدار سينغور....... 226
16 ــ الفصل السادس عشر : الختام.............................. 232

السيرة الذاتية للمؤلف

ولد محمد جوف بن تفسير باب البرني بمدينة كـساس بتـاريخ 13 أكتـوبر 1941م ، وكان والده المولود سنة 1908 مدرسا لعلوم القرآن : التوحيد ، والفقه ، والقصص، والنحو واللغة والأدب العربي . وهو من خريجي زاويـة الحـاج مالـك بسانلويس ، كما يعتبر من كبار مقدمي الخليفة أبي بكر الذي أرسله إلى إقلـيم سـين سالم لنشر علوم الشريعة واللغة العربية، وبقي بفاس كـان وكـساس مـن 1935 م 1945م

رجع بعدها إلى موطنه الأصلي مدينة برن نهائيا بالتاريخ المذكور أعلاه . ولم يغادرها حتى توفي سنة 1988 ودفن بها رضي الله عنه وكانت أم المساكين حريمته جارية جوب أم محمد جوف صاحبت الشيخ في هذه الرحلة العلمية الشاقة التي تمـت بأمر من الخليفة أبي بكر سه وبإشارة من الشيخ إبراهيم جوب عميد قراء ومدرسـي زاوية الحاج مللك بمدينة اندر، وقد التقى أثناء دراساته بشخـصية نـادرة الوجـود جمعتهما ظروف الدراسية بقرية كنت جوب وراء مدينة لوغا ، وترافقا إلى قرية انكي بيي لدى الشيخ إبراهيم جوب بأندنر هذه الشخصية هو أصدق معارفه وهـو الـشيخ أحمد صغير لوح (1903 1988) مؤسس معهد تحفيظ القرآن وتعليم اللغة العربيـة بكوك المحروسة رضي الله عنهم . حفظ المؤلف القرآن لدى الشيخ أحمد صغير بكوك من سنة 1948 إلي 1957 م ، وصححه رسما وتجويدا لدى الشيخ أحمد الأمين كـب بتواون تحت إشراف الخليفة العام الحاج عبد العزيز سه دباغ ، وانتهـت عمليـا ت التصحيح سنة 1958 ، شرع إثرها في دراسة علوم الشريعة واللغة العربية لدى والده بمدينة بارني ثم بعد ذلك إلى فاس برفقة زملاء منهم الشيخ أحمد تيجـان انـدوي وأمبي اندوي ، ومحمد اندور من تيس، ونوح صامب من امبور، والأخ مصطفى غي المذيع السياسي وأمير الحج ورئيس جمعية الأئمة .

وقد وصل محمد جوف إلى ميناء الدار البيضاء برفقـة هـؤلاء بتـاريخ 31 ديسمبر 1961 بحرا على متن الباخرة الفرنسية : ليوطه . ثم إلتحق هذا الوفد بثانوية القرويين بمنحة مغربية ونظام داخلي لمدة خمس سنين حصل خلالها علـى شـهادة

إبدائية وإعدادية ، ثم ارتحل سنة 1965 إلى القاهرة والتحق بثانوية الخدوي إسماعيل حيث حصل على الثانوية العامة وانقطع عن الدراسية لمدة سنة عمل أثنائها مذيعا مترجما بالإذاعة الموجهة بصوت العرب من القاهرة مع الإخوة الحاج إبراهيم سك المدرس الإمام الخطيب بجامع برني ، والإمام القاضي المدرس العلامة شريف علي حيدرة من سلالة شريف يونس كاسمانس .

إستأنف محمد جوف الدراسة بعدها بجامعة الجزائر من سنة 1968 إلى 1972 م بكلية الحقوق والعلوم الإقتصادية حيث حصل على شهادة الليسانس في الحقوق ، ورجع إلى السنغال بهذا التاريخ وعين مدرسا اللغة العربية بثانوية كاستون برسي بكولخ سنة 1973 م وحول بعدها إلى ثانوية بليس جانج بدكار بقي بها سنة واحدة إلتحق إثرها بالمدرسة الوطنية للدراسات الإدارية والقضائية وتخرج منها مجازا بشهادة بروفيه ، وعين مستشارا بوزارة الخارجية سنة 1978 م. وهنا بداية حياته المهنية بالمعنى الصحيح ، وقد مر خلالها بالمراحل والدول التالية:

- عين مستشار أول بسفارة السنغال ببغداد 1979 إلى 1981
- عين مستشارا ثانيا بواشنطن لمدة سنة ونيف 1985 إلى 1986
- عين مستشارا أول بالجزائر سنة1987 إلى سنة 1988
- عين مستشارا أول بنوقشوط سنة1988 إلى سنة 1989
- عين مستشارا أول بتونس 1994 إلى سنة 1996 احيل إثرها للتقاعد
- وانصرف فورا نحو التدريس والكتابة مهنته الأصلية ودأب أسرته بتواصل لثلاثة أجيال .وبعض سقوط نظام سنغور ، بإنهزام الرئيس عبد جوف إثر انتخابات الرئاسية سنة 2000.
- إستأنف محمد جوف العمل الديبلوماسي من جديد بعقد إداري مع الوظيفة العامة السنغالية بأمر رئاسي .
- عين سفير بالجماهير العربية الليبية من سنة 2001 إلى سنة 2004 أحيل بعدها إلى التقاعد ، وانصرف طوا كالعادة إلى التدريس بكلية الدعوة الإسلامية فرع السنغال بمدينة بير حتى الآن .

و يلاحظ أنه لم يتطور ولم يترق بالسلم الإدارية من درجة إلـــى أعلـــى . والسبب يعود إلى كونه مستعربا فقط دون تعليق ، ولم يـــدم طـــويلا فـــي السفارة لنفس العلل ، وتلك من آثار سياسة الإستعمار الإداريـــة بالـــسنغال ولاتزال سارية المفعول . ويؤسف لها لأنها تهمل جهودا جبارة وخبـــرات نادرة وثقافة هائلة وتراثا قيما وعلوما وآدابا تحملها هذه النخبة الخيرية من أبناء السنغال ، رميت منبوذة في سلة المهملات .

- مؤلفاته وكتاباته :

– عمله في الصحافة المسموعة بالقاهرة والمكتوبة بمجلة المجاهد الجزائريـــة جعله متمرسا في الكتابة ، ونشرله من المقالات في مختلف المجـــالات عـــددا لايحصى . وشارك في مؤتمرات وطنية وقطرية وملتقيات وألقى محاضـــرات قدم خلالها أبحاثا قيمة لم تنشر ولم تجمع بعد لندرة الوسائل المادية ، ومع ذلك فقد نشر له بعض مكتوبات :

– تاريخ المدارس القرآنية بغرب إفريقيا

– أعلام الهدى بغرب إفريقيا المجلد الأول

– علم الفرائض في أزمة قضائية

–علاقات الزعامات الدينية بالإدارة أثناء فترة الإستعمار . وهذه عبارة عن بحث نوقش كأطروحة للتخرج وهي مكتوبة بالفرنسية وتوجد نسخ منها بمكتبة وجامعة دكار وبمركز إيفان بدكار ، وهذه في سطور موجزة تعكس مجسدة حياة

كتبت هذه السيرة كتب بتاريخ 1 يوليو 2008

المؤلف محمد جوف تفسير باب البرني .

.

نبذة تاريخية عن السنغال

الموقع : تقع السنغال في أقصى نقطة من غرب قارة إفريقيا. تحدّها شرقًا جمهورية مالي، وجنوبًا غينيا وبشاو، وغربًا المحيط الأطلسي، وشمالا موريطانيا. وتقدر مساحتها 000 198 كلم2. تجري عبر أراضيها نهر السنغال شمالا، ونهر كَاسَمَنْزَ جنوبًا ونهر سين وسالم في الوسط. هذه الأنهار تنبع أهمّها من جبال فوت جالون بغينيا وتصبّ في المحيط الأطلسي.

التقسيم السياسي : كانت البلاد قديما تنقسم سياسيا إلى مقاطعات تتمتع الواحدة منها باستقلال ذاتي عن غيرها، وهي جُلُوفْ، كَجُورْ، وَالُو، بَاوَلْ، سِينْ سَالُمْ، كَاسَمَنْزَ، وتَامْبَاكُنْدَا، وفُوتَ طُورُو. أما التقسيم الحالي فهو سياسي محض إقتضته ظروف البلاد الأمنية المنبعثة من الحركة الإنفصالية المسلحة من جماعة (جُولاَ) القريبة عرقيا من قبائل سرير المنتشرة في بعض المناطق.

المناخ : مناخ بلاد السنغال قاري صحراوي جافّ في بعض مناطقها، ورطب في بعضها، ويميل إلى الاعتدال في السواحل الممتدة من مدينة سانتلويس شمالا ودكار غربا الى غينيا جنوبا على طول 1000 كلم تقريبا.

الثروة الغابية والبحرية : يمرّ بالمياه الإقليمية السنغالية التيار البحري الدافئ، ويجعل من شواطئها ملجأ لمختلف أنواع الأسماك تهجر إليها للتدفئة والتكاثر، الشيئ الذي يدفع بكبار الأسماك الى تتبع آثار الهجرة لتأمين حياتها وغذائها من الأسماك الأقل شأنا، وفقا لقانون البحر والطبيعة.

كانت الثروة السمكية قبل الاستقلال هائلة متوفرة ولكنها بسرعة البرق تضائلت واستنفزت بسبب الإهمال وسوء الإستغلال وضعف وسائل الحماية البحرية وعبث سفن الصيد من الدول التي أبرمت إتفاقيات ومعاهدات صيد واستغلال الثروات البحرية، هذه أحدثت فسادا كبيرا في البحر وأسوأ منه في البر والغابة لنفس الأسباب. وقد اندثرت معظم النباتات الطبيعية، والرعوية، والغذائية وكانت تشكل ثروة هامة ومفيدة في معركة التنمية وتطوير مختلف قطاعات البلاد. وماتت مع نبات الغابة الفيل

والأسود والنمور والفهود والضبع والتماسيح والقرود والحيـات والحمـر الوحـشية والغزالات جراء القحط والجفاف المزمن وارتماء السلطة في الملّذات والـدفاع عـن الثقافة المستوردة التي أصبحنا عبيدا لها نضحي بأرواحنا فداء لها وعـن عالميتهـا وخلودها.

حاولت السلطة السياسية أن تنقذ الموقف بوضع خطط واتخاذ إجـراءات مناسـبة لحماية الثروات برًا وبحرًا، ولكنها تمنى دائما بالفشل جراء الإهمال.

فالمقاولات والوحدات الصناعية التي أنشئت لإستغلال البقية من الثـروة الغابيـة والبحرية والمنتجات الزراعية كلها فشلت وأفلست وسدت أبوابها.

إن الخطط التنموية الإقتصادية والصناعية التي وضعت لاتعتمد على الزراعة لذلك لن يكتب لها نجاح ومصيرها الحتمي هو الفشل، علما بأن الدولـة تقـدم بالخطـب السياسية والأطروحات اللغوية والأدبية والشهادات والنظريات المجوفة.

السكان : يتراوح سكان السنغال حاليا بين عشرة ملايين أو تسعة، موزعـة علـى مساحتها توزيعا غير معتدلٍ بسبب العوامل المناخية البيئية، ومركزية الإدارة وتوجد المرافق الوزارية في العاصمة فقط وهكذا توجـد 90% مـن المـصانع والمعامـل والورشات والمقاولات الكبرى في المدن الآهلة بالسكان مـع الـوزارات والمتـاجر وأدوات الإنتاج. هذه الأسباب وغيرها دفعت بسكان الأرياف والمزارعين إلى الهجرة والنزوح نحو المدن لضمان لقمة العيش، بمزاولة المهن والحرف البسيطة والتجـارة التفصيلية.

فالسنغال يعدّ حاليا حسب الإحصائيات العالمية من أفقر بلاد العـالم، ولايتجـاوز مستوى معيشة الفرد نصف دولار في اليوم.

الأصول : يتكون شعب السنغال من قبائل شتى تنحدر من أصول مختلفـة. وقـد وصلت معظمها من نوبة والحبشة والصومال وشرق ووسط إفريقيا، إثـر الحـروب **والظروف** التي تفرض الهجرة : كالجفاف، والأوبئة، العوامل التي تدفع الـى التنقـل والارتحال. وقدوصلت موجات البشر في ظروف وتاريخ غير مضبوطة لأن اللغـة والكتابة لم تكن حينئذ موجودة. وأكثر المجموعات عددا في الوقت الحالي هي فصيلة

وُلُفْ، وهم مسلمون 100% تقريبا كما يتكلم بلهجها معظم سكان البلاد، وتليهم قبائل (البولار) ثم قبائل (سرير) التي تتدين بعضها بالمسيحية لبعدها عن المراكز الإسلامية، وشدة تأثرها بالسلطة الإستعمارية وكونها وثنية عند الإحتلال ولايزال بعضهم في الوثنية حتى الآن.

تعيش هذه القبائل بالزراعة أساسًا، أما البُولاَرْ، فهم رعاةٌ رُحَّلٌ، قليل منهم يعرفون الإستقرار مثل فصيلة تُوكُرُورْ، ويشكلون الحدود البشرية في بشرتهم وأخلاقياتهم وتصرفاتهم، ويحملون سمّات وطبائع وملامح البيض والسود، وهم أكثر القبائل تعلقا بالعادات والتقاليد والأعراف كما أنهم متشتتون في مختلف دول إفريقيا. تليهم قبائل المّاندِغْ العريقة والمتشتتة مثل البولار لكن في دول غرب إفريقيا فقط. أما جماعة (الجُولاَ) وهم قربى قبائل سّرِيرْ، فإنها تثور ضد وحدة البلاد، وتقوم بحركة مسلحة ضد السلطة. وبحرب عصابات في كل الجهات قصد الحصول على الإستقلال. هذه الجماعة تحتل نصف مساحة إقليم كاسمانز، وأفرادها لاتتجاوز نصف مليون نسمة، والعوامل التي دفعتها الى الثورة هي : إهمال السلطة السياسية عن اتخاذ إجراءات مناسبة لتنمية الإقليم وعدم إقامة منشئات ومرافق حيوية عمرانية بها، زد على ذلك التخلف والشعور بالنقص، والعصبية الصليبية والعقلية المسيحية الغريبة المهانة لدى الأغلبية المسلمة، فهم يشعرون بالغربة في عقر دارهم لأسباب دينية، ثقافية، إستعمارية لاقبل لهم بها، وليست ثمة بارقة أمل في الوصول إلى حلّ لهذه العقدة المستعصية. فالحل ليس بيد النظام الحالي، لأنه سبب قيام الحركة وتفاقمها، والمسؤلة عن ضحاياها البشرية والخسارة المادية.

تعيش جماعة (جُولاَ) بجانب قبائل ماندغ والبولار منذ قرون تعايشا سلميا. ويعتبرون أقل الجماعات عددًا وتقدمًا، وثقافةً، ونشاطًا، وإنتاجًا، وتفتحًا، وهي منطوية على نفسها، ولاتقبل التغيير والتطور والإزدواج والتبادل.

أما قبائل الماندغ فهي من أعرق وأقدم الجماعات وصولا، وهي أوّل من أنشأت دُولاً، ونظامًا جماعية وأمبراطوريات وممالك، مثل دولة غانا التي أنشأها قبائل سُونِيكِي، إمبراطورية مالي، وكانت تضم دولة مالي حاليًا، والسنغال، وغينيا، وبشاو،

وجزءًا هامًّا من نيجر وموريطانيا، وساحا العاج وهوت فولتا (بُرْكِنَا). وقد انتـــشرت الماندغ بعد سقوط دولهم في مختلف أقطار الإمبراطورية، وتـــشتتوا مثـــل البُـــولاَرْ تقريبا.

<u>الوحدة السياسية</u> : لم تعرف منطقة غرب إفريقيا قبل الإحـــتلال الفرنـــسي وحـــدةً سياسيةً إلا في ظل دولتي غانا ومالي، وقد انقسمت بعدها إلى ممالك مـــستقلة عـــن بعضها بدءًا من وفاة الملك وَرْجَابِ الملقب بأبي الدرداء سنة 1053م. وقد حاول الملك أنجاجان انجاي مؤسس مملكة جلوف توحيد البلاد ولكن محاولاتها لم تعـــش إلا مـــدة يسرة، وقد انهار صرح دولة جلوف إثر ثورة الأمير اَمَرِكُونِ سُوبِلْ "دَمِيلْ تِيجْ" الذي قتل الملك لالافُوجوُكَا، إثر معركة جمعتهما سنة 1555م، وبعدها إستقلت جميع أقـــاليم البلاد التي كانت تابعة لجلوف، وقامت على أنقاضها دولة الفولانيين، ودولة سَلْتِكِ، ثم الألمامية التي انقرضت بموت الأمير عبد القادر كان غيلة من رجال ترارسة البيض سنة 1881م، وسادت فترة الفوضى إقليم فوت طورُو حتى هجم عليها سلطات فرنـــسا واستولت عليها بالقوة وضمتها لباقي أَجْزَاءِ مستعمرة سنغال سنة 1891م.

ومن هذا التاريخ بدأت حركات المقاومة ضد قوات الاحتلال بقيادة ملوك وزعماء دينيين أمثال شيخ عمر فوتي، وشيخ أحمد المهدي وأَمَرِكُونِ انْدَلَكْ سِيكْ وأحمد الأمين درام، وموسى مُولُ، ومَبَهْ جَغْ بَهْ، ولَتْجُورْ كُونِ لاَتِرْ جُوبْ.

فالعصبية وحبّ الذّات منعت وحدة البلاد وأتاحت لفرنسا التـــدخل فـــي شـــئونها وسهلت احتلالها والسيطر عليها سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا. وقد ألغت فرنـــسا ألقـــاب ملوك البلاد مثل : دَمِيلْ، تِيجْ، وبُورْ، وبَرْ، وبَرَاكْ، وسَلْتِكِ واستبدلها بحاكم، وقائـــد، وأَلْكَلاتِ وهي الجارية بعد الاستقلال بكل افتخار وعزّة.

وقد حاول زعماء المقاومة منع احتلال البلاد بوسائل شتّى لكن أسلتحها كانـــت ضعيفة أمام ديانات فرنسا، وبوفاة لَتْجُورْ سنة 1886م بدِقْلِهْ وألقي القبض على الـــشيخ أحمد بَنْمبَ بَكِ، وعُزّل الحاج مالك سِهْ من المعركة والمقاومة، إستتبت لها الظـــروف ودانت لها بالطاعة حتى سنة 1960م حيث منحت الاستقلال لمستعمراتها بضغوط مـــن الأمم المتحدة والدول المستقلة من مختلف أنحاء العالم.

الفصل الأول

المقـــدمة

لقدأصبح قلب الواقع بتزوير الحقائق قاعدة، ومنطلقاً للعلاقات والمعاملات والمعتقدات والإعتبارات. ووصل التهافت، والهوان، والخمول، والجمود وانعدام الجدّ، وانتشار المزاح، إلى مستوى من السقوط والحبوط، يصعب تصور مداه ويضيق الصدر له. وعلى الخرافات والخزعبلات، والسخافة، والتناقضات، والمجون والهراء، تدور معظم أوقات الخاصّة والعامّة ــ حالة يرثى لها.

هذا النّمط والأسلوب من الحياة، إحدى الخيارات التي إخترناها بعد الإستقلال، وقد اشتدت اليوم وطئة حميتها، وإذ بلغ السيل الزبى، ولم يعد التّخلّصُ من مغباتها شيئًا يسيرًا.

وأغرب من كلّ ذلك، هو أن البحث عن مخرج للتّخلص من النّكسة ليست من إهتمامات الجماهير قيادةً، وشعبًا، وحكومةً، يرى الجميع هذه الوضعية المتردية شيئا طبيعيًا، قد يمزح أحدهم ويقول : بأن الله تعالى هو سبب التخلف، والمحن، والفتن، والجفاف، والقحط، والأوبئة، والجهل، والخوف، والجوع، وانعدام الأمن، والبطالة، وارتفاع نسبة الجرائم، وتفشي الإعتداءات، وهتك الحرمات، والسفور، وانحلال الخلق، وقسوة القُلوب، واللامبالات، وموت الحياء، واستسلام كلّ شيئ لطلاقة القضاء والقدر عبثًا.

لقد استسلم لهذا الواقع المرِّ، جميعُ فئات الشعب، سواء منهم من كانوا بالأمس القريب يُعتبرون نُبلاءَ، قادةً، أهلَ حلٍّ وعقدٍ، ومن كانوا سادةً، حكماءَ، نُبغاءَ، أهل فكرٍ، وعلمٍ ورأيٍ.

ولقد لجأ بعضهم إلى الرّكون، والمهادنةِ، مساندة الأوضاع، وجدَّ في محاولة إقناع الجماهير بمسايرة الأوضاع، وقبول الإنحراف. واحتواء مرارةِ الإضطهاد، والظلم، والإستبداد، والتعنُّت، والإصرار المعتمَّدِ في الذّنب. هذه وضعية صعبةٌ، ومواقف مخجلة، مذهلة، يقف الجميع حِيَالَهَا متفرِّجين مكتوفي الأيدي في رضوخ شامل.

بلى، أَقرَّ وُجَهَاءُ البلاد بالأمر الواقع، وأيّده معظمهم، وبرّرُوا بذلك ظلم الظّالمين، واعتداءاتهم، واستبدادهم، جرأتهم على الله، وعلى سلب حقوق وحريّات النّاس. وصفَّق، وكافح، وناضل كثير منهم بجانب الطغمة الحاكمة، جـرّار تفشّي الرّشوة، وأسباب الإغراء، والنزوة، ونشوة السلطة، والجاه، وخلابة مظاهر الريّاسة، والترف، والظهور على شاشة التلفزة، وأمواج الإذاعة. ووصل بعضهم، في تبرير تصرفات القيادة، إلى مباركة جرائم جزّاري الأنفس، مختلسي الأموال بكلّ الوسائل، مُبِيدِي الآمال بشتّى الفنون محرِّفي العقيدة بالحيل والخدع. الشعب قطيعة غنم وُضعت تحت رعاية ذئاب جَوعَى في غابة بعيدة عن العُمْران. التخالف النفعي بين الزعامات الدينية والقيادة السياسية هو السبب الأهمّ، الذي جرّ بالشعب، وبالدّين والعقيدة إلى هذا المصير البائس.

ورحم الله عن شيخنا عمر الفوتي بقوله :

مَا أَفْسَدَ الدِّينَ سِوَى الْمُلُوكِ وَعُلَمَاءِ السُّوءِ بِالأُفُوكِ

الكلّ، يعي وضعية الشعب المتردّية، ويتألم بالدّاء العضال الذي صيّره مشلولاً مًعَاقًا، ومع ذلك، يبقى جامدًا ساكنًا، لاحراكة من أحدٍ.

كأنهم راضون بالفشل، أو قَدْ رَضُوا من الغنيمة بالإِيَّابِ.

لقد صدر في جريدة الأطفال الشهرية في عددها رقم (54) من شهر أفريل 1999 ، مقال كتبه الصحفي : كَرِيمْ كَانْكَ زعم فيه : أن آباء الإستقلال الذين حرّروا بلاد السنغال من بَرَاثِنِ الإستعمار الفرنسي وقادوه إلى سواحل الحريّة والتّقدم والتّقدير والإحترام، والإزدهار، هم : بَلِيسْ جَاجْ، المندوب السامي لفرنسا في مستعمراتها بإفريقيا والنائب بمجلس أمتها، وأحد أركان الفَرْمَسة الأوائل في القارة الإفريقية، والجنديّ الضابط، الملازم، كَلَدُو ضِيُوفْ الذي كان نائباً بمجلس أمة فرنسا، والمحامي السيد الأمين غِيْ، عضو مجلس شيوخ فرنسا والنائب بمجلس أمتها، ومحمد ضَيَاءْ النائب وعضو مجلس شيوخ فرنسا وأوّل رئيس مجلس وزراء السنغال المستقل، وسنغور المسيحي الفرنسي، الأكاديمي، النائب بمجلس أمّة فرنسا ومامي لغتها وثقافتها، وحضارتها، عبر قارات العالم، وبطل المهرجان الأول في إفريقيا للفنون الزنجيّة. هؤلاء حسب ما كتب الصحفي : كَانْكَ، هم قادة، آباء استقلال السنغال، وسببُ تقديره واحترامه عالميًا، وزدهاره داخليًّا.

وقد ختم مقاله بعبارات سنغور في النشيد الوطني الذي كتبه، حيث ينادي الشعب والشباب بالخصوص إلى تَحكِيمِ سدِّ آلاتِ اللَّهو واللّعب لتحقيق الوحدة، وضمان التقدم، والتطور، والإزدهار، بالرقص والموسيقى. لم يتجرأ الصحفي المذكور، على أن يذكر المجاهد الأكبر، شيخ عمر الفوتي، الذي حارب بُولْ هُولْ في عدّة أماكن وأجبره للإنسحاب والفرار، وأَزَاحَ الشرك ومَحَا الكفرَ والوثنية من أَدِيمِ القارة بغربها. ما كان جديرًا بأن يُذكر بين زُعماء، وقادة، آباء الإستقلال، أم هنالك سدود، وحدود، وموانع تقف حيال ذلك.

لم يتجرأ لذكر الشيخ الخديم الذي لمواقفه ومعارضته مخططات السلطة الإستعمارية والوثنية، نكّل، وأُوذي، وعّذبَ، ونُفيَ من البلاد، وبقي تحت إقامة جبريةٍ حتّى الوفاة. هل لم يكن جديرًا بالذكر بيْنَ هؤلاء القادة الآباء؟ أم مجهول عنه وعن مواقفه؟ أم مساعيه غير جديرة بالذكر؟ أم يأبى الإنصاف في مقارنته بهم؟

الإمام مَبَهْ جَخُ بَهْ، هزم جَنْرَالاَتِ في عدّة معارك، وهزّ جبال الشرك، وهدم تكنات الكفر، وعُشَسَ الوثنية/ ومات شهيدًا. ما منع الصحفي من ذكره؟ ألم يُحارب الشيخ أحمد ألمين دَرَامِ، والشيخ أحمد الهدى ضدّ الجِنْرَالْ فَيدَرْبَهء، والمجاهد أحمد كُونِ أَنْدَاكْ سِكَّ لتحرير العقول والبلاد، واستعملوا السيف والقلمَ والسبحةَ؟

ألم يعش الشيخ عبد الله انياس في الغربة والمنفى إباءً للضيّم والرضوخ؟ {ألم يأن للذين آمنوا أنّ تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليه الأمدّ فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون} (الحديد، الآية : 15).

ولايمتري الإثنان في أنّ أوَل من جاهر لسلطات الإستعمار بكلمة الإستقلال داخل البلاد هم المُسْتَعْرِبُونَ الذين قدموا من العالم العربي في بداية الخمسينات أمثال الأستاذ شيخ طورِي، بَارَ البَكِي، صالح كَنْجِ، بشير لِي، ورفِقاهم، وما كان حينئذ يجول بخاطر أحد من المُتفَرَنْسِينَ ظلٌّ كلمة الإستقلال، اللّهم إلاّ أولائك الذين كانوا يعيشون في روسيا، أو يناضلون في أحزاب المعارضة بفرنسا، وهم قليلون، وما كانوا جِدّيّين في مواقفهم، بل مُتَفَاعِلُونَ فقط مع الواقع الأوربي الذي كانوا يعيشون في غمارةِ ويتفاعلون لتأثيراته.

أعلام الهدى هم هؤلاء الذين حاربوا جيوش فرنسا الغازية عند ما توغلت لإحتلال البلاد واستعمارها. أم هؤلاء الذين أخلصوا الإستعمار، وتواضعوا، وهادنوه، وواعدوه، وتفانوا في خدمته ودافعوا عنه لغةً، وثقافةً، في ظروف السّلم والحرب فكيف ندّعى أنهم آباء الإستقلال، ونَغُضُّ الطرف عن أولائك العباقرة الوطنيين الغيُّورين عن عرضهم ودينهم؟ إن كبار حملة ثقافة فرنسا يدّعون العجائب والغرائب والمعجزات للجنرال ديغُولْ، ويزعمون أن شخصياتِ هذه الطاغية المستعمرة، من جنس الملائكة، لذا، يقدسونهم، وكلما يصدر عنهم يعتبر مُقَدَّسًا، بينما يهينون أنفسهم، بإهانة أهاليهم وشخصياتهم وأبطالهم، وذكرياتهم، وتراثهم، وتاريخهم، ويقبلون الضَّيْمَ، والسفافة والتبعية. كما يقتضي ذلك مَنْطَقُ الإستعمار، وتدعو إليه مصالحه، فهم حقيقة أعوانُه، وخدَّامُه، وموظِّفوه، لتنفيذ خططه ومراميه في المستعمرات وشعوبها. ويعتبر دورهم أسوأ، وأمرُّ، وأخْزَى من دور الإستعمار نفسه، ورحم الله الشاعر العربي، في شكواه القائل :

وظُلْمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْقَلْبِ* منْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ

وأغرب من كلّ هذا، مُضِيُّ هؤلاء الضَّالّة، في محاولاتهم الرامية إلى إقناع الجماهير الإفريقية بأن شعارات وقيم، وتاريخ، وحضارة فرنسا، مشتركة بينها وبينهم، وينصبون مَعَابِدَ وهياكلَ في ساحات مُدُنهم الكبرى تقديسًا لهم والرفع من شأنهم وتَأَلُّقًا ببطولاتهم.

إن العالم بأسره يُؤَنِّبنَا، والشعوب الحرة يسخَرُبنا، والأصدقاء يشفقون علينا في محنتنا، ورُضُوخِنا الطويل، وَتِيهِنَا في خِضَمِّ محيط من أضغاث أحلام نعيش فيها منذ قرون، دون إفاقة، ولو بعض لحظات. قوم لايعبأون بتراثهم، ولا يُعيرون للأصالة أَدْنَى اهتمام، ولايقيمون للدين وَزْنًا، ولا للوطنية قيمةً، فمامكانتهم في العالم بين الشعوب؟ وما مصيرهم؟.

النتيجة الحتمية لهذا، هو نُشُوءُ تيَّارات معادية للقيادة السياسية والزعامة الدينية المتماطلة. تُتَهمُّ بالتآمر والتواطإِ ضدّ مصالح الوطن، ومنها أيضا :

شدّة القلق والتمزق النفسي، والانهيار العصبي، والمعاناة الصّارة، وجنون التألق بالمادة والتسابق المخيف لأقتناء التراث، وهِجران العلم والرّوح والدّين، والإقدام إلى

الملّذات والكذب، وخلع كلّ أملٍ من قلوب الشباب، وقتل المبادرات لإبـداع، والخلـق، والإبتكار، والأعمار، وإرساء اليأس، والقنوط والإنهزام بالإستسلام المهين للأمر الواقع.

لقد وُلِدتْ الدّولة السنغالية الجديدة، والإفريقيـة، حديثـةِ الإسـتقلال، دون عقيـدة صحيحةٍ، دون سندٍ حضاريٍّ أصيلٍ، دون فكـرٍ ورأيٍ وعلـمٍ، دون منـاهجَ مناسـبة ومتوازنة، دون قيادة وطنية آمنة بها وبالمستقبل. بل، وُلِدَتْ أعمى، أبكمّ، أصمّ يقودها صِبْيَانٌ هم. أصمّ وأبكم وأعمى. وهم في الحقيقة، أوراقٌ في مهَبِّ عواصـفَ هَوْجَـاءَ تتقاذفها من كلّ حَدْبٍ وصَوْبٍ، لا هَوِيَّةَ لها، ولا وِجْهَةَ. {إن تحرصْ على هُداهم فإن الله لايُهدي من يُضلّ وماهم من ناصرين} (نحل الآية : 36). ليس هناك بَارِقُ أمَلٍ يلمـحُ في الآفاق ويُوحي بأنّ القلّةَ المُفَرْمَسَةَ التـي ورثـتْ سـلطةَ الجِنْـرَالْ دِيغُـولْ فـي المستعمرات، قد تكون خِلاَفَتُها أحسن من ديغولْ، أو تقوم بتوزيع تركـة الإسـتعمار بعدالة، لأنّها لاتعرف للعدالة معنًى ولا للدين وَزْنًا، ولا للإنسان شَرَفًا وكَرَامَةً. ومـن حين إنتقال تركة الإستعمار إلى ذِقّتِهَا، طبقت قانونَ الغالب القاهر الغاشـم المـشاغب على المغلوب المنهزم المستسلم لسلطان الطَّاعِمِ الكَاسِي. إنّ الأغلبية المنهزمـة ثقافيًّـا وسياسيًّا منذ انهزام الشيخ أمحد التيجاني سِهْ، وزَجِهِ في السِّجن لرغبته وطموحه فـي السلطة، ومواقفه المعبّرة على تلك الأهداف، سنة 1959 : وكان شِعَارُها فصل الدّين عن الدّولة وإقامة دولةٍ علمانيّةٍ لائكية، مُلْحِدَةٍ، مقلدّةٍ لأوربا وفرنسا بالخصوص، إسْـتَبْدَلَتْ المادةَ بالرُّوحِ، ونبذتْ العقيدةَ والدّين والإنسانَ، وتألقتْ بالسموع المرئـيّ وهجـرات المحسوسَ المعقولَ. ومن حينها انحرفنَا عن الجادةِ وهي الصراط المستقيمِ، وشَـرَعْنَا نَتَخَبَّطُ، حتّى أصبحنا في مأزق وعَثْرَةٍ، واستحالت الإقالةُ منها، عَسُرتْ إستعادةُ المفقود من قيمَ وجُهُود، ووقْتٍ، في نصف قرن كاملٍ، ساد فيه الفَوْضَى والغَوْغَاءُ، والبلـوى، والهلكى، والغرقى، والقتلى في خضم التّيار الجارف والسيّل العَرَمِ من فيّح جَحيم اللغة، والثقافة، والمنتجات الفرنسية، التي تُقَدِّسُها، وتَعبدُها أباءُ الإستقلال غيرُ الشرعيين. وقد نَصَبَ رئيسُهم سنغور معَابدَ، وهيكلَ لإرساء قواعدها في كلّ شِبْرٍ، بـل فـي عقـول وقلوب الناشئة لعبادتها. واستطاع سنغور وفرقتُه أن يحققوا في أقلّ من نصف قرن ما

عجزتْ عنها فرنسا بقواعدها وضُبَّاطها، وفنونها، وعلومها في عدة قرون. ألاّ، وهو : مَحْوُ تُراثِنا الحضاريّ، الثقافيّ وتَشْويهِ شخصيتنا وسِمَاتِنَا الإفريقيــة. وبهــذا تَمَزقــتْ الوحدةُ، وتبلبلت العقولُ، وانهار صرحُ أيّ أمَل وثِقَّةٍ بالنفس وبالمستقبل. هؤلاء آبـــاء الإستقلال المُزْعَمونَ، وهم سببُ المحن، والفــتن، والأوبئــةِ، والجفــاف، والمعانـــاة، والأزمات، فلو كانت الأباءُ في العلم أمثالهم، لكانت مُقَارَقَةُ الدُّنيَا خيرًا من الخلود فـــي الحسرة، والخيبة، ولإنهزام جراء التركةِ المخزية التي خلفتْها لنا وللجيال القادمة.

الصّحافةُ عمومًا والصحفيُّون السنغاليون تلقَّوا تكوينًا مشابهًا، ومُلتزمون لخطّ سياسيّ موحّدٍ. أسلوبهم ومصطلحاتُهم ولغتَهم، ومعتقداتُهم ومجالُهم واحدٌ وما تُقرأ فـــي إحـــدىَ جرائدنا تغْنَى عن قراءة مجموع الجرائد والصُّحف التي تصدر في البلاد كلِّها.

ومردُّ ذلك هو، وحدةُ المصدر والمنهج، والغاية التي كوِّنُوا من أجلها.

الصّحافة كسلطة، وقوة سياسية مؤثرة، ساهمت في كلّما جرى ويجري في البلاد منذ الإستقلال، وكانت وسيلة إستعمارية قبله كما كانت تقف عند حـــدودها خوفًـــا وطمعًـــا واحترامًا لشرف المنهزمين، وتجنبًّا منه على الخَدْش من كرامتهم الإنسانية.

والصحافة بعد الإستقلال أداة طَيِّعة، في خدمة الشرذمة الحاكمة التي ورثت تركـــةَ السلطة الفرنسية. وباعتبار أنَّها لم تكن بنتًا شرعية شارعت إلى تبديـــد أَعْيَـــانِ التَّركـــة بالإسراف والتخريب والنَّسفِ، لحرمان الأبْنَاءِ الشرعيين منها، حتّى تَنْفَلِت كلُّ الفـــرص لإقامة دعوى إسترداد الحقّ أو إزالة الضّرر، أو إعادة الأمور، إلى نصابها الشرعيّ.

لقد بادرتْ الشرذمة إلى سدِّ أبواب النظر والرؤية الصحيحة، وأبـــواب العـــودة إلـــى الأصالة لتخليد التُّراث القومي، وسدِّ أبواب الفكر الموجهة توجيهًا وطنيًّا، وطرف البحث والّتنقيب من مناجم مُقوِّماتنا الإفريقية، وصدُّوا عن السُّبل المؤديّة إلـــى بنـــاء شخـــصية إفريقية إسلامية سنغالية، متميزة باسم الائكية إستطاعت بِجُرْأة نادرةٍ، أن تمحُوَ كلَّ أثـــر لوجود إنسان إفريقي بالمعنى الصحيح، وبالتَّبعية، كلّ مَعْلَمَةٍ للُّغةٍ، أو ثقافـــةٍ، أوتـــراثٍ وحضارةٍ إفريقيةٍ.

إن الشرذمة ورثتْ السلطة والإدارة، ولم تكن مُؤَهَّلَة شرعًا ووطنيًّا، ولم تكن عارفـةً بالبلاد وتاريخها، لذلك عبثتْ بالدولة وبمصالح الشعب، وفشلت في قيادتها فشلاً ذريعًـا، فالأزمة الحادّة، والمعاناة أَدَلُ دليل ناهّضٍ لإثبات ذلك.

إنّ أساليب التّسوُّل والإرتزاق بالشعر، والمدح، والبكاء على نمـط فِكْتُـورْ هِيغُـو، وَرَاسِينْ والكتابة على غرار جَانْ جَاكْ رُوسُو، ومنهج تفكير مُنْتِسْكِيُو، لم تَعُـدْ مُجـديًّا لكسب ثقة أوربا، وجلب صدقاتها وفَضَلاَتِها، ورؤوس أموالها. إن الإعتمادات التي كانت تُرسَلُ إلى بُنُوك إفريقيا التي كدّستْ فيها العُمْلاَتُ الفرنسية الإفريقية عادت طـوًّا إلـى مواطنها الأصيلة، الصرِفُ منها والمختَلَسُ، لم تكن هذه الإعتمادات لإثـراء وتنميـة أو تطوير القارّة السّمراء. إن طُعمةَ صَيّادي الأسماك لم تُوضعْ في أَفوَاهِ الأسماك لتَسْمِينِها، بل لإصطيادها، وبيعها في أسواق القارة الرّابحة، بل، من أجل هذه المبالغ والمنتجـات، والعُملات أصبحت بلاد المستعمرات اَسْوَاقًا رابحةً وشُعُوبُها بضاعةً مُزْجَـاةً، الـذئابُ الرُّعاةُ في حلٍّ عن أية مسؤولية، لأنها مُلْتزمة فقط أمام سيِّدها فرنسا.

وما تَكْتُبُهُ الصحافة بهذا الخصوص تُؤَيِدُ هذا الرأي وتُصَدِّقُ الوحدةَ العضويةَ بـين الصحافة والسلطة الحاكمة من ساعة الإستقلال حتّى اليوم، ويبدو أنّ المـصير بينهمـا محتوم.

أريد ان أستورد دليلاً، آخر، أو بتعبير أدقّ قصة مضحكةٌ مبكيةٌ، في آن واحد، وهي مناسبة للموضوع الذي نحن بصدده، لأنها تُشَخِصُ وتبدي الوضعية التي نعيشها، ومَدَى تهوّرنا وتورطّنا. وهي عبارة عن مشروع قانون تقدم به كمُبـادَرةٍ مُرْضِـيةٍ لفرنـسا، كمساهمةٍ في دفع حركة المجموعة الفَرَانْكفُونيةِ التي تعتبر السنغالُ رأسَ حرِبَتِها. تقدَّم به بعضُ نواب مجلس الأمة وعلّلوا بأن حُرمةَ المجلس تقتضي أن يتجنـب فيـه شـخصٌ لايُجيدُ الفرنسية نُطْقًا أو كتابةً لعدم جدارة أولائك بالمسؤولية البرلمانيـة وبالتـالي ثِقَـةَ الشعب الفرنْكفُونيِّ.

ودامت المُدَاوَلاتُ والأخذُ والرّدُّ، وعلتْ الصراخاتُ والهتافاتُ والشتائمُ عبر أمـواج الإذاعات، ومقالات الصُّحف بين المعارضين والمؤيّدين. أمّا الشعب الأصمّ البكم، عمّـا يجري في هذا المجلس، فلم تصدر منه أكثر من بعض أنّاتٍ حزينة، ونظـراتٍ حيـاء

وخجلٍ، ونَفَثَاتِ مصْدُورٍ لا أمل في علاجٍ أو شفاء ! ودامت المداولات أكثر من شهرين، وأخيرا إنتصر الخوفُ والفزعُ، وعلا الخزي، والعارّ، لما رأوا صَمْتَ الشعب وسكوتَه وثورانَ نفسيته وغليانَ العروق والأعصاب.

لقد امتنعت أغلبية نواب مجلس الأمة عن المصادقة بالتصويت ضدّ مشروع قانون يُحَرَّمُ بموجبه على كلِّ مواطن سنغالي، لا ينطق ولا يكتب الفرنسية أن ينتخب نائبًا في مجلس الأمة. وكان الإقتراع مبادرة جريئة من قبل البرلمان الفرنكفوني الغيور بكسب رضى فرنسا وبركاتها، وباعتبار البرلمان مختلط حاليًا إمتنع معظمهم عن التصويت لصالح المشروع، ووصفوه بأنه جريمة نكراء، وأنه مسٌّ صريحٌ ضدّ قيم الشعب، واعتداء على سيادته، وأنّه الهدف منه إبادة وطمس لغاتنا، وتراثنا، وحضارتنا من الوجود، ولهذا امتنع معظمهم عن التصويت لا لأنهم يثقون بلُغاتهم ولهجاتهم، أو لأنهم يعيرون إهتمامًا لغَضَبِ الشعب أو لثقل المسؤلية أمام العالم، والتاريخ، والأجيال القادمة، كلاًّ ! بل، إمتنعوا خوفًا من مَغَبَةِ القادمة، أمّا رضى الشعب ومَقْتُه، وسخطُه، وغضبُه، فلا يهتم به مجلس الأمة، إذْ، يُعتبر مشروع قانون مُدوَّنة الأحوال الشخصية، الساري المفعول بالبلاد منذ سنة 1972م، والذي بموجبه تمَّ إلغاء العمل بالشريعة الإسلامية، وشدّت أبواب المحاكم الشرعية، وألغيت وظيفة القضاء الشرعي، هم الذين تقدموا به، هذا معقول ومنطقي، لأنهم نوّاب فرنكفونْ، مجدّدون في منظمة الدّول، والبرلمانات الفرانكفونية، ومصالح هذه الحركات البهلوانية مقدمة عند هؤلاء على كلّ مصلحة وطنية، فالمعاهدات، والإتفاقيات التي تربطنا بعجلة فرنسا أهمّ من كلّ مصلحة، والدولة تدور في رُحَى مصالح فرنسا وتهنئ نفسها بهذه المكانة الممتازة التي منحتها فرنسا لها من بين ضحايا الدول الناطقة بالفرنسية، ورثة تركتها في القارة السمراء، وعميلها المفدى. لقد وضعت فرنسا فُخُوخًا، ومصائد، لصيد القادة الأفارقة السود، وزعمائها ومفكريها بمجرد كلمات رنَّانة، وأوسمة جذابة، ومآدب أكولة، ومبالغ طائلة، وجولات ضائعة في مناظر خلابة، وهي في الواقع سرا ب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا. إن مجلس الأمة لاتتورع، ولاتخسأ، لعلة ولدت مزودة بها، وهي

كونها وَكْرًا للحيل والخطط، والمشروعات التي تصوتُ، وترسمُّ لفَتْكِ الأبرياء وتبرير الإعتداءات، وغصب الحقوق، وإهانة الشعب والعبث بمقدساته.

ومشروعاتها تعيق الشعب وتفقده كلّ أمل في استعادة أمجاده، والتألق بماضيه والسعي لتحقيق مستقبل متجاوب مع معتقداته ومقاصده المشروعة.

إن مجموعات النّواب من أحزاب المعارضة هم السبب الحقيقي والحاجز المانع من التصويت لهذا المشروع. وقد منعوا التصويت عن عدة مشروعات مماثلة، من سنة 1978م، سنة دخول المعارضة إلى مجلس الأمة، وعدد مجموع النواب المعارضة لايتجاوز حتّى الآن الأربعين وهم مئة وعشرون نائبًا.

وقد ازدادت الطّينة بلّة، لما انتخبوا مجلس شيوخ عددُ أعضائه ستون عضوًا، وهم في الواقع، وُجَهَاءُ منتخبون لأغراض إنتخابية، ليست لهم ولا عليهم مهمة أخرى، علاوة على كونهم خطرًا جسيمًا وإضاعةً أكيدةً لأموال الدَّولةِ، وجهودها، لرفع مستوى معيشتها ومواجهة صعوباتها الجمّة.

أما مشروع ضرورة النطق والكتابة بالفرنسية الذي نحن بصدده فلو فاز بالتصويت والمصادقة، فماذا عسى أن تعمل السلطة لتطبيقها. ونحن رغم جهود نظام السنغور، معظمنا، بل أكثر من 70% لايتكلم ولايكتب ولا يفهم الفرنسية، والأغلبية الساهقة التي تكتب بالعربية تُعتبر أمية رسميًّا، وجهلاء إيدلوجيًا وثقافيًا مهما درسوا وبلغوا في مجال العلم والعرفان. وهكذا يعتبر شيخ عمر الفوتي، والشيخ أحمد بنمب، والسيد أحمد التيجان سه من كبّار أميّي البلاد الذين لايُعقل ولا يتصوّر وضع أية مسؤلية فىأيديهم. ليست العلّة الحقيقيّة هي أميّة المفترضة ثقافيًّا، وإيدلوجيًا، واستعماريًا فيهم، بل، لأنهم مُسلمون حقًا، ولأنهم بالتالي مُستعربون، ثقافتهم الأصلية تنبع من مَعِينِ القرآن وهدى السنة، ولايجوز بحال من الأحوال تعيين أحدهم وزيرًا أو حاكمَ إقليمٍ أو نائبًا في البرلمان. ولهذا يمكن إعتبار مشروع القانون الذي تقدم به السادة نوّاب الحزب الحاكم تحصيلا للحاصل، لأن المضمون والهدف الذي يرمي إليه معمول به منذ حصولنا على ما نسميه بالإستقلال. ولكن التّهوّر، وعدم الحياء واللامبالاة، والمجاذفة، وصلت إلى درجة تدعو إلى تدوين قائمة الجرائم المذمع القيام بتنفيذها دون تورّع أومجاملة، ولأن الشعب تعوّد

أن يقبل مثل هذه الجرائم وأصبحت هي القاعدة العامة، أما اللجوء إلى أخذ رضاه أو رأيه فهو الإستثناء.

هؤلاء النّواب هم الذين صوّتوا وصادقوا على القانون الذي بموجبه سدّت أبواب المحاكم الشرعية في البلاد سنة 1972م وألغيت رسميًا ووطنيًّا القضاء الشرعي. واعتبرت أحكام الشريعة الإسلامية ومناهج السنة ملغاة ولايجوز العمل بها في دولة السنغال، وهم الذين إعتبروها لائكية، وهم واضعوا قانون مدوّنة الأحوال الشخصية، وحاولوا منع تعدد الزّوجات، وأباحوا حقّ الإحتراف بالدعارة ومنحوا للعاهرات بطاقات، ومشاريع القانون التي تقترح وتصوّت وتصادق عليها من هذا القبيل يستحيل تِعدادها باعتبارهم مُنتَخَبِينَ لتبرير أعمال وجرائم الحكام لا لتدبير شؤون المحكومين فلا تأس على القوم الفاسقين.

﴿{ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولوشئنا لرفعنا بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون، ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون، من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولائك هم الخاسرون، ولقد ذرأنا لجهنّم كثيرًا من الجنّ والإنس. لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لايبصرون بها، ولهم آذان لايسمعون بها أولائك كالأنعام بل هم أضلُّ، أولائك هم الغافلون}﴾ (الأعراف، الآية : 179 إلى174).

ولو صحّت إحدى وجوه المقارنة بين أحد نوّاب الحزب الحاكم مع أحد زعماء الإسلام، رغم الإعتبارات الملفقة عليهم كالأميّة لقمتُ بها، ولكنها إضاعة للوقت وضرب من مقارنة حَطَبٍ بذَهبٍ، وماء سلسل عذب، بسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتّى إذا جاءه لم يجده شيئا.

إنّ أزمة الفكر، والقيادة، والتربيّة، والإرشاد، والتوجيه، التي ولدت الدولة مصابة بها وأصبحت بها معاقة وصارت من جرائها مسلولة، لاتبرأ ما دامت الشرذمة الحاكمة مسيطرة على السلطة، ويبدو أنها مناسبة لشعب لايعرف الإباءة ولاينكر أو يغير المنكر لابيده، ولابلسانه، ولابقلبه.

إنّ التّجارب المستوردة والحلول المستعارة، والقوانين المنقولة لن تجدى في مواجهــة تحديات واقع بيئتنا، لأنها لم توضع لحلّ مشاكلنا، والدّوَاءُ ينبغي أن يكون مناسبًا للــداء، إنّ كان الطبيب خبيرًا، وحتّى لاتكون مداواة الداء بالداء، عــادة المتخلفــين البــدائيين المقلدين دَأْبًا فينَا.

إن إصرار السلطة الحاكمة في موقفها وتعنتها لاتجدي لأن كلما تقوم بها لاتهم الشعب ولاتحرك نفسيته، وعقليته، ولا تمسُّ إحدى خصوصياته ودوافعه. إن المميزات والقــيم، والعقليات، والدوافع، التي تُحَرّك الإنسان الأوربي قد لاتُفيق الإفرقي من نوم خفيف، لأن فروقًا عديدة في تكوينهم قائمة، ولذا ينبغي ألا يحكــم الــشعب إلا نخبــة مــن أبنائــه الحقيقيّين، وأن لاتخاطب معه بغيرلغته، وتحقيق آماله ورضاه، مقصدًا عامًّا من مقاصد التشريع لأن رضى الشعب من رضى الله.

لقد منحت فرنسا الإستقلال الذاتي لمستعمراتها بغرب إفريقيا. ومن حينها إلى اليــوم، وهي فترة دامت أربعين سنة ونيف، لم يشترك أحد زعماء الطوائف الدّينيّة، في مهمّــة رسميّة وبصفة رسميّة، على أخذ قرار هام يهمّ مصيرَ الدولة، ولم يساهم أو يجلس فــي مجلس الوزراء أو البرلمان، ولم يمثل أحدهم رسميًّا الدولة، اللّهم إلاّ بعض مــن عيّنــوا سُفَراءَ لنفيهم مُؤقتًا أو إبعاد خطرهم، أو إرضــاء طــائفتهم، أو مكافئــة وَلاَءِ الطائفــة ومهادنتها، أو لربطها بعجلة السلطة، وكسب مُوادعتها وتأييدها في سياستها ومخططاتها الرّاميّة إلى إخضاع وتذليل الشعب.

لم يشارك بعدُ، ولم يساهم أحد زعماء البلاد الدّينيّين فــي الحكــم بــصفة رســميّة ومساهماتهم في الإنتخابات ليست إلا نتيجة إستغلال سيِّءٍ سخيف لحسن نوايــا هــؤلاء الذين يعتقدون بوجود إله، وخالق، ووجود حياة وموت، وبعث وحشر، وقيام ومجــازاة، من طرف شرذمة لايؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولايحرم ما حرم الله ورسوله، ولايدين بدين الحق، بل هم مذبذبون بين ذلك مُلحدُون فَرْمَسَةٌ، ومُفَرْنَسَهْ. وأخبثُ المفرنسين هــم السُّودُ المنتمُون إلى جنس فرنسا باللغة والثقافة، لابالعِرْقِ والحضارة. هؤلاء الفرنسيون السُّودُ في معتقداتهم وأفكارهم وآرائهم وأعمالهم، هم الذين يحكمون وحدهم مــستعمرات

فرنسا بعد مسرحية الإستقلال دون رقيب ولا عتيد، دون مشاركة الأغلبية المعتبرة أّميّة، وعلى رأسهم زعماء الدّين.

إنّ نتائج الإنتخابات الأخيرة الرئاسية والتّشريعية، ومارافقتها من إعتباراتٍ ودِمَـــاءٍ، وسُجُونْ واعتداءاتٍ وجرائم، تعبِّرُ عن الإنحطاط والسقوط، والإنهيار، والمعاناة، والفشل الذريع، الذي مُنِيَ السلطة به، وما كثرة الأحزاب السياسية المعارضة إلا حُجَّــة بالغــة، تؤكد عمق الأزمة والفشل الفضيح، والتبعية العمياء، والتقليد الأعمى، لأن ذلــك مُنَــافٍ للطبيعة والحق ومناقضة لإرادة الله في ملكه وملكوته.

إنّ محاولات أول رئيس وزراء السنغال السيد محمد ضياء الرامية إلى إشتراك بعض وجهاء الزعماء الدّينيّين في ممارسات السلطة التّشريعيّة دون التّنفيذيّة، وتكوين مجلــس أعلى إسلاميّ لهم وحدهم، والإعتراف بالمدارس القرآنية، ومديريها، وتعيين بعض حملة الشهادات باللغة العربية في مرافق التّعليم وتقديم منح دراسية لهم، وتعيين بعضهم فــي السلك الديبلوماسي، في البلاد العربيّة، دون غيرها هذه المحاولات كلّها، صدرت إبَّــانَ الإستقلال الذاتي من محمد ضياء، الذي أسقطه ســنغور المــسيحي، ومعــه الكنيــسة، والفرمسة والمذبذبون.

وزُجّ في السجن، رغم إخلاصه وتفانيه في خدمة سنغور ونظامه لأنه كان سبب طرد مُودُ بُوكِيْتَا، وانفجار الوحدة بين مالي والسنغال، وسبب سقوط المحامي الأمــين غِــيْ، وتعيين سنغور على رئاسة الدولة، وجعل الدّولة الائكية، لاتخضع لدين، وعقيدة الشعب وقيمه وتراثه. ولا شك في أنه شاهد بأُمِّ عينه آثار سلبيّات أعماله، ولاأشك في أنه مسؤل أمام التاريخ، ومسؤل أمام الله، لأن المعاناة والمآسى والآلام، والتمزق النفسي، والإنهيار العصبي، والفوضى الديني، والجهل بتراثنا، ومعتقداتنا، ومقوّماتنا، تعود كلّها إلى هــذا النظام الذي يعتبر بحق وصدق من واضعيه، الذين خططوا ووضعوا لبناتــه الأولـــى، كمالا أشك في أنه ماكان ولم يكن كُفْوًا مُؤَهَّلاً للعِبْءِ الذي كان قد حمله، لأن تكوينـــه، والتناقض الذي كان ولايزال يعيشه، لم يكن يرضى فرنسا، وسنغور، والكنيسة. وهــذه العناصر الثلاثة أركان دولة السنغال الجديدة، زِدْ على ذلك كونُ محمد ضياء بعيدًا عــن الشعب في قيمه، ومعتقداته، وعاداته، وتقاليده، وتاريخه الصحيح. ماكان لينجح أبدًا فــي

خططه، ومشارعه، لإنعدام عوامل التفاهم مع الشعب، في أركانه علاوة علـــى تـــربص فرنسا له بالمرصاد ولذلك سقط نظامه وخاب أمله، وخـــسر مؤيـــدوه، وانهـــزم الحـــقُّ واسْتَتَبَّ الباطلُ.

لقد حاولت عدة شخصيات سياسية ودينية إنقاذ محمد ضياء ونظامـــه مـــن الأزمـــة والورطة التي أشرف عليها، أمثال الشيخ الحاج أحمد دِمْ، والحاج عباس صالّ، والـــشيخ فاطم بكّ، والإمام أحمد الأمين جِينْ، الذي جمع بينه وبين الشيخ التيجاني سِهْ للمشاورة، وإيجاد جوٍّ تفاهم وتقارب، بين وِجْهاتِ نظرهما، وباءت المحاولة بالفشل بسبب إصراره، وتعنّته، وإقدامه، اللامحدود، من غير مصلحة. لقد إعترف محمد ضياء، بعجـــزه عـــن التّراجع والتّخلى عن سنغور ونظامه، لما طلبه منه التيجاني سِهْ، وأعلمه بأنـــه الـــشّرط الوحيد لإنقاذه مما كان يعاني نفسيًّا وسياسيًّا. ربّما كان يجهل عن بعض خلفيات السلطة وأرواحية إفريقيا. زِدْ على ذلك طَبْعَهُ الخاصّ ومزاجه العنيفَ وعَنْجَعِيَّتَـــهُ، ومـــا كـــان لينجح في مهمته السياسية. ولو كانت العلاقات بينه وبين الحاج فاضل بَـــكٍّ، والخليفـــة سيدي الأمين كُنْتَ والحاج سعيد نور طَالْ جيدة، لكَفَتْهُ ولأنقذتْه من حَيَلِ سنغور، ومكر الكنيسة، ومَقْتَ فرنسا. ولو نجحت مُقَابلَتُه مع التيجاني سه فقط، لفكفته شرَّ السِّجْنِ شـــبهِ المؤبّد مع زميله المحامي وَلْجُوجُ انْجَايْ وينبغي الإعتراف والإقـــرار، بـــأن الإســـلام والمسلمين فقدوا بسقوط نظامه شيئًا كثيراً لن يستعيده في قرن كامل، لأن نظام سنغور، توغّل، وتسرّب، في شرايين الأمّة، وتخلخل في عروقها، ودمّها، وتفاعل مع دماغهـــا، ولن تُشَلَّ منها بسهولة ولو بتدخل من أمهر خبراء الإجتماع والسياسة، ولأن سموم هـــذا النظام أعطت آثارها وسلبياتها، والأجيال الحاضرة في الساحة تحمل عقليتها، وثقافتهـــا، وتؤمن بمناهجها ونمط الحياة التي رسمها، وأعتادت أسلوب الإدارة التي وضعها، وهلم جرا.

لإلقاء الضوء على معالم وآفاق السنغال ماضيًّا وحاضرًا ومستقبلاً يتحتم علينا دراسة بعض وجوهٍ وأعلامٍ خلفت تراثًا وذكريات خالدة، وتركت على أديم الدولة علامات بارزة كلّها بطولة، ووطنية، وعقيدة، حاول النظام القائم طمسهم والإستخفاف منهم بكل قـــواه

وبشتّى الوسائل. وسأحاول تقديم بعض هؤلاء الأعلام، ومقـارنتهم بغيـرهم، ولتمييـز الخبيث من الطيب والحقّ من الباطل.

والجدير بالإشارة هو أن رسالة شيخ التيجاني سه لم تبلغ بعد إلى الجماهير ولا يزال الغموض والغبار وخبث التسويس وصدأ الحقد ونفاق الدعاية عالقة عليها، وأنّـى علـى يقين من أن ضعف مستوى النضج الفكري والوعي السياسي وانعدام النعـرة الوطنيـة وعدم وضوح مقاصده في صفوف أنصاره ومؤيديه، وأتباع والده وهم أضعاف أضعاف معارضيه. هذه العوامل هي أسباب فشل الحملة أو الثورة الإصلاحية.

وكان الهدف من الحملة إنقاذ البلاد من الهلاك والضياع، وذلك بوضع السلطة والدولة على أيد غير أمينة، ولامسؤلة إلا أمام فرنسا، وقد افلتت الفرصةُ، وتمَّ لفرنسا ما أرادت للمتآمرين بعضُ ما كانوا يَحْلُمُونَ. والحقيقة هي أن دور محمد ضياء الذي جازف بإلقاء القبض عليه وطرحه في السجن مرتين، والذي عينه بعدُ سفيرًا بالقاهرة، لنفيِه، وإبعاده، والتقليص من نفوذه، وإخماد همَّة أنصاره وكبح جماح مؤيديه، لم يـربح كثيـرا مـن المغامرة لأنه أي محمد ضياء ، كان يعمل ويسعى ويلعب بالنهار، وسـنغور يتـربصُ الدوائر، ويلعب، ويعبث بالليل، وهكذا انتهت اللعبة، وفـاز سـنغور بمكاسـب هـؤلاء وأولائك، وغنمت الكنيسة، وارتفع شأن رجالتها، وانهزم الإسلام والمسلمون، وخـسروا معركة سياسية مصيرية حاسمة نعيش آثارها الوخيمة ووبَالِها حتى الآن.

ألا ليت الشباب يعود يومًا فأخبره بما فعل المشيب.

إن المقاصد البعيدة التي كان التيجاني ينشدها لم تتّضح بعدُ، لأنـه أدرك أن وعـي ونضج الجماهير عموما ضئيلٌ جدًّ، وأنهم لايضَحُّون بالنفس والنفيس دفاعًا وذودًا عـن هذه الرسالة ــ والناس أعداء ماجهلوا ــ وهم حتى الآن يجهلون عنـه وعـن دعوتـه وفلسفته، ولاأراه بعيدا في خصاله، وسلوكه، وطبعه، وصفاته وأخلاقياته وعمق فكـره، وقسوته في الرأي حتّى على نفسه، لاأراه إلاّ في الصّفّ الأوّل بجانب أولائك الأعـلام الذين أنجبوه، أمثال العلامة القاضي عبد الحميد كَانْ جده من الأمّ، والقرم سيدي الحـاج مالك سه جده من الأبّ.

لقد أَقْسَمَ الإستعمار على أن لايضعَ سلطة مستعمرة على يد من قاوموه وسفكوا دمه وحملوا سبحات شيخ عمر الفوتي، كما لا يمنح السلطة لمن أسلم وجهه لله وهو محسن مثل أحمد بنمب البكي بل يمنح السلطة لسكان الوادي المُظْلِمْ حيث تترنح الوثنية وتتدقّ أجْراس الشرك وتُقدّس أو تُعْبد الصّلبان، أستطيع أن أكتب خطأًوأكذبُ عن التاريخ لايكذب عليه ويعيد نفسه، ومن كذب علي متعمد فليتبوأ مقعده من النّار.

لقد حاول النظام الذي أقامه المسيحي الفرنسي سنغور قتل كل نعرة قومية على عكس الفرنسيّين بفرنسا، واضطهاد كل شعور وطني وضغط كل إحساس عرقي، واتخفّ عنها أزمة خلفت مضاعفات ومآسي، وكوارث، ولامبالاة، وتقاعس، واستقالة جماعية، وتخاذل هادف، ومواقف متفرجة وأصبحت الأزمة مستعصية. ومن مضاعفات الأزمة تفشي مظاهر الفساد، والانحراف، والانحلال الخلقي، وضياع الشخصية، وتداعي كيان الأمة، وكساد القيم، واضمحلال طاقات الدولة، ونكبة قوى الشباب، وفقدان الأمل في المستقبل، وانعدام الثقة على المسؤلين وتسوية حياتهم بموتهم، وتحول كل فئات الشعب من موقف الهجوم إلى موقف الدفاع عن النفس.

إن العقيدة الإسلامية، والأصالة المستنبطة من قيم وموازين الوحي التي إغتالها نظام سنغور، واستخف بأهل العلم والفكر والرأي من حملة الثقافة الإسلامية ومناهج السنة. تصلح الأوضاع الفاسدة دون مشاركتهم في أخذ القرارات ومساهمتهم في ممارسات السلطة. وهذا، نصف قرن من الحكم الفردي والفوضى والدجل كله فشل، وغوغاء، وحسرة، وندم، لعزل أغلبية الشعب عن السلطة عمدًا، وحملة الثقافة الإسلامية بالخصوص. إن المراسيم الرئاسية التي إعتادت الدولة أخذها والتي بموجبها تشريعات الإسلام، وتُمحى كل أثر له في العقول، والقلوب، وبها تُستخفّ وتُهان بتاريخ البلاد وأمجاده وأعلامه وبُطولاته، وتُستبدلُ مناهجُ التربية الإسلامية بتربية ورهْبَنَةِ الكنيسة : واللهجاتُ واللّغاتُ الإفريقية والعربية منها باللغة الفرنسية.

هذه المراسيم لن تُجديَ شيئا ذابالٍ، بلى ! قد تُزيد الطينة بلّةً، وتدفع بالبلاد مزيدًا من التّدهور والإحباط، والسقوط، والاضطراب، والانزواء، والتّمزقّ، والحيرة، واليأس، وفقدان أمل في شفاء أو علاج آجلاً أو عاجلاً.

وهكذا، فورثة نظامه، ومهمتهم مدُّ جذوره، وتعميم آفاته، ونشرُ مبادئه وفلسفته، قد أصيبوا بخيبة أملٍ، ونكسة شديدة، لما أفاقوا من نيامهم، ورأوا طاقات الأمة، وكيانها ورجالاتِها، وشبابَها، تَتَشَتّتُ، وتتفكّكُ، وتتبدّدُ، وتنهض القدرات والخبرات والكفاءات للهجرة، فرارًا من قبضة الأوضاع الجهنمية المرفوضة، إذ، لاطاقة ولاقبل لهم بها.

هكذا رفضت الأمة بأسرها فرض الأمر الواقع عليها، مثل تعدد أحزاب المعارضة، وقبول بعض نواب منها في مجلس الأمة، وتعيين بعض وزراء منها. هذه من مظاهر الفشل الذي مُني به النظام. والأمّة لاتَعْنيها، هذه الممارسات والمراسيم ولايعنيها سقوط أو تغيير حكومة، أو زعامة أو وزير، كما لايعنيها بقاء أحدهم واستبداله بآخر، لأنها في موقف سلبي دفاعي مما يجري في البلاد، ولأن الظروف الرديئة وضعتها في موقف نظارة تتفرج أبطال المسرحية وهم يتكلمون بلهجة لاتفهمها ويلعبون أدوارًا لاتعقلها، ولكنها تصفق، وتساهم بالصراخ، والهتافات، دون وعي لأسباب الكامنة وراء كلّ دورة. ولذا تنصرف وهي خالية البال، دون أقل تأثير عند نهاية المسرحية.

وهكذا، فالنزاعات، والصراع السياسي، بين أحزاب المعارضة والحزب الحاكم لاتعني شيئًا أمام جمهور الأمة، لأنعدام صِلَةٍ أو علاقةٍ تربطها بالسلطة بَدْءًا، بكلاهما في معزل. إن الحل المعقول للازمة ينبغي أن لاينبعث إلا من كِيانِ الأمة، ومن عقيدة ودين الشعب من أرضه، وتاريخه، وقيمه، ومقوماته، لامن وثائق وتاريخ فرنسا وأوربا قاطبة.

إن الحلول المستوردة من أصالة وتاريخ، وقيم أمم مُغَايِرَةٍ لاتجدى أبدًا، ولن توقف تدهور الأوضاع، أوتخفّف من وطئة الأزمة، أو ترفع عن كاهل الأمة، ما أَلَمَّ بها من نكبات، وتعاني من مآسي، وتقاسي من حرمان.

إن ثمة عقبات شتَّى، وإشكاليات جمّةٌ، ويحسّ بها الجميع، ولكن الوعي والوضوح والشعور بها ضئيل نسبيًّا. وهي بالرغم مما عليها من غموض وتعقيدات، من أهم أسباب الأزمة المستعصية التي نعاني من وبالِها وسمومها، بل اَلَمّ من ذلك، انقباض وتعطّل الهمم، وتقاعس الجهود والخبرات، وجفاء العلماء، مقاطعة أهل الفكر والرأي، وسكوت الحكماء، ورفض الزعامات الدينية والتقليدية عن التصريح والقيام بأية مسؤلية، أو تقديم رأي أو مشورة، لإيجاد حلّ، ولو جزئي لمضاعفات الأزمة التي تتفاقم يومًا بعد يوم.

لهذا، فالشباب في شكاويهم يقولون، بأن ظاهرة المشيخة المتفشية والقداسات الزائفة، واحتكار السلطة، وتعدد الأحزاب بلا مبرر أو مصلحة وطنية، والصراع السياسي العديم الجدوى، هي التي تشلّ من طاقاتهم وتبدّدهممهم، وتميت آمالهم، وتصدّ عن كلّ تطور ونشاط للعقل والفكر والإبداع، كما تعوق المبادرات للعمل والإنتاج.

إن النظام القائم في السنغال وهوخليط من بقايا الوثنية والأرواحية المتخلفة الموروثة من تراث الماضي الإفريقي، وبعض ملامح ومبادئ الإسلام غير المفهوم. الإسلام الذي لايَعنِينَا منه إلا الطقوس، والقشور، والجوانب الخرافية، ولاتقبل تطبيق أي مبدإ منه في حياتنا العملية، وممارساتنا الإدارية، وعلاقاتنا الدولية الثنائية منها والعامّة. إن دور الدين حسب مفهوم الدولة يجب أن يقف بباب المسجد والجوامع، وعلى أهله أن يلتزموا تسابيحهم ومنابر زواياهم، ولاحق لمن يحمل مسؤلية دينية أن يعبّر عن رأي في الحياة والإدارة والدولة مطلقًا. هل يمكن أو يعقل لنظام كهذا في بيئة معظمها مسلمون أن يكتب له النجاح والبقاء؟

الدراسات السياسية والإجتماعية تُقِرُّ بأن الأنظمة عندما تشرف على السقوط فإنّ العلاقات والصّلات تنفصم بين أهل الفكر والرأي وأهل الحلّ والعقد وتعجز السلطة في تحريك همم الشعب ويستحيل إستقطاب الجماهير وجمعهم حول مشروع، أو موضوع، ويزداد الإنطواء، والإنعزال، والإستقلات، فتضطرّ السلطة إلى اتخاذ إجراءات وأساليب جديدة، مثل الإغراء والرشوة، والمجاملة والتهديد، والإسراف، والمحسوبية، وتلفيق التُّهم، وتضييق الخناق ومحاصرة معاقل المقاومة والمعارضة، والإكثار من المساوات الكاذبة، وعند الضرورة تلجأ إلى الإغتيالات السياسية، وقمع الزعماء المناضلين، والمنظرين، وقادة حركات العمال، والنقابة، وسدّ أبواب العمل لدى رجال الأعمال.

والتاريخ السياسي يعطي عدة أمثلة توضح لنا هذه الأساليب والإجراءات التعسفيّة. وفاة الإمام أبو حنيفة في السجن سنة 150 هـ/767م بسبب التعذيب والإيذاء لما امتنع عن تولّي منصب قضاء للسلطة الجائرة العباسية ببغداد، وهكذا، توفي الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه سنة 179 هـ/795م متأثرًا بالتعذيب المميت، والإيلام الوحشي، والمعاملة غير الإنسانية من حاكم إقليم المدينة المنوّرة، وبإيعاز من الخليفة العباسي، لمّا أفتى بأنّ

طلاق المكره لايلزم. واعتبرت السلطة هذا الفتوى عصياناً ومعارضةً خطيرةً، وتَحَدٍّ سافرٍ لها، فأمرت بقيده وجرِّه على أزقة المدينة المنوّرة وبمشهد من الجميع كردع وتخويف، وإنذار لكلّ من تجرأ بإبداء رأي أو عارض إجراء من ممارسات السلطة، ووصل النّكال إلى شلّ يد الإمام، وبقي مُعَاقًا، مشْلُولاً، يؤم مسجد الرسول قابضًا يده حتى الوفاة، وكان يسدلها قبلُ.

وقد سيق الإمام محمد بن إدريس الشافعي من اليمن مكبلاً بالأغلال والسلاسل لمثوله أمام الخليفة العباسي، ببغداد، جرّاء أفكاره ومُعارَضَتِه للظلم القائم، ولجأ إلى الفرار من بغداد واستقرّ بمصر بقية حياته بعيدًا عن مركز القيادة، حتّى توفي بالقاهرة سنة 204 هـ/820م.

والقائمة طويلة، لأن الإمام أحمد بن حنبل بدوره توفي بتأثير وتراكم أنواع التعذيب والإيلام عليه سنة 241 هـ/855م لمواقفه المضادة لممارسات السلطة السياسية، وهؤلاء هم أصحاب المذاهب الأربعة، وأعظم فقهاء الإسلام في عصرهم. وماحدث لهم كان يحدث، ولايزال يحدث، ولن تنقطع مثل تلك الأحداث، مادامت في الوجود قوى الشرّ وقوى الخير ومثيلاتها عديدة في تاريخنا السياسي.

ففي السنغال نفت سلطات الإستعمار الشيخ أحمد بنمب إلى غابون حيث بقي تسع سنين، ثم نفته، إلى موريطانيا، خوف إلتفاف الجماهير حوله، ثم أعيد إلى البلاد سنة 1912م ووضع تحت إقامة جبرية بجوربل حتّى يوم وفاته في 19 يوليو 1927م. هذا كله بسبب آرائه، ومواقفه، ووطنيته، ومعارضته للسلطات الوثنية والغازية معًا.

كان مصير شيخ عمر الفوتي أشدّ وَقْعًا وأَلَمًا، وأمرَّ مذاقًا، وقد حارب الوثنية والإستعمار مرغمًا، وقاتل الكفر والشرك حتّى آخر نفس من حياته، وارتقى إلى الرفيق الأعلى محاصرًا في كهوف جبال بَنْجَكَرَا سنة 1864م. كما استشهد الإمام مَبَهْ جَخُ بَهْ (بِصمبُ) في ساحة الوغى سنة 1867م وكان يحارب الشرك والكفر والوثنية، وانهزمت جيوش فرنسا، وفرَّت أمامه عدة مرات. واغْتَيالَ الجنرال فِيدِرْبَه الشيخ أحمد المهدي، وبارز الشيخ أحمد كُونِ انداك سك سنة 1885م. وقتل الفرنسيون الغزاة الشيخ أحمد الأمين دَرَامِ، وسَامُورِي طُورِي، وكادوا يفتكون بالسيد الحاج مالك سِهْ، لولاتيقن وتفطن

بعض النيات الحسنة أمثال صهره الشيخ مُورْ مَاصنمب جنك، وبقي تحت حراسة مشددة حتّى يوم وفاته سنة 1922م، واضطر الحاج عبد الله انياس إلى اللجــوء الــسياسي لــدى الإنجليز بغامبيا لتراكم الضغوط والتهديدات والإستفزازات عليــه ولــم يعــد إلا بعــد مساومات ومعاهدات مع سلطات الإستعمار وعاش في هذا الجوّ المتوّتر حتّى سنة وفاته 1922م.

وقد ألقوا القبض على الإمام لايْ تشاوْ، ونقلوه إلى جزيرة (كُورِي) ريثما يتأكدون من أمره، ثمّ أطلقوا سراحه، بعد تدخل من عدة شخصيات أثبتت براءته من التّهم التي كانت توجه ضدّ الأعلام والشخصيات الدّينية. إنّ قائمة طويلة، ومن العــار محاولــة خلــط أسمائهم، وذكر أمجادهم وبطولاتهم أولائك الذين أفنوا حياتهم في خدمة فرنــسا أمثــال بلِيسْ جَاجْ، كَلَدُو جُوفْ، بِرَاكُ جُوبْ، الأمين غَيْ، مُورِيسْ غِيْ، وسِنْغُورْ وورثة هؤلاء في طول البلاد وعرضه قصد إزاحة الخلط واللبس وتــصحيح الأوضــاع، وتوضــيح الحقائق، ونفي الأكاذيب، والتّهم، والإشكالات، وإستعادة ذاكرة تاريخنا وديننا القويم.

أحاول من جديد، خلال هذا البحث المتواضع، إبراز بعض أعمال ومنجزات أعــلام الهدى بغرب قارة إفريقيا، كمُساهَمَة ضئيلة لإزالة الظلمات المخيمة على صدور الأمة، وطرح الأكاذيب الملفقة، والتاريخ المفترى كذبًا على أجيال عديدة مضتْ.

إن محاولة كتابة حياة ومنجزات وأعلام الهدى بغرب إفريقيا، خطوةٌ جريئةٌ وإقــدامٌ خطيرُ، لأنها عودة حاسمة في خضم تاريخ تراث البلاد، لإستخراج كنوز الحقائق مــن أصدافها، ولامصلحة للقيادة في ذلك، ولذا، فإن المحاولة هذه ليست من مهــامّ ضــعاف القلوب والإيمان، بل، لأولائك الذين لايخافون في الله لومة لائم..العودة إلى عمق التاريخ وتنقيب مآثره لضمان بعث ماضي تراث الأمة، واستعادة أمجادها، إزاحــة التلفيقــات، ووضع الأشياء في أماكنها، مسؤلية ثقيلة.

والجميع يتفق على أن التاريخ الذي يدرس في مرافق التّعليم في كلّ مراحله بــالبلاد هو تاريخ الإستعمار والإدارة والوجود أو الحضور الفرنسي في قارتنا فحسب. فسجلات ووثائق الإستعمار تحتوي على ملاحم ومغامرات وجرائم هؤلاء الغزاة. أمّا تاريخ البلاد، والقارة في غربها، فلم يكتب بعدُ، والقليل الصحيح منه هو بعض ما يتغنى بها، قوَّالــو

الإذاعة، ومغنو الحفلات في المناسبات الوطنيّة والدينيّة. ومن العبث إستهانة دور الإستعمار واستخفاف تاريخه عندنا، أو دور أولائك الذين ربّاهم ودربّهم وكونّهم وكافحوا وناضلوا وساهموا في تحرير فرنسا ونشروا وناصروا لغتنا وثقافتنا وحضارتنا، وقدموا أرواحهم فداء لها في فيتنام وكوريا والجزائر وألمانيا في حربيها، أمثال الفرنسي الأكاديمي سنغور الذي أفنى حياته في خدمتها، وجميع من ماتوا تحت رايتها، وباركتهم وأورثتهم أراضي المستعمرات ومن عليها بعد مسرحية الإستقلالات الزائفة التي منحها ديغول إعترافًا لهم بجزيل خدماتهم، ووضع تحت تصرفهم السلطة، والشعب، ليشلوه في الممارسات السياسية، والقيادية. وفي هذا المجال، أثبت هؤلاء قدرات وخبرات برهنوا بها أنهم فاقوا فرنسا وسلطاتها وإدارتها، وخبرائها في فنّ إدارة الجماهير وكبح جماح قوى المقاومات، وشلّ طاقات القوى العاملة والنقابية وفضّ معاقلهم.

ليس من العدل والإنصاف، وليس من الإخلاص لتاريخ بلادنا اليتيم ضم أحد من هؤلاء في قائمة أعلام الهدى بغرب إفريقيا، إذ، لامكانة لهم، إلا بجانب الجنرال ديغول، جزار قدماء المجاهدين بِتَارُويْ، هؤلاء الذين أنقذوا فرنسا من براثن الأمان، حين إحتلتها، واستباحت رجالهم ونساءهم وأموالهم وأرضهم هذا الجنرال هو وليّ آباء إستقلال السنغال، وسندهم، الذي إليه المرجع والمآب.

أما آباء الشعب وسند الأمة ورصيدها هم أعلام الهدى الذين ألقينا ضوءًا على حياتهم ومنجزاتهم في هذا السفر المتواضع لتمكين كلّ راغب من المواطنين الغيورين بعرضهم وعرقهم ودينهم لكي يعوا ويعقلوا ويميزوا، وحتى لايبقوا عرضة للإستغلال المزمن، فريسة لأطماع الإستعمار، ولعبة بيد أعوانه وممثليه في ربوع القارة.

إن حياة ومنجزات أعلام الهدى بغرب قارة إفريقيا تستحق، لأهميتها في حياة شعوب القارة ولخلودها ونموها ورقيها وازدهارها، بأكثر من سفر وبحث، بل تستحق بأن تنشأ مراكز بحث ومعاهد عليا متخصصة لدراستها وتوضيح معالمها واستخراج كنوز الأصداف من مناجمها. وسنحاول قدر الإمكان أن نعطي لها بعض ما استحقت، لعلنا نسدّ بعض ثغرات بذلك، ونعيد بعض مفقودات من ذاكرة الأجيال الماضية إلى حيز الوجود، وتكون ضوءًا ومنارًا للأجيال القادمة، إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه بالعون والتوفيق.

مناهج إسلامية لإختيار القادة والساسة

الإنتخاب بالمبايعة منهج إسلامي أصيل، تؤيده نصوص القرآن وهدى السّنة، ويعتبر إختيار الأئمة وولاة الأمور من بين الأطر الأكفاء فرض كفاية، ولايُسْتَغْنَى عنه في مجتمع إنساني وفي بعض التجمعات الحيوانية، فإن المجموعة تختار من بينها من يتولى سيادة وتدبير شؤونها غريزيًّا وبتنسيق حكيم وحسن إختيار.

فالإنتظام والإنضباط، والطواعية وحسن السلوك والتدبير آكد وأنجى وأولى بالبشر على غيرهم من الكائنات.

بمناهج منضبطة وطرق واضحة، ووسائل مناسبة ومتوفرة، وظروف ملائمة تجري عمليات المبايعة من الزعماء، ورؤساء القبائل والجماعات الشعبية بصدق وأمانة ونزاهة، بعيدًا عن اللبس والغموض والتطرف والعبث. ويلاحظ في جميع بلدان العالم الثالث وهي مستعمرات سابقة، إنعدام هذه العناصر المذكورة في نُظمها، وهي في معظمها تستغني عن الإنتخابات، لأن الإستبداد والفردية في الحكم هو منهج السائد في أنظمتها.

الإسلام دينٌ، ونظامٌ، ومبادئٌ، وقيمٌ، وحضارةٌ متماسكةٌ، لامكانة للفوضى في مجتمعاته، ولاتستند تنظيماته بالحيل، والكذب، والتّخبط والإرتجال، وإنّما تستند على قواعد ثابتة، ودعائم صلبة قوية، وأركان لايُزلزلها دَوِيٌّ انفجار براكين الدَّجَل والجهل مهما وصلت قوته.

الإسلام لن يستغني عن المبايعة، فقد أخرّت الصحابة رضوان الله عليهم دَفْنَ النبئ إلى اليوم الثالث من الوفاة لإتمام عمليات المبايعة لأنها أَوْلَى وأهَمُّ من الدفن، كلاهما فرض كفاية، ولكن المبايعة أَكدُ ولها الأولوية.

الإسلام يحضّ مجتمعاته على إجراء عمليات الإنتخابات لإختيار قادتها وأئمتها وولاة أمورها من رجالها الثّقاة التّقاة الذين يحبون النّاس ويحبونهم ويثقون بالنّاس ويثقون بهم ويتوكلون على الله بعد أن أجمعوا على رأي في مرشح نزاهته وسهامته مُسلَّم بها لدى غالب الشعب.

وهذه العمليات تجري وتدور حول مفهوم قوله تعالى : { إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون} (النحل، الآية 89). وورد في المأثور قوله : " المسلمون تتكافا دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم، { وأَمرُهم شورى بينهم، وشاورهم في الأمر وإذا عزمت فتوكل على الله}.

المبايعة على السمع والطاعة في المعروف عبادة لاغشّ ولا إكراه فيها. فالرشوة والدعاية الفارغة وتبذير أموال الدولة لكسب أصوات الناخبين، والعبث بها فيما بعد، تتنافى مع البايعة كليًا وخصوصًا في جانبها العبادي، مصداق ذلك قوله تعالى : { إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوته أجرًا عظيمًا } (الفتح، الاية : 7).

الوفاء بالعهد من جانب الطرفين : القيادة والشعب فرض لقوله :

{ وأوفُوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤلا} (الإسراء، الآية : 33).

الغدر حرامٌ، وأقبح أنواعه غدر القيادة والساسة وولاة الأمور. وفي هذا الخصوص يقول في جوامع كلمه صلى الله عليه وسلّم :"لكل غادر لواء يُعرف به يوم القيامة، يقال هذه غدرة فلان" رواه الشيخان والترميذي. والغادر من يغدر بمن عاهده رئيسًا كان أو مقاولاً، أو تاجرًا أو مزارعًا فينصبُّ للغادر لواء يوم القيامة فضيحة له على رؤوس الأَشْهَادِ.

ومن القواعد التي ترشدنا في عمليات الإختبار قوله عليه السلام " خيّار أئمتكم من تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم من تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل يارسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال : لا، ما أقاموا الصلاة فيكم، وإن رأيتم في ولاتكم شيئا تكرهونه، فاكرهوا عمله ولاتنزعوا يدًا من طاعة" رواه مسلم.

هذه مناهج السلطة الإسلامية فإمّها تضع المسؤلية على رقبة كل مكلف في مجتمعه يتحملها أمام الجميع وأمام الله وفوق قوله : "ألاّ كلكم راع وكاكم مسؤل عن رعيته".

فمسؤلية رعاية مصالح الأمة مسؤلية عامّة على رقاب الجميع، كل حسب موقعه وقدر طاقته، ولاحرج أو تكليفًا فيما جاوز حدود الطاقة. العبرة في قوله تعالى :

{ لايكلف الله نفسًا إلاّ وسعها}0البقرة، الآية :286). وبخصوص واجب السمع والطاعة في المعروف فحدوده ينحصر فيما أمر الله ونهى، إذ، لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق.

مسؤلية القيادة والإمامة فوق كلّ المسؤليات وأكثرها ثوابًا عند الله ولذا قال عليه السلام : " أحبّ النّاس إلى الله وأقربهم منه مجلسًا يوم القيامة إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله منه مجلسًا يوم القيامة، إمام جائر". وعليه فمن استعمل المحسوبية والعصبية والقبلية والعنصرية بأنواعها فقد خان الله ورسوله والمومنين، أمّا الإستعانة بالحكم، والقيادة فتكون من أهل الرأي والحكمة والخبرة والتقوى والصلاح وبالعرفاء لأن العرافة حق ولا بد للناس من عرفاء ولكن العرفاء في النّار كما ورد في جوامع الكلم.

ومن المعاونين أفراد قوات الجيش وقوات الأمن والدّرك والإطفاء والصحة والتّربية وحرسة الغابات، وصيد الأسماك والرعي، فالإسلام في حاجة ماسّةٍ إلى كلّ فردٍ بشخصه يستعين به ومن قدرته وحسب طاقته في موقعه عند الحاجة. ويستقبل النصائح والمشورة من أيّ صدر ويستغلها لصالح الجميع، ولذا قال عليه الصلاة والسلام : " الدين النصيحة ! قالوا لمن يارسول الله قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم". ومفهوم هذه الآيات والأحاديث يبين لنا أن فصل الدّين بالدولة خدعةٌ، وكذبةٌ، وخسارةٌ لاتُعوّض، ولن تصلح أمورُ دولة ولا دين لها، ومصيرها الزّوال بالانهيار والدمار، وأوضح مثل لذلك الدول الشيوعية ونظمه التي قامت كثورة إصلاحية على أنقاض الحرب الثانية فقد انهارت كلّها، لأنها كانت ظلمًا وعدوانًا وبغيًا في ملك الله وملكوته، مُنِيت هذه النظم اللادينية بالفشل أما غيرها فقد كتب لها البقاء والخلود.

ودولة السنغال دستوريًا علمانيةٌ لائكيةٌ لادين لها حسب النصوص، بينما 95% منهم مسلمون. { اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو إيتنا بعذاب أليم} (الأنفال، الآية : 31).

يقول عليه السلام : "سيكون بعدي أمراء من صدقهم على كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني وليس بوارد على الحوض، ومن لم يصدقهم على كذبهم ولم يعاونهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وهو وارد على الحوض" رواه النسائي والترميذي.

هذا الحديث أساس شرعية المعارضة السياسية والنضال والكفاح والمقاومة سياسيًا لتغيير وجوه المنكر والظلم والفساد والبغي ردعًا وتعزيزًا. وقد تكون أغلبية سكان بعض دول غرب إفريقيا مسيحية أو ماجوس فحينئذ لايرد عليهم التكليف الإيماني الإسلامي، أما العكس فإنها نفاق ومخادعة فهو مصداق قوله تعالى :**{ ومن النّاس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين. يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا ولهم عذاب أليمٌ بما كانوا يكذبون. وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنّما نحن مصلحون. ألاّ إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون. وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن النّاس قالوا أنومن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لايعلمون. وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزءون اللهُ يستهزئ بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون. أولائك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين. مثلهم كمثل الذي إستوقد نارًا فلما أضاء ت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايبصرون. صمّ بكمٌ عميٌ فهم لايرجعون. أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في ءاذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين. يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كلّ شيئ قديرٌ} (البقرة، الآية : 20 - 7).**

ورد في جوامع كلمة عليه الصلاة والسلام : "لايكون المؤمن مؤمنًا حتّى يكون هواه تبعًا لما جئتُ به". ومثل شعبنا في ظل نظام سنغور وورثته كمثل قطيعة من غنمٍ وماعز وحمر إستنفرت من قسورة، تنشد النجاة والإفلات من الوقيعة في براثن السباع ومخالب الكواسر الذين لايؤمنون بالآخر مثل السوء ولله المثل الأعلى. ويمكن لمن أراد أن يعرف المحنة والأزمة والمعاناة التي تعيشها شعوب غرب إفريقيا والسنغال بالخصوص أن يقرأ الآيات البينات التالية من سورة النساء، فإنها تعكس صورة الشعوب وحالة الأمة مجسدة : **يقول تعالى** :{ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم ازدادوا كفرًا

لم يكن الله ليغفر لهم ولاليهديهم سبيلاً. بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا. الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين. أيبتغون عندهم العزّة فإنّ العزّة لله جميعًا. وقـــد نـــزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حـــتى يخوضوا في حديث غيره.

إنكم إذًا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعًا. الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكـــافرين نـــصيب قـــالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين. فالله يحكم بينكم يوم القايمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا. إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قـــاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا. مذبذبين بين ذلك لاإلى هـــؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيل.اً ياأيها الذين أمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين. أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا. إن المنافقين في الدرك الأســـفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا. إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولائك مع المؤمنين. وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرًا عظيمًا. مايفعـــل الله بعـــذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرًا عليمًا. لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلـــم وكان الله سميعًا عليمًا. إنّ تبدوا شيئًا أو تخفوه أو تعفو عن سوء فـــإن الله كـــان عفـــوًا غفورًا. إن الذين يكفرون باللّه ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريـــدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا. أولائك هم الكافرون حقًا وأعتدنا للكـــافرين عـــذابًا مهينًـــا. والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولائك سوف نوتيهم أجورهم وكان الله غفورًا رحيمًا} (النساء الآيات 136-152). *************

مجاملة واستهزاء مقنع أساس العلاقات

حدثت في نهاية الثمانينات قصة مثيرة تعكس في طيِّها سوء نوايا القيادة السياسية، وروح العداء، ومستوى البغي والحقد والحسد على الإسلام وأهله. وحاصلها هو، أن أحد خلفاء الإسلام وصل إلى باريس في رحلة إستشفاء، فاستقبله سفارة السنغال بفرنسا، وأوصلته إلى مقرّ إقامته بأحد الفنادق ووضع في خدمته إحدى سيارات الخدمة بالسفارة. ثمّ نزل رئيس مجلس الوطن بباريس في نفس الحقبة لمهلة رسمية لدى بنِي عِلاَّتِه، فاستقبل بالمطار، وقِيدَ إلى مقرّ إقامته، ووُضعت خطأ أو عمدًا نفس السيارة التي في خدمة الخليفة تحت تصرف معالي الرئيس.

ذات يوم، همّ بالخروج فلم يجد السيارة جاهزة في انتظاره بباب الفندق وسأل عن سبب غياب السيارة، فأخبر بأنها في مهمة لدى الخليفة العام، فاحمرت عيناه، واكفهر وجهه، واشمأزت نفسه، ورمى قلبه شررًا كالقصر غيظًا وكاد يحتنق من شدّة الغيظ. ومن ثمَّ أصدر بالفور أمرًا بإعادة السيارة والحذر من تكرار هذا الخطأ المهيمن الذي يُسيئ إلى كرامة الدولة وشرف كبار رجالها. كيف توضع سيارة رئيس مجلس الأمة وثاني شخصية في الدولة تتحت تصرف شيخ ديني؟ إنكم تجهلون عن قانون مراسيم الدولة والتشريعات الجارية عندنا ! وربنا يعلم أن شيخ الإسلام المشار إليه كان خالي الذهن، وكان جاهلاً عن وجود سيارة في خدمته، ومن حضور فخامة رئيس مجلس الأمة بباريس! فلمّا علم الشيخ وقُصّ عليه القصص، إعتذر، وتأسف، ودعا الله العفو والعافية من مغبة الأمور.

ولما وصلت القصة لدى مسامع الجالية المريدية اخبروا زعيمهم هاتفيا بالواقعة فأمرهم بشراء سيارة مناسبة لمقام الشيخ ووضع سائق محترف عليها وجميع اللوازم تحت تصرف الخليفة، والعناية به مدة إقامته، ووعد باتخاذ الإجراءات الرادعة لإزالة العدوان. ولما عرف وزير الدولة جَانْ كُولِينْ بالأمر وموقف شيخ طوبى قام باستدراك الأمر، وسارع إلى أخذ إجراءات فورية لإخماد جذوة الغضب قبل أن تتحول المسخرة

إلى حميم آن، على أجهزة الإدارة السياسية. وبعد عودته بأيام فقط عزل وطـــرد مـــن رئاسة مجلس الأمة، كما أبعد من مجلس الوزراء حتّى الآن.

هؤلاء المُتَطِّعُونَ هم نماذج، أرضنا غنية بهم، {هم الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد} (الفجر، الايـــة : 8-11). هـــل يعقل في بلد 96% منهم مسلمون مثل هذه الحادثة المغيرة، على أنبل وأمثل أبنائه؟ طبقة باغية تمثل 5% من سكان البلاد تحكم على الأغلبية وتتبجح وتتجبر وتتعالى على السادة الذين أبوا الا يعيشوا إلا كرامًا، نزهاء، أمناء، أباة، كماة، أحرارًا مسلمين.

هذه الطبقة تسيطر على السلطات والأجهزة الحساسة ووسائل الإنتاج كلهـــا. وســـدّوا أبواب محاكم الشرع وألغو أحكام الشريعة، وحكموا بالإعدام على القيم التاريخية. إنّهـــا تطلب من الأغبية الصامتة ثمنًا للإعتراف بها، القيامَ بفرنسة قلبها وعقلهـــا وضـــميرها وذاكراتها وشعائر دينها لأشباع رغبة فرنسا وهوى القيادة السياسية. إن الأغلبية جاليـــةٌ أجنبيةٌ في عقر دارها، تُحْرَمُ من أَتْفَهِ حقوق المواطنة ومزايا الجدِّ والإجتهاد، تحت شعار الائكية الكاذبة. إن الظلم مهما طال فإنه، لامحالة يزول وينقلب وَيْلاً على أهله.

{ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون} الشعراء آخر آية في الـــسورة (شـــعراء الآية : 227).

العظّة المستقاة من القصة تلقى ضَوْءًا على مدى تهوّر ومستوى بغض القيادة وشـــدة جهلهم بقواعد السلوك، وعُريهم بمن زيّ الأخلاق وسمات النبل وفقرهم المدقع عن قـــيم الّدين والأصالة، وضلالهم البعيد في غياهب الحضارة المادية الزائفة الجوفاء.

إنّها قصص تكرر في كلّ مناسبة تلتقى فيها وُجهَاء دينيين بالساسة، رجال الدولـــة، يُمطرون عليهم وابلاً من عبارات السخرية والإستهزاء عزاءً وسلوةً وإســـكاتًا وتبريـــدًا لهيجان الدماء، وثورتها واستنكارها لما آلت إليه حالة البلاد، والإسمئزاز من قبح الأيدي الملطخة التي تتولى أمورها. إنّهم حملة ثقافة فرنسية ورسالة تتحصر تاريخيا في فرنسة البلاد والشعب، ومحو معالم الأصالة والعقيدة والشخصية، واســـتبدالها بقـــيم حـــضارية مستوردة، وثقافة مستعارة، وشخصية مهانة مـــشوهة جوفـــاء لا أصـــالة لهـــا، إنهـــم

منخدعون، يأخذون الأحلام وقائع ويعتقدون أنهم خالدون. البعثات الرسمية التي ترسل لحضور حفلات مولد النبي عليه السلام وتهنئة زعماء الدين أكبر مسخرة ومهزلة، وكثيرا ما يكون رئيسها مسيحيًا يُنكر نبوة محمد بن عبد الله ورسالتًه ص. هذه مجاملة إستهزاء مقنع مسموم،وربّى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

مناهج إستعمارية موروثة لإختيار القادة السياسية

حسب التجارب الموروثة من فرنسا وهي قبلتنا وأُسوتنا، تختار القيـادة بالإنتخـاب، ويجرى إثر حملة يشرح خلالها المرشح برامجه وخطط سياسته ويعرض على الجمهور نواياه لتطوير البلاد من حالات التخلف إلى حالة تقدم. وتحدّ مـدة الحملـة الإنتخابيـة بمرسوم، وتنتهي قبل يوم الإقتراع بيومين أو أكثر ريثما تضع الحرب أوزارها.

والمرشحون هم فقط، أمناء الأحزاب المعترفة، ويمنع قانونًا منعا باتًّا إستعمال شعيرة دينية وبالأحرى ذكر علم من أعلام الدين في الحملة وهكذا كلما له علاقة أو تأثير ديني تؤثر في الناخبين الائكيين. هذه قوانين مستوردة من فرنسا تطبق علينـا بحـذافرها، وكانت المبايعة تحت الأيك شريعتنا وحضارتنا قبلها، فنبذناها وراء ظهرنا. بينمـا فرنسا في مجال الحملات الإنتخابية تعطى فرصة لكل المجموعـات الدينيـة وغيرهـا للتعبير عن رأيها ومواقفها، وتنظم روادها حتّى يؤدوا بأصواتهم دون إزعاج أو تـأثير سلبي من الساسة على قمة الدولة، هم غالبًا فرمسة ملحدة لاتتورع ولاتستحي! الفرديـة والأنانيّة والحِيَل والخدع للوصول إلى السلطة هي الوسيلة والغايـة لـديهم ويغـامرون بالنفس والنفيس، ويهلكون الحرث والنسل إن دعت إليها الضرورة، وصولاً إلى الغايـة وهي السلطة.

فمعيار الإنتماء القومي، والديني، والنزاهة والصلاح لاعبرة لها ولا تؤخذ بحـسبان، فالمعتبر هي الثقافة الفرنسية والهندام والشهادات وشبهها. تلك خلاصة المنـاهج التـي ورثناها من فرنسا المستعمرة، وقد جاوزنا فرنسا في تطبيق هذه القواعد وأردفنا إليهـا عِبء ءًا ثقيلاً مثل سفك الدماء والإغتيالات، ونسف البيوت، وحرق المـساكن وطـرد أعضاء المعارضة، من مناصبهم، وحرمان المستحقين من الوصول إلى أية مزيّة مـن الدولة.

واستعمال المحسوبية والتفرقة والعصبية والقبلية وسلبيات أخرى مضرة مثل التهديد، والإضطهاد والتنكيل. لقد عاشت دول إفريقيا السوداء حديثة الإستقلال هذه الملاحـم أو المغامرات مدة نصف قرن، وتعودها واستساغت شغبها ومآسيها واستأمنتها، وليست في

نيتها البحث عن مناهج بديلة، لأنها فقدت كل علامة أورسم تاريخيٍّ تعيدها إلى تراثهـا وأصالتها، فهم أيتامٌ مساكينُ، لاَفِكْرَ ولاعلم ولارأي ولادين لهـم بـالمعنى الـصحيح، فالمعتبر هو أوامر فرنسا فهي المرجع ومآب.

إن الحضارة المادية أبعدتهم عن الحق والخير والجمال ولن تصلح أمـور أمتنـا إلا بالعودة الحاسمة إلى أصالتنا الإفريقية الإسلامية، نقتبس الهدى من مناهج سلفنا الأعلام، الذين حرروا عقولنا وديارنا وبذلوا أرواحهم ودماءهم فـداء للـشعب والـوطن، حبًّـا وورحمةً بنا وإيمانًا منهم بالمجازاة يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

إنّ نتائج الإنتخابات التي جرت في مستعمرات فرنسا في النصف الأخير مـن قـرن العشرين مهزلات وتفاهات ومسرحيات خَسِيسَةٌ لاقيمة لها. والخصم فيهـا هـو الحكـم والمرشح الوحيد المنزه عن معارض أو مراتب يفوز آليًا. والعادة الجارية هـو إعـلان نتائج الإقتراع والبتّ فيها قبل وصول القوائم، إرضاءًا للمرشح ومنحه نسبة 99% مـن أصوات الناخبين.

وهكذا في الإنتخابات التشريعية، ولهذا فالنواب أشبه بقنافذ ألهاها نور القمر. مهمتهم التصفيق والتصويت على اَتْفَه مبادرة من القيادة، والمصادقة على المعاهدات والإتفاقيات دون وعي أو فهم أو تردد. وقد بدأت رياح التغيير تهبّ مع تعدد أحـزاب المعارضـة وأصبحت القيادة قلقة مضطربة لاتثق بنفسها ولا بأحدوتتّهم بعضها البعض، علمًا منهـا بأن وسائل الخدع والمكر إستفذت وجاء الحق وزهق الباطل.

ولاأرى لها منجي أو ملجأ من الفشل إلا إليه، مهما طالت عمليات اللفّ والدوران. إنّ محاولة علاج الداء بالداء والسقم وسيلة بدائية سخيفة متخلفة تتعاطاهـا الـنظم الفاشـلة المعاقة بداء التقليد الأعمى والإنقياد المرتجل.

العودة إلى الأصالة الإفريقية الإسلامية سر الخلاص من التخلف والمعاناة الدائمة.

قبل صدور الكتاب جرت إنتخابات رئاسية في البلاد إنتهـت بفـوز أحـد أحـزاب المعارضة وهو الحزب الديموقراطي السنغالي بزعامة عبد الله واد مؤيدا فـي الـدورة الثانية من الإنتخابات بحزب السيد مصطفى انياس وبقية الأحزاب المعارضة التقدميـة، وقد أيدت الأحزاب الإنتهازية الحزب الحاكم وعلى رأسهم حزب السيد جِيبُو ليت كاه.

وانهزم الحزب الحاكم ومؤيدوه، وأرى لزامًا أن أضع صورة لما جرت لأنها بداية نهايةٍ لنظام ظلم خلقته فرنسا ووضعت المسيحي سنغور حارسا أمينًا لها على رأسه.

ولما توفي سياسيا خلف ورثة تفانوا في خدمته وضحّوا بالنفس والنفيس في تخريب مكاسب الشعب ودس مآثر البلاد، والعبث بمقدساتها حتّى أتى الله بأمر من عنده، فسقط نظامهم، بدأت أركان هذا النظام تتهاوى وتتطاير، وتتناشر من كل وجهة دون مقصد. ومن هذا نرى أن الحكومة العادلة والنظام المستقيم يبقى ويدوم ولو كان كافرًا. أمّا النظام والحكومة الظالمة المستبدة فتزول وتضمحل ولو كانت مومنة ومسلمة باعتبار الإيمان والإسلام متنافيان مع الظلم والعدوان. وتلك حاصل ما جَرى في البلاد بتاريخ 19 مارس سنة 2000م، وكان متوقعًا من جميع أفراد الشعب عدا أنصارُ البغي والطغيان والإقطاعية الدينية المتحالفة، والبرجوازجية، والجاليات الأجنبية والمرتزقة ومن في حكم وسيطرة هؤلاء. وجرت الأحداث كما يلي في السطور التالية : يقول تعالى : {واصبر وما صبرك إلا بالله ولاتحزن عليهم ولاتكن في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} (النحل آخر أية منها).

سقوط نظام المسيحي الفرنسي سنغور بعد نصف قرن من فرضه

إثر نهاية الحملة الإنتخابية، وعمليّات الإنتخاب يوم السابع والعشرين من شهر فبراير 2000م، أظهرت نتائج الإنتخابات في الدورة الأولى عدم فوز الحزب الحاكم لأوّل مرّة منذ نصف قرن.

وفي التاسع عشر من شهر مارس من نفس السنة جرت إنتخابات الدورة الثانية بين الحزب الحاكم برئاسة عبد جوف، رئيس الجمهورية، ورئيس حزبه، وبين المحامي عبد الله واد، رئيس وزعيم المعارضة وسكرتير عام الحزب الديموقراطي السنغالي المعترف به سنة 1974م والذي خاض للمرّة الرابعة معارك إنتخابات لرئاسة الجمهورية وأخرى تشريعية وبلدية، وقد فاز فيها بنسبٍ عاليةٍ، ولكن الحزب الحاكم كان يصادر النتائج غصبًا وقسرًا ويعلن قبل فرزها وإتمام عمليات الحساب، فوزه بأمواج إذاعته وصحفه وجرائده.

ويقوم مؤيدوه بمظاهرات شاغبة مداهمة وإظهار السرور والفرح بهزيمة المعارضة، وانتصار القيادة الخالدة المؤيدة من قبل الزعامات الدّينيّة المحالفة مع قوى الرجعية والإستبداد والمؤامرات والتواطؤ، والإفتراء، والسعي فسادًا في الأرض.

ففي هذه المرّة الرابعة، وفي الدورة الثانية أعلن عبد جوف فوز الحزب الديموقراطي السنغالي وهنأً سكرتيره العام هاتفيًا وأعلم بهذا الفوز أجهزة الإذاعات والصحف، هذا قبل فرز النتائج وإعلانها رسميًا من الجهات المختصة كالعادة. ولاشك أن الرئيس كان على علم بما يدور في خُلْدِ حزبه ضدّه شخصيًا وضدّ الشعب الذي كان مستعدًا لمطاردته وإبعاده من قصر الجمهورية مهما كلفت من تضحيات في الأرواحِ. وذَوْدًا عن نفسه وعن أهله، وأقاربه ورؤوس الأموال المسروقة وأرواح أعوانه، قام بهذه المبادرة اليائسة لإنقاذ روحه وما ذُكِرَ من مغبة ثورة شعبية عامّة شاملةً، وحربًا مدنيةً مؤكدةً لاتعرف مدى خطورتها.

وكانت إرهاصاتها مشرفة محدقة ترى بالعين المجردة على وجوه الشباب وأفواههم إستطاع عبد جوف بمساعدة بعض أعوانه، ووزرائه الإفلات من مساوى وسموم مغبة نظامه الظالم البغيض الذي لم يُخلّف إلا خرابًا ودمارًا في الأموال والأنفس والثمرات والأخلاق خصوصًا، حيث إنتشر وتفشى الإنحلال والتبجح والفجور والفساد في كلّ شيئ، وعمّت اللامبالاة واللامسؤلية أجهزة الدولة، وأصبح الفوضى والرشوة وأكل السحت والربا قاعدة عامًا في المرافق كلّها.

لمَّا اطّلع عبد جوف بالسيل الجارف وبالمدّ البحري الهائج نحو قصره، بادر بالإعتراف والإقرار على هزيمته أمام إرادة الشعب العازم وأخلى قصر رئاسة الجمهورية قبل وصول تيار غضب الشعب ضدّ وجوده ونظامه البغيض.

والغريب هو تنكره وادعاؤه أنّه لم يكن يعرف بما يجري في البلاد، بما فيها رئاسة الجمهورية. وقد استطاع أعضاء حكومته ومدير والمؤسسات وشركات الدولة والساسة المحترفة تحويل المبالغ التي كانت في حسابات الدولة إلى خارج البلاد، إستعداد للهروب من نقمة القانون وثأر الشعب وانتقام الجمهور.

ما كان الشعب ليرضى بالفوز على نظام الطغاة فحسب، لكنه إلى الآن، يطالب محاكمة المجرمين وتقديمهم أمام العدالة، ومصادرة مختلساتهم من أموال الشعب، واستعادة ما حوّلوها خارج البلاد من مبالغ تُقدّر بمئات مليارات، بين مُقوّمات ونقود وعقارات في أوربا وأمريكا.

والذين يعرفون مدى تأثير الإيمان بالشعب السنغالي يدركون لماذا لم يقم، فور إعلان عبد جوف بالهزيمة بفتكه وتمزقه إربًا إربًا. بالنظر للفساد والعبث والخراب الذي حكم البلاد سنوات عديدة، وهو يرقد وينعس كالعوانس، لايعبأ بالحيّ ولا بالميت، ما كان أحد من العقلاء يقرّ بصحته النفسية والعقلية. وعلى كل، فإنّ الرئيس الجديد، وهو أعقل، وأفضل منه، وأقرب للإنسانية، أصدر فور وصوله إلى السلطة قرارًا بالعفو عنه وعن أعضاء أسرته، ومنح لهم حصانة تحميهم عن المتابعة قانونًا. بالنظر إلى الجرائم والسرقات والفساد والإغتيالات التي إرتكبها أعضاء حكومته عمدًا، وهو يدعى الجهل بأتفه ما كان يجري في البلاد من فوضى وفتن.

إنّ العفو الذي أصدره الرئيس الجديد لصالحه، لو كان هو مكانه ما كان ليصدره، وقد ألقاه في السجن عدّة مرّاتٍ دون ذنب أو مخالفة، واتهمّه بجرائم لم يرتكبها وحسبه ظلمًا وعدوانًا مرات عديدةٍ. ولو لم يبادر بالإعتراف بالهزيمة لكان هو في هذه المرّة الضحية الأولى من جرائم حزبه المعتادة. في مثل هذه الظروف الإنتخابية وقد أجهز أحد أنصاره بثلاث أفراد أثناء حملة الإنتخابات ولم يَرَ بأسًا في مواصلة سير سيارته مع الموكب، لأنه فوق القانون ولأنه في حماية النظام، ويقرّ بالتصريح أنّه يجهل عن هذه الحوادث، ويجهل أيضًا عن رفع مرتبات نواب مجلس الأمة والشيوخ، وعدم توظيف خريجي المدرسة العليا للأساتذة، وانتشار البطالة ومعارضة جادة، وفساد في الدولة والإدارة، بل كان يجهل عما يجري في داخل مكاتب رئاسة الجمهورية.

تلك هي اللامسؤلية أو الجنون المطبق أو على الأقلّ فقدان التوازن النفسي والعقلي. وما كان حينئذ مؤهلاً برئاسة أسرة وبالأحرى دولة قانونية. وكان أعضاء حكومته كمجموعة من قرود جائعةٍ في مزرعة بُقول هائلةٍ. أمّا الأمر بعدم سماحة أعضاء حكومته ومديري المؤسسات من مغادرة البلاد، فتلك من قرارات عبد جوف الذي أمر

بتجميد حسابات الدولة قبل إقراره بالهزيمة بأقلّ من ساعة. وهذا يدلّ على أنه كان على علم باللصوص والمجرمين المحيطة بقصره، والذين يظاهرون له بالنصر والتأييد. إن إعترافات هؤلاء بالجرائم المرتكبة في حقّ الشعب لاتعفيهم عن العقاب ورد الحقوق المختلسة إلى الشعب. وما أدري حاجة إنسان واحد ولد في العالم الثالث في بلاد من أَفْقَرِ دول العالم وفي أحضان أسرة ترزح حتى الآن في أحشاء فقر مدقع، ما حاجة فرد كهذا إلى مِئَةِ مليارات؟؟!!

إنّ مسؤلية النظام والحكومة الجديدة لَجِدُّ ثقيلة لأن تَركةَ نظام عبد جوف مستغرقة بالديون والورثة مساكين، أطلق الشعب سارحهم من سجون الظلم والبغي مؤخرًا فقط ولعل النظام الجديد يطبق عليهم قاعدة الغرم بالغرم والغنم بالغُنْمِ، فلا أرى في قانون العقوبات جزاءًا عن جرائمهم أو حكمة تدرأ عنهم العذاب. فجرائمهم جاوزت متوقعات تقنياتنا. كما جاوز حَدَّ المعقول، ولاتملك السلطة الجديدة إلا مصادرة ما بقيت من فضلات بأيديهم أو تقتلهم أو ترميهم في السجون للأبد، أو تنفيهم من البلد، حسب أحكام القرآن على أولائك الذين يسعون في الأرض فسادًا، فجزاؤهم هي تلك العقوبات المذكورة أعلاها. أضف إليها أن لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم. وبخصوص إستعادة المبالغ والمليارات المسروقة يبدو من المحال إحالتها إلى البلاد لأن قوانين بنوك أوربا وأمريكا تحمي المبالغ والزبناء، وتمانع من إستيراد الودائع بغير رضى مودعيها.

وعلىكلّ، فإن السلطة الجديدة لن تقف أمام هذه المساوي مكتوفة الأيدي، وإلا أضحت أضحوكة أمام الرأي العام الوطني والعالمي.

قد يعقل إصدار عفو جزئي وحصانة لصالح عبد جوف وأسرته أمّا العفو عن أعضاء حكومته واللصوص والمجرمين منهم فلا يعقل بتاتًا. إنّ أي تهاون في هذا الخصوص يخلّ من توازن السلطة الجديدة وينقص تأييد الجمهور، ومُنَاصرته لها في خطتها وبرامجها مستقبلاً.

أمّا المعاملة مع زعماء الطوائف المراوغين الإنتهازيين الذين ديدنهم هومكالبة السلطة ومصالحتها ومناصرتها ظلمًا وعدوانًا دون تحرج.

فالمعاملة مع هؤلاء يجدر بالسلطة الجديدة إعادة النظر فيها بالنظر إلى المخاطر التي تؤديها على الشعب ومصالحه العامة. إن الأكاذيب والإفتراءات التي يفتريهـا زعمـاء الطوائف على الله وعلى الشعب عمدًا إفتضحت في هذه المرّة، وبانت حقيقـتهم وخيبـة آمالهم وأضغاث أحلامهم، وادعاءاتهم معرفة الغيب، وأنهم يبيتون في الملكـوت وأنّ الله لايفعل في ملكه شيئًا دون مشورتهم، هذه الأقاويل بان واتضح زيفُها، وتأكد الشعب أنها محضُ الشرك بالله والجهل عن الألوهية.

إن مكالبة المشيخة ونُظُمَ الظلم والفساد، والكفر والفسوق والعصيان تمشي حثيثًـا نحو مصيرها المحتوم. فقد سقط نظام المسيحي الفرنسي سنغور، وورثتـه الفرمـسة بقرار من الشعب وبتأييد إلهي، وهكذا عاجلاً أو آجـلاً، ستـسقط الإقطاعيـة بـزي المشيخة طوعًا وكرهًا مهما أصروا وتكالبوا مع قوى البغي والطغيان. { إنّ الله مـع لذين اتقوا والذين هم محسنون}.

الفصل الثاني

الديانات الإفريقية (المعتقدات)

أ ــ الوثنية البدائية : الأرواحية. وهي إعتقاد متصور في طبيعة الأشياء، تــوحي بأن لكل شيئ في الوجود روحا، وأن هذه الأرواح تختلف قوةً وضعفًا وسحرًا وتأثيرًا فيما حولها، ومنها أرواح خيرة تدفع الضرّ والأذى وأخرى شــريرة تجلــب الــشّر وتضرّ، ولاترى بالعين المجردة لأنها خيال وتخمينات وأحلام وأوهام ... تفتدى بهــا وتقدم لها القرابين، وتنصب لها التماثيل وتقام لها طقوس ...

الشدّة اتصال الإفريقي بالطبيعة وذوبان نفسه فيها جعله جزءًا منها، يقدسها وأخيرا يعتقد بها ويعبدها، لأنه عجز عن تفسير رموزها وفكّ ألغازهــا، وفهــم أســرارها، وتبسيط غوامضها، وتشخيص أشباحها، وتسكين عواصفها، وتعليل سكونها الصَّامِت، ولَمِّ أفاقها اللامتناهية في وحدة مبلورة لطبيعة قوى كامنة في كل شيئ حيًــا كــانَ أو جامدًا، وللأشياء تأثيرات ومفاعيل في النفس، وتلك القوى المؤثرة هي التــي حــدت بالافريقي إلى الإعتقاد بأن منشوده في الطبيعة، ومن هذا المنطلق تَاهَ طويلا وضَــلَّ عن سواء السبيل، وعلى فجاجه وقف قرونا يستأنس نارا يقتبس منها الهداية ليواصل رحلته الروحية نحو الغاية المنشودة. سادت الأرواحية المتصورة في طبيعة الأشــياء الحية والجامدة حتى وصلت الديانات السماوية الى القارة من الشرق مهــبط الــوحي ومركز الأنبياء والكتب المقدسة والحضارات السماوية وصلت اليهودية والنــصرانية بلاد الحبشة ومصر وشمال إفريقيا قبل الإسلام، ولكنها لم تتوغل لأنها ديانات قوميــة عرقية رسالتها غير كونية، ولذا بقيت في مهدها لعوامل يرويهــا التــاريخ ويعرفهــا الراسخون في العلم والمستنبطون من الكتاب المبين. فاليهودية البائــدة والنــصرانية المحرفة لاتختلف عن البوذية في طقوسها وقداساتها وألغازها البعيدة عــن المنطــق والعقل. فالأرواحية الإفريقية أقرب منها إلى الطبيعة لأنهــا أبــسط وأقــرب فهمــا واستجابة للطبيعة ولاتتناقض معها كثيرا. ولما وصلت عقيــدة الإســلام بقواعــدها المبسطة المسلمة منطقيا على صحتها وتناسقها وانــسجامها وملائمتهــا وســماحتها وعالميتها ووحدتها مع الطبيعة إعتنقوه براحة وحسن قبول، لأنهم طبيعيون فأصبحوا

دون حرب مسلمين كأن لم يحدث إنقلاب أو إنتقال من عقيدة لأخرى بل حصل لهم فهم جديد أصَحٍّ لطبيعة الأشياء.

كلمة عن الأعلام

أ ـ أعلام الهدى، شخصيات وطنية، علمية، ثقافية، تاريخية، إسلامية عظيمة : تحمل أرضُ الوطن سماتهم وبصماتهم، وتتجلى معالهم براقة لامعة في كل رسم. وتكنّ لهم القلوب والعقول والضمائر إجلالا وتقديرا أسبابه مسجلة ومنقوشة في ذاكرة تاريخ البلاد، تتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل، إلى ان يرث الله الأرض ومن عليْهَا.

* أعلام الهدى شخصيات وطنية، أهدت بحياتها للوطن، وبذلت النفس والنفيس من أجله، وخلّفت من جلائل الأعمال، مفاخر الذكريات ومكارم الأخلاق، معاني الأمجاد، تراثا لايقوم إلا بالدماء الزكية التي سقت بها تراب الوطن، دفاعا عنه وتخليدا لكرامته، إعتقادا منها بأن حبّ الوطن من الإيمان، وأن الحياة لن تطيب في ربوع الأرض إن لم تكن حرة كريمة، عزيزة الجانب، مرفوعة المكانة مقدرة الكلمة.

* الأعلام شخصيات وطنية ضحت بنفسها، وكرست حياتها، وسخت بدمائها، وأفدت بروحها ثمنا لسيادة الوطن وخلوده حتى غدا يرى في مصاف الدول شامخا كالأعلام. لولاها لما كانت ثمة أرض بحدودها، وشعب بسماته، وحكومة تحكم، فهم الأركان، وهم الدولة حقيقة.

ب : أعلام الهدى شخصيات علمية أعطت للعلم من حياتها ماستحق من عناية وبذل وجهد حتى سادت هيمنتُه وآثارُه أفكارَ الجيل، وبانت في الأقوال والأعمال والعلاقات والمعاملات الفردية والجماعية، وعلى كل المستويات. علاقة الأعلام بالعلم صيّرتها رواسي شامخات ومنارات لايغيب ضوئها، وشموس لايعتريها الأفول. وهم كما قال العلامة :

وهم النجومُ لمقتد بسمائهم   بدر الدجى منه انجلاء ظلامي

إخلاصها ووفائها للعلم بوّأتها المكانة المرموقة وجعلتها عَلَمًا للآخرين. وحملة الشهادات الجامعية والإجازات العالمية عليهم أن يُبرهنوا ويُعطوا للوطن والأجيال

حججًا بالغةً تُثبت وتُؤيد صدقَ دعواهم، تنعكس وتُشَخِصُ على الأرض الواقع فحوى تلك الشهادات وفوائدها للناس. إن من الصعوبة بمكان خرق حـائط قـوى الجاذبيـة كناموس للطبيعة والدخول في أمن وطمأنينة في حظيرة الأعلام، الذين يـشير إلـيهم الرحمة المهداة عليه السلام بقوله : أصحابي كانجوم، بأيّهم إقتديتم إهتديتم، مـصداقا لقوله : { أولائك الذين هدى الله فبهداهم إقتده} (الأنعام : 89).

من أشد الأمراض التي تصيب وتُؤَدي بالجماعات البشرية فَتْكًا، الانحـراف عـن الجادة، والإلحاد بنبذِ القيم والعقائد والتعلق بالمادة وتقديس آثارها العارضة مـن أثـر عوامل الطبيعة.

وعلاقة أعلام الهدى بالعلم والطبيعة علاقة منسجمة متّسمة متّزنة، ليـست فيهـا عوجًا ولا أمتًا، فهم بين الناس السادة القداة، فهم الحكماء أهل الحـلِّ والعقـدِ بـالعلم والعزم والهدى والتقوى والصلاح.

* أعلام الهدى مناجم الأمة، وعُلماؤها، وحملة علوم الوحي، ولاياتي منهم إلا الخير والبرّ، لقوله عليه السلام :" من أراد الله به خيرا يفقهه في الدين".

* أعلام الهدى، ورثة الأنبياء في مهامهم وتبليغ رسالاتهم. فانصياع الخلـق وانتمائهم بالإنقياد الطوعي والتعلق بهم وبتعاليمهم وارشاداتهم وتوجيهاتهم، شـروط ضرورية لنجاح الفرد والجمعة.

* أعلام الهدى، خلفاء الله في الأرض وهم الحجّة البالغة بين الباري والخلـق وهم لسان الأنبياء المبلّغين عنهم، فهلاك الفرد والجماعـة رهـين بتـوهين أمـرهم واستحقاق شأنهم، واستنكار حالهم، والعبث والخنـوس والتـشويه والتـسويس بهـم وبرسالاتهم.

* أعلام الهدى، مربوا الأجيال، معلمو الخلق، ومرشـدو القـوم، لايـشقى بهـم جليسهم، يحبون الناس ويحبونهم، فهم عمداء المدارس القرآنيـة وقرائهـا ومكونـو الرجال ومدربو الأبطال، وصانعو المستقبل وواضعو الخطط والمناهج التـي عليهـا مسير الأمة وأمنها وآمالها وتقدمها وازدهارها.

* أعلام الهدى هم الذين مهدوا الأرض ووضعوا اللبنات الأولى والأسس التي عليها قامت الدول والحضارات، وانبثقت من آثارها القيم والمزايا والثروات المادية والفنية والعلمية وغيرها.

الأمة مَدينَةٌ لهم بالإجلال والتبجيل إعترافا وإقرارا منهم بالفضل والبتضحيات، والمنجزات، والتراث القيم التي خلفوها للإنسانية. حدود رسالة الأعلام العلمية لاتقاس، لأنها جاوزت تصورات هذا الجيل المنحرف بعيدا عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون.

* الأعلام شخصيات علمية ملئت مؤلفاتهم خزائن القارة ومكتباتها بكتب قيمة، في جميع فنون العلم والمعارف التي كان العصر يعتمد عليها في دينهم ودنياهم. وقد برعوا وسادوا وأفاقوا معظم علماء الدول المجاورة : وبذلك بذلوا قُصارى جهدهم في سبيل نشر تلك العلوم بين أبناء القارة بمناهج وطرق عجزت بالتالي عن تكوين علم واحد يمكن مقارنته بأحد شموسنا في فن من فروع العلم الصحيح النافع في حياة الجميع ومماتهم.

الأعلام هم حفاظ كتاب الله قراءةً وتدريسًا وتطبيقًا وتبليغًا كما طلب النبى عليه السلام بقوله : " ألا بلغوا عنّي ولو بآية". إستجابة لهذا النداء النبوي، أنشأ الأعلام مدارس ومعاهد وجامعات كونّوا فيها عباقرة، جهابذة، فلاسفة، فقهاء، فضلاء، سادوا الخلق وهم القضاة القفاة، السرّاة، لم يسبق في تاريخ القارة وجود مثلهم، ولن يجود الدهر بمثلهم في المستقبل القريب بهذا القطر اليتيم.

* أعلام الهدى في القرن الماضي كالنجوم كثرةً ودلالةً وهدايةً وإنارةً، لاتسع أضخم سجلات المطابع قوائمهم. وغزارة علم أحدهم الزاخر كموج البحر، تفوق بكثير علوم الأقزام التي يعتزّبهم العصر الحديث، عصر الذرة، وأسلحة الدمار الشامل، وغزو الفضاء الخارجي، والصواريخ وغيرها مما أبدعته وأنتجته العلوم الحديثة المادية المجردة عن الروح، والتي بها تتباهى وتتبجح جامعات الغرب الأوربي والعالم الشيوعي.

* علوم الأعلام شملت الفقهَ والعقيدةَ والتوحيـدَ والاجتمـاع واللغـة والأدب والتّصوف والنّجوم والطّبيعة والمفاوضات في الظروف الطارئة والقاهرة، وقد عبّروا عن علمهم بالنثر والشعر، وبرعوا في هذه الفنون وابدعو، وفاقُوا غيرَهم فـي نـشر العلم كمًّا وكيفًا حتى صار عصرُهم عصرَ علمٍ وعملٍ وصلاحٍ وتقدمٍ وازدهارٍ. فآثار منجزاتهم وجلائل أعمالهم ومحامد أفكارهم ومكارم أخلاقهم، تقي الجيـل شـرَّالجهل والكفر والضلال وتحميه عن الجوع والفقر والمرض والخوف. علوم الأعلام كانـت تستجيب لحاجات المجتمع وتشبع رغباتهم، لأنها جمعت في طيّهـا جانـب الـروح والطبيعة والمادة دون تفريط وإفراط. انشأت جامعات ومعاهد ومدارس في كل بقعـة من الغرب الإفريقي، وفرضت حصارا منيعا وسدّا محكما على سبيل الجهل والأمية، وتيارات الشرك ورياح الوثنية والأرواحية، وصدعت الأثان ونسفت الأصنام، وأقامت مكانها أركان دين وشريعة قوامها التوحيد في الرؤية والعقيدة، والعمل، والغاية فـي إطار أخوة وتعاون وتكافل ومساواة لم تعرف الصور نماذج أو مثل عليا تدنوا منهـا جمالا وجلالا.

ومن جامعاتهم الشهيرة : جامعة تمبوكتو العتيقة بجمهورية مالي حاليـا والتـي أنشأت أيام أمبراطورية مالي (1043-1555م) وهي أوّل جامعة من نوعها فـي غـرب القارة الإفريقية، وقام بزيارتها كثير من علماء المغرب مثل الرّحَالـة بـن بطوطـة المغربي، وكتب عنها المؤرخون مثل البكري والسعدي وابن خلدون. ومـن أشـهر علماء هذه الجامعة العلامة الكاتب أحمد باب التمبوكتي الذي فسر القرآن الكريم فـي ستين مجلدا، وأسرّه المنصور الذهبي السعدي وقيدّه بالأغلال والسّلاسل وساقه الـى مراكش لتزيين قصره وإثراء دولته بالذهب والعلم والفرسان السود المـستوردة مـن مالي التي خرب بنيان دولتها بحثا عن الثروات والعبيد والذهب باسم الـدين. ومـن علمائها العلامة الشيخ المختار الكُنْتِي الكبير الذي كتاباته تزخر وتزهُو بهـا مكاتـب العالم الإسلامي وإليه ينتسب شيخ جامعة بتلميت شيخ سيدي الباب ت: 1924م (تلميـذ المختار الكنتي) وجامعة نمساد لمؤسسها الشيخ محمد الفاضل، والد الشيخ سعد أبيـه

(1917) والشيخ ماء العينين (1910)، وجامعة عــزوات وأدوار ومــدارس الكنتيــين بجمهورية السنغال ونجير.

هذه الجامعات كلها ولدت من جامعة تمبوكتو الأمّ، ويمكن إضافة أخرى إليها مــن جامعات شمال القارة لولا الخوف من التعصب والتحيز والأخذ والردّ من غير طائل. وعلى كل، فإن جامعة تمبوكتو المباركة أنتجت مــن الأعــلام والخيــرات الجمّــة، والبركات المدرِّة، والفيوضات الربانيّة، ما تتنعّم بها الأجيال حتى الآن.

– ومن جامعات الأعلام الجامعة الإسلامية التي أسسها الإمام القاضي المدرس العلامة : عمر فال بمنطقة (بِيرْ) سنة 1628م إثر عودته من إقليم فُوتَ طُورُو، وبــلاد موريطانيا، حيث قضى جزءا هاما من حياته بحثا عن العلم.

وأريد أن أتوقف شيئا ما على أطلال هذه الجامعة التي خرّبها ورثة الجنرال القائد الغازي المستعمر فرعون فرنسا وطاعون إفريقيا، فِيدرْبَهْ الملعون المبجّل لدى حملــة الثقافة والسخافة الفرنسية. وحدث التخريب سنة 1864م بعد إخلاء المدينة من سكانها، وقام فِيدرِبَهْ بعد الحادثة المأساوية بحملة طاغية ضد مدارس القرآن فــي المــستعمرة وأحرق ودمّر وخرّب خلالها أربعين ألف مدرسة قرآنية، بأمر من وزارة المستعمرات بفرنسا، قصدوا إحلال الفرنسية محل اللغات واللهجات المحلية بما فيها لغــة الــوحي واستعباد الشعوب. وتعتبر جامعة بيرْ الإسلامية أوّل خليّة جامعيّــة وأهمّهــا وأكثرها إنتاجًا في القطر السنغالي، إذ مرّبها معظمُ مؤسس الجامعات الأخرى أثنــاء دراساتهم. وقد مرّ بها على سبيل المثال جميع أئمة الدولة الإمامية بفوت طورو وهم (34) إمامًا، وآخرهم الأمير الإمام عبد القادر كَانْ الذي إغتاله الترارسة ســنة 1881م بمنطقة وَالُو، وانتهت بالحادثة وجود دولة إسلامية في فوت إلى اليوم. واحتل فرنــسا الأمامية سنة 1891م وضمنتها إلى باقي أجزاء المستعمرة.

كما مرّ بها مؤسس جامعة كُوكِي الإسلامية الشيخ مختار نُومْــبِ جُــوبْ (-1783 1701م). وهذه الجامعة لها أثرٌ كبير مباركٌ واسع في نشر العلم، وخصوصًا فنّ النّحو وعلوم القرآن والمعني والبلاغة، وتوجد بكوكي أعظم مدرسة قرآنية في هذا القــرن لمؤسسها القرم العلامة الشيخ الحاج أحمد صغير لوح (1903-1988م) وبمدرسته حاليــا

ثلاثة آلاف طالب يحفظون القرآن ويدرسون العلم، إستعدادا منهم لحمل لغة الــوحي، وتبليغ مضمونه إلى الأجيال القادمة.

وجامعة كوكي تحدّت الزمان والمكان وفرضت وجودَها وخُلودَهــا بفــضل هــذه المدرسة القرآنية التي أنشئت على أطلالها سنة 1939م والتي يرتادُهــا حاليــا أطفــال القطر المالي، الموريطاني، الغامبي والسنغالي بالخصوص، قصد الارتواء من معــين القرآن واستظلال من حدائقه الوارقة الغناء.

والأعلام الذين تلقوا دراساتهم من جامعة كوكي من أشهر نجوم الهدى وأعلامهم، وسنتعرف في الفصول التالية إن شاء الله.

والجدير بالذكر أخيرا هي جامعة جِلُونْ الخيّرة المشهورة المباركة وهــي حقيقــة وارثة جامعة (بير الإسلامية) بعد تخريبها من طرف القائد الفرنــسي فَيدِرْبَــهْ ســنة 1864م، ويعود سبب الوراثة إلى كون معظم علماء فوت في حينها من خريجي جامعة بِيرْ الإسلامية وهناك أسباب أخرى يحسن بيانه، مثل الوشائج والصلات الدموية بــين الشيخ مؤسس الجامعة والفوتيين وهم أخواله ومربوه في ديارهم ولذا عــادت تركتــه العلمية إليهم زِدْ على ذلك الجدارة والتفاني في طلب العلم من أهالي فــوت طــورو المسلمة.

ومن كبار عمداء جامعة جلون الوارثة الشيخ العلامــة المفــسّر الــشهير تفــسير ماصَنْمْبَ تَشَامْ العلم المفرد الذي بتوقيعه وإمضائه يكرم المرأ أو يهان وهــو مربــي الشيخ العارف بالله مَامْ مَحْرَمْ بَكِ جدّ العلامة الشيخ أحمد بنمب بكِ، وقد مرّ به كبــار أعلام البلاد في نهاية القرن 17م وبداية 18م، وكان رضي الله عنه يعتبر جسرا صــلبا ممتدا بين العالم العربي والإفريقي، وكان محكمة إليها يعود تفصيل كل شيئ يتعلــق بالعلم والفضل. وصلاته بالأسر الدينية ينبغى العناية بها للإستفادة منها ولتبليغ الأمانة إلى الأجيال القادمة، وأشير في هذا الخصوص إلى أن الصلات قربى بأســرة شــيخ عمر الفوتي، والعارف بالله الشيخ الحاج مالك سِهْ، والحاج عبــد الله انيــاس، علــم التدريس والتبليغ وعميد البيان بين علماء السودان وعلاقاته في عصره إليه المرجــع

والملآب. وكان بحذائه أعلام قد لاتقلّ عنه شأنا، لكنّ لواء الحمد كان بيده دون منازع، في فن من فنون العلم والمعرفة.

وقد استطاع القرم الصنديد الحاج مالك سه إعادة بناء ماخربه القائد الجهنمي فِيدرِبْهَ، وأنشأ جامعات وجوامع في كل من جَارْندِ، سانتلويس وتواوون، أعاده إليها تركة الجامعات المخربة ومخلفاتها ومفقوداتها بطرق ووسائل حكيمة في وقت كانت تيارات البغي والعداوة تجتاح القارة وتحطم كلما تقف في طريق سيلها الجارف.

ولا شك في أن زوايا الحاج مالك تعتبرجامعات ومدارس طرق التربية والتكوين فيها أخطر وأنجى من تلك التي كان الملعون فِيدرِبْهَ يحتاط لها ويتربص بها الدوائر وانتهى بتدميرها خوفا من عواقبها وحقدا. ومن هذه الجامعة تخرجت مقاومو الطغيان الفرنسي الإستعماري والغزو الثقافي والكبرياء العرقية العنصرية وسلبيات البيض الأوربيين.

ويمكن القول بأن معظم مقاومي القرن العشرين من خريجي جامعاته ورواد زواياه، وآثار تعاليمها وتوجيهاته وإرشاداتها تحمي البلاد والدين والعلم وإلى يومنا هذا، وما لحقتها رياح التحريف وعواصف طغيان المادة، والإلحاد، بفضل الإجراءات الحكيمة التي وضعتها لحماية الرسالة الملغاة على عاتقها، وإلى هذه الجامعة تحجّ وفود العلم والسّاسة والقادة للفصل وطلب الرأي والمشورة في تدبير شؤون العامّة والخاصة.

وإذا ثبت علميا وتاريخيا أن الشيخ مام محرم من تلامذة الشيخ العلامة المدرس ماصَنْمْبَ تشَامْ يمكن أن نقيم علاقة انتماء مدارس طوبى بمدارس فوت طورو المنتسبة إلى هذا العلم الشامخ المفرد العادل التقي بَكٍ بُصُ، والشيخ العارف بالله أحمد بنمب بَكِ من أعلام هذه المدرسة التي صارت فيما بعد طريقة صوفية رائدة في البلاد، وينتمي إليها جمع غفير من أبناء البلاد، ولهم في عدة أقاليم معاهد تعليمية نشطة لكن نشاطهم في مجال الزراعة ووالتجارة والتصدير والإستيراد أهمّ من غيرها وخصوصا في الحقبة الأخيرة. وعلاقة هذه المدرسة الطوبوية بقادة الإستعمار الساسة بعد الإستقلال معروفة. فلها اليد الطولى في حملات الإنتخابات وتعيين وطرد الولاة

والوزراء وكبار الموظفين، كما يتدخلون ويتوسطون في كل ما يجــري فــي الــبلاد لمساعدة المنتمين إلى جماعتهم للوصول إلى السلطة والثروة، ولذلك فهم أغنى الناس وأكثرهم ثروة بفضل التضامن والتعاون والوحدة في العمل والهدف والظلمة، فقــوى المريدية كامنة في إيمانها الموحد بقيادتها وتعاضدها في أكف القيادة دون أي إعتبار، وبغض النظر عن إيجابيات وسلبيات القيادة بخلاف رواد المدارس والطوائف الأخرى في البلاد، ورغم هذه المزايا والنشاطات المذكورة، فالجانب العلمي والروحي والديني يشكلون فيه النظم السياسية ألف حساب لتاريخها المليئ بــالعبر والعظــة والمأســاة والملاحم مع سلطات الاستعمار، وهكذا مع السلطة بعد الاستقلال. فالمريديــة دولــة وجامعة، قوة دينية إجتماعية ثقافية تاريخية لايجوز استهانة أمرها بحال من الأحوال.

وجامعة مدينة جَامَلْ بإقليم سَالُمْ من أهمّ الجامعات، وهي جامعة ملتزمة، وقــد مرّ بها جماعة كبيرة من فحول العلم والفقه والأدب واللغة أمثال العلامة الشيخ عمــر أنْدَوْ وعميد مدرسة دَارُ السَلاَمْ المشهورة الملتزمة أيضا بالخطّ السني المحايد المقتبس من الشيخ الحاج عبد الله سيس مؤسس جامعة جَامَلْ وشيخ أعلام منطقة ســالم. وقــد وتعلم الشيخ عبد الله سيس من علماء بتليمت لدى الشيخ سيدي الباب وعاد إلى البلاد وأسس مدرسته الجامعة، وكرّس باقي حياته في التدريس والإعداد.

وبرز في المجال بروزًا قلّ مثله فيه، ويجدر الإشارة إلــى هنــا إلــى أن جميــع المدارس والجامعات والزوايا تعود في أصولها إلى جامعات موريطانيــا والمغــرب وليبيا وتونس على تفصيل طويل، وأعلام منطقة سالم كثيرة ومتميزة عــن غيرهــا بميزة الإلتزام السني، وحب الإستقلال حيث يقوم كل منها بإنشاء مدرســته، ومدينــة جامعته الخاصة، في مقاطعة معزولة عن غيرها.

أما باقي مدارس الأعلام فهي الأسباب وعوامل تاريخية لم تطل ولم تستطع مقاومة العصور، فاضمحلت واندثرت مع الظروف ونذكر منها مدرسة أَنْدَرَامِ وانْجُورُ لــدى الإمام القاضي مَبَهْ جَخُ بَهْ، والإمام العلامة المفسر صاحب ضياء النيرين الحاج أحمد دِمْ في سُوكُونْ والحاج عبد الله كَانْ سليل الشيخ عبد الحميد كان أتباع الحاج مالك سه وشيخ عمر الفوتي وكذلك الشيخ العلم الفرد العارف باالله مُعّاذْ كَهْ الذي يوجد أكبــر

أعضاء أسرته بغامبيا الشقيقة، ويحسن الإعتراف بأن جامعة الشيخ الحـــاج عبــد الله انياس حازت قصبة السبق وأحلت مركز القيادة بين الجامعات في إقليم سالم المـــسلم رغم عنف المقاومة، وشدة إصرار الجامعات الأخرى في مجال العلــم والتـــدريس، والتأليف، وتعود أسباب رئاستها إلى صعوبة مبارزة شيخين علميين من أبناء الحـــاج الله وهما الحاج محمد أمينة وشيخ الإسلام إبراهيم انياس.

– العلم والوطنية والصلاح من أقوى مميزات وسمات الأعلام الثّقّاة، والـــورع والزهد والتقوى من أهم وأنجح اسلحتهم التي قاوموا بها أعتى أسلحة الدمار، وأشـــد تيارات الغزو الفكري والثقافي الذي اجتاح القارة وتغلغل في عروق وشرايين أبنائهـــا وخالط دمها وخامر مُخَّها وصارت أسيرة يتيمة مكبلة في غياهب ســـجونها المبنيـــة بلبنات فرنسية.

الأعلام هم الدّرع الواقي والحمى والملجأ الأمين، ومعاقل الأبطـــال، وثكنـــات الجيش، ومخابئ العدّة والعتاد، وهم الملاذ في الشدة والرخاء من البأســـاء والـــضّراء وحين البأس. وهذه من مميزاتهم عن غيرهم من الساسة الماسكين بزمام الحكم، ورثة السلطة الثقافية الإدارية السياسية من مربيهم ومرجعهم الجنـــرال ديغـــول المـــستعمر الجزار.

الأعلام قوة هائلة صامدة لها هيمنة في العقول والضمير الجمعـــى، فلـــو أمكـــن إستغلال نفوذها، وإمكاناتها العلمية ورصيدها الوطنية، وخبرتها الميدانية، ماعانينا هذه الأزمات القاسية وما أصبنا بخيبة أمل شامل وفشل ذريع في جميع المجالات، ولم يبق أحد يأمن أحدا في شيئ.

إنه كما قال الحريري :

لم يبق صاف ولامصاف   ولا مُعين ولامَعين
وفي المساوى بدا التساوى   فلاأمين ولاثميـــن

وقد سيطرت شرذمة قليلة من ربائب فرنسا على السلطة السياسية، بخطة مدبرة منها قبل مغادرتها البلاد شكلا فقط، ودبرت، ودربت هذه الشرذمة وودعت مـــصير الأمة بيدها، بينما تحكم علينا من وراء ستار.

إستطاعت فرنسا وضع هذه الخطة، ونجحت في تطبيقها فلم يبق أحد يأبى الذّلّة والضّيم، بل القاعدة العامّة هي الارتماء في احضان هذه الطاغية والاستسلام لها، والانقياد الأعمى، والسباق لكل ما يرضيها دون وعي أو إدارة.

فقد خسرت الأعلام المعركة ضد الغزاة عسكريا ولكنها إجتماعيا لاتزال هنالك صولات وجولات، والمعاناة المزمنة، وانعدام الثقة في اللقيادة السياسية والحيرة والحسرة الشاملة أدل دليل يؤيد سوء المصير، وضرورة العودة إلى الأعلام، لأن الأوضاع لن تستقيم دون مشاركتهم في الحكم، ولن تهدأ ثروة النفوس، وغليان الضمائر، مادامت هذه الثلة تملك نواصينا وبيدها مصيرنا ومستقبل أولادنا وبلادنا، وليسوا إلا نوابا وكلاء يمثلون فرنسا في ملكها ورعاياها، ويحرسون لها تراثها الثقافي الإداري الإقتصادي، كالمرتزقة، وكذئاب في زيّ رعاة . همتهم الكَبْتُ وَكَبْحِ جماح الشعوب { فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنّهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون} (الأحقاق 35).

ج : الأعلام شخصيات ثقافة أصلية، تتبع ثقافتها من المحيط والوسط الإجتماعي، فهم يعلقون ويفهمون الشعب ويعلقهم ويفهمهم الشعب التفاهم والتجاوب والإنسجام بينهم في تناسق تامّ .

الأعلام يعيشون مع الشعب على ضوابط ثابتة مشتقة من صميم الطبيعة البيئية، وأساس ثقافتهم هو القرآن وجوامع كلم المصطفى عله السلام . إن ثقافة مستوردة من أمم مخالفة، وحضارات وعادات وأعراف وتقاليد مغايرة لمضمون الوحى وقيم الدين ومرامى جوامع الكلم لاتجدى ولاتنفع في حلّ مشاكلنا ومجاوزة أزماتنا ومعاناتنا المزمنة.

ثقافة الأعلام تعبير دقيق عن أصالتنا وضميرنا ودعامة عظمى نخاطب بها، ونعبّر عن أحلامنا وآمالنا بها، لأنها القادرة على أداء وتبليغ مكنونات العقول والقلوب، وتشخص دوافعنا، وبواعثنا، وانفعالاتنا وتترجمها للوجود دون جهد جهيد، لأنها من

ماديات ومقومات الشعب، وبها نُغَنِّى ونــشعر، ولا نَنْفعــل إلا بنغماتهــا وألحانهــا وموسيقاها. الشعب والوطن العزيز يضحيان بكل غال ونفيس في حماية ثقافته، رغم معارضة حماة الثقافات الغربية الأوربية الذين يعتقدون أنها نزلت وَحْيًا من عنــد الله، وأن الله وملائكته لايخاطبون إلا بالفرنسية، وأن معاني الحضارة الكونيّة بهــا فقــط تُجَوَّدُ وتعبّر لذلك استحال التفاهم وامتنع التجاوب بين الشعب والقيادة في هــذا البلــد اليتيم، بين براثن وأنياب السباع ومخالب الكواسر، ياويلتاه !

* الأعلام بالنظر إلى تضحياتهم ومنجزاتهم وبطولاتهم، وتراثهم القيم، وجسامة أعمالهم، ومسؤولياتهم، وثقة الشعب بهم، وأملهم المعقود على عاتقهم، وتعلقهم بذيولهم حُبًّا واحترامًا لهم، فهم في الواقع أبطال تاريخ البلاد وأمجاده، وعزّته وفخــره فــي الداخل والخارج. فمضمون تاريخ هذا البلد هو أعلامُه، وبدونهم فلا تاريخ لنا بتاتًا.

* فالأعلام شخصيات تاريخية عظيمة يسهل خلطهم ببعض أعلام ضحّت بحياتها لمصلحة البلاد وحريتها وكرامتها وماتت من أجلها : أمثال الملك لَتْجُورْ كُونِ لاَطِــرْ جُوبْ وجَيرِ سَاجُ الأبيّ العِصَاميّ الذي أعطى لفرنسا دروسا لاتُنْسَى عند ما ذَبَحَ القائد الفرنسي بمدينة تِيسْ لما أهانه هذا الأخير، وأراد أن يخدعه ليفتك به ويغتاله.

فدارت الدوائر ضد الخائن الفرنسي، وكذلك الملك الأبيّ أَلْبُورِي انْجاليْ فإنّه قــد فضّل المنفَى والموت حُرًّا من الوقوع في براثن وفخوخ قوات فرنسا الغازيــة التــي قتلت بِدِقْلِهْ خَالَهُ الملك لتجور كون لاطر جوب.

هؤلاء الأعلام رغم أرواحيتهم ووثنيتهم أفْدَوْا بأرواحهم وضحّوا بحياتهم دفاعا عن الوطن والشعب، فما استغلّوا أحدًا ولم يمثلوا أحدا ومانفذوا أوامر فرنسا، ولم يساوموا أرض الوطن، ولم يوقعوا معاهدة حماية ولم يستسلموا ولم يستجيبوا لنداءات وهــزات وزلزال دبابات فرنسا. فهم أعلام تاريخية وطنية إستجابت لنداء الوطن وأنّات الشعب، وماتُوا شهداء في سسبيل الحمى الغالي. ولهذا فهم من صانعي تاريخ البلاد الصحيح، وليسوا من ممثلي فرنسا وعملائها ووكلائها في القارة، أولائك الذين يعيشون بخيرات البلاد وضمنَ لهم البلاد كل شيئ، ولم يقدموا لها أي عمل أو دور يمكــن ذكــره أو تسجيله في وثائق التاريخ. هؤلاء لايستحقون أن يحملوا لقب الآباء. أنقلبــت الآيــة

وغدت البلاد آباء جدد وأعلام خلقت من نسج الخيال يبدوا أنهم أوهام أو شخصيات خيالية لاوجود لهم أصلا، بل هم وَشْمَةُ عار على جبين الشعب يشمئز منهم التاريخ إلى الأبد ويستعد لإعادة المياه إلى مجاريها الطبيعية، دون أسف أو خسران.

*الأعلام شخصيات تاريخية عظمى تفتخر البلاد والشعب بهم وبمآثرهم، فحياتهم كلّها باقةُ أَوْسِمَةِ شرف ونبل ووثائق التاريخ تزهو وتتباهى بجلائل أعمالهم ونتائج معاركهم، وضخامة تضحياتهم وجسامة منجزاتهم في سبيل تخليد البلاد ورفع عَلمها خفاقا يرفرف على عنان السماء لتزينها.

خاضت الأعلام معارك شتى دفاعًا عن الشرف والكرامة الإنسانية، لما وصلت جيوش فرنسا الغازية تتقدمه رجال الكنيسة بزيّ رأفة ورحمة ورهبانية إبتدعوها لخداع الشعوب واحتلال أراضيهم واستغلالهم، وسلب خيرات بلادهم، قصدًا تعمير أوربا على حساب البلاد المغلوبة على أمرها.

فالمعارك التي سجَّلَهَا التاريخ، والتي كانت أرضنا ميدانًا لها جرت بين الأعلام الإسلامية، والغزاة الفرنسيين المسيحيين، ولافرق بين الجندي الغازي، وعلى كتفه الصليب، والراهب الذي يخطط ويرسم ويمهّد له الطريق، ويوحي إليه بأسرار القوة ونقاط الضعيف لدى الشعوب المصلوبة. لم يسجل التاريخ إلا بعض معارك بين الملك دَمِيلْ مس تِندَ، مَاكُودُ، وبِرَمَا ضد الجنرال فِيدِرْبَهْ بخصوص إقليم كجور فقط. أما باقي المعارك كلها فقد جرت بين أعلام الهدى بغرب إفريقيا والغزاة، رسل الكنيسة وخدّامها وعملائها في استرقاق واستعباد البشر، واتنزاف خيراتهم باسم الدين المسحي، وتحت راية الصليب، فالمعارك الذي جرت بين شيخ عمر الفوتي والقائد الفرنسي بُولْ هُولْ، كانت هائلة ودامية، سقطت أثناءها كثير من الأبطال الأعلام وخاض غمارها كل من أَلْفَا عُمَرَ بِيْلاَ، وأَلْفَا عُمَرَ آجْ، وغيرهم من الأبطال المجاهدين، وانتهت هذه المعارك بطرد أحمد شيخ من شِيغُو ونَفيه إلى بلاد الكامرون ونيجيريا وتشتت جماعاتُه وأُسِرِ أحدُ أسباط الشيخ الفوتي طفلا بِشِيغُو حيث عاش وتربّى بفرنسا وغَدَا ضابطًا كبيرًا في الجيش الفرنسي، وقد مات بفرنسا ونُقلت رفاته بعد الوفاة بقرن تقريبا لدفنه لدى مقبر أقربائه بالسنغال. وهكذا المعارك التي جرت

بين نفس القائد بُولْ هُولْ والإمام الكبيرمَبَهْ جَخُ بَهْ بإقليم سالم، ومعه ضباط ومرتزقة أوربيين وأفارقة، فهزهم وشتت جموعهم، وفرّ منهم الكثير بينما ماتت أغلبيتهم. ولايمتري إثنان في عبقرية الإمام مبه جخ وشخصيته التاريخية، ومواقفه الحاسمة، وعنجهيته وعنوده وإصراره في تحقيق أهدافه، وشدة عزمه وحزمه وتوكله على الله.

وكذالك معارك الشيخ أحمد الأمين دَرَامِ الذي إغتالوه خدعة بعد معركة حماية الوطيس هلك أثنائها وسقطت في الدرك الأسفل من النار كثير من مرتزقي فرنسا الغزاة المستعمرين.

وكذلك حروب شيخ احمد المهدى الذي إستشهد بأرض جَامْبُورْ بَصَنْمْبَ سَاجُ، معه قائده الهمام رمز البُطُولَةِ الشجاع الحيدري، رافع راية إسم الجلالة والصلاة على النبي على مسامع العدو اللّدود، بالسيف والقلم والسبحة، البطل الباسل الليث الكفور، الشيخ اَمَرِ كُونِ انْدَاكْ سِكْ، زعيم أهل الله بِجِنَبَهْ واستشهد الشيخ سَرِنْ انْدَامْ بَلَّ سكتِ بنفس اليوم الذي مات فيه شيخ أحمد المهدي، إثر خلاف بسيط بينهما فيما يتعلق بمشروعية الحرب وضرورة مشاركة الجميع فيها، ولما اشتد النزاع وأصرّ على مَوَافِقِهِ شيخ جَامْبُورْ قتله شيخ أحمد لأسباب استراتيجية. وشارك في هذه المعركة شخصيات إسلامية بارزة بجامبور منهم : الشيخ العارف بالله أبوبكر امباي والد العلامة أحمد الكبير امباي الذي توفي بعد المعركة بسنتين عدة، أما الشيخ أحمد الكبير فقد توفي سنة 1946م. ويمكن ذكر المناوشات والمناورات، والاستفزازات، والمباغتات بين الإمام سليمان بَالْ وغزاة فرنسا. وكان الإمام يمنع مرور قواتهم وقوافل باعة العبيد، وتجار الجنس والإنس عبر أراضي الإمامية. وقد شهدت سجلات فرنسا بهذه المواقف المشرفة وأثبتت عَدَالَةَ نظام الإمامية ــ والحق ما شهدت به الأعداء.

كما تجدر الإشارة إلى طرد ومنفى الشيخ الحاج عبد الله انياس وإجباره على مغادرة وطنه وأهله بضع سينين قضاها بغامبيا وفرضوا على شيخ الزوايا التيجانية الشيخ الحاج مالك سه إقامة شبه جبريّة في المدن الكبرى لمراقبة حركاته وسكناته وتنقلاته وتصريحاته، وتعليماته، وأنصاره، وأتباعه، وبقي في هذا الوضع طيلة

حياته، حتى وارى التراب رضي الله عنه سنة 1922م بتواوون. ويمكن من بعيد ذكـــر المجاهد أحمد سامُورِي طُورِي الذي حارب فرنسا بأراضي غينيا ومالي وأخيرًا ألقت فرنسا القبض عليه أثناء معركة، ونفاه إلى غابون حيث توفي سنة 1902م، وقد التقـــى هناك بالشيخ البكي العارف بالله مؤسس المريدية شيخ الأباة التقاة، زعيم المجاهـــدين، رمز المعارضة والمقاومة، وسند المناضلين الذين لايخافون في الله لومة لائم، أحمـــد بنمب بَكِّ رضي الله عنه.

ويعتبر لدى الغزاة ألّد أعداء فرنسا، وأخطر المقاومين المعاندين لها وهـــو آخـــر ضحايا هذه الطاغية التي عبثت برجالنا ووطننا، وداست عليهـــا برجـــسها وخبثهـــا وأدناسها. وآثار الخبث لاتزال على رؤوسنا عالقة. نفت غزاة فرنسا وبغاتها الـــشيخ البكي إلى غابون لمعارضته الحضور الفرنسي على أراضيه، وشدد على معارضـــة خططها الرامية إلى استعمار البلاد، وانتهى الخلاف بفيه سنة 1895م ولـــم يعـــد مـــن المنفى إلا سنة 1902م ، ومن غابون نفي ثانيا إلى موريطانيا، ثم عزل بقريـــة جَيَـــينْ وراء عاصمة جُلُوفْ سِينِينْ، ثم نقل ووضع تحت إقامة جبرية بجوربل حيث تـــوفي سنة 1927م.

ولا داعي لذكر الشيخ حمى الله شهيد القرن والجيل، وهو موريطاني الأصل مـــن مدينة نعمة، عاش بمدينة نِيُورُ العُمرية بالمناطق المتأخمة على السودان : بلاد مـــالي حاليا. فلما الْتَفّ حوله الجماهير خافت سلطات فرنسا منه، وحرشـــوا عليـــه بعـــض العملاء المعاونين التجانيين. وانتهت الغزاة بإلقاء القبض عليه، ونقلوه إلى بَامَكُو، ثـــم إلى داكار، ثم الجزائر، ومن ثَمَّ إلى فرنسا حيث توفي مقتلوه ودفن بقاعدة عـــسكرية تسمى تُورِينْ سنة 1943م وعلى ذيوله تتعلق بعض التجانيين أمثال الشيخ الحاج بوبكر بَهْ ورواد مدرسته بغرب القارة المعارك التي خاضتها العلام والحروب الطاحنة التي ضحّوا بأرواحهم وخاضوا أغمارها جعلتهم شخصيات تاريخية رغم أنف نظام ورثـــة ديغول وغزاة فرنسا ونظام سنغور السائد المدعم بالفرنسية.

لقد رفض نظام سنغور منح لقب بطل وطني لأحد أعلام الهدى واحتجّ بإسلاميتهم وأصالتهم، ومنشأ ثقافتهم ومنبع علومهم ومواقفهم الوطنية الممقوتـــة لـــدى فرنـــسا

وعملائها وولائها، وصرح بوجود أبطال وطنية آخرين من الـــوثنيين الأرواحيـــين، وادّعى بأن لهم إلا الأولوية والأسبقية اللأحقية وعلى هذا الأساس المقنع فضل مـــنح هذا اللقب الوطني البطولي لأحد عبدة الأصنام والأوثان، من وضع وتقليد هذا الوسام الشرفي على أكتاف أعلام الإسلام، لأنّه بذلك يجرح على كبرياء الغزاة المـــسيحيين الفرنسيين، ويحدث إخلالا في قاعدة المساواة وقانون الائيكية والشريعة الموروثة من فرنسا، وانتهى الأعداء. إن آثار الحروب الصليبية المستمرة والتي تحمل ثقافة فرنسا وقيم حضارتها بذورها ونتاجها، تتغذى بها جميع حملة تلك الثقافة أحبّوا أم كرهـــوا. أما هؤلاء الأفارقة السود حملتها فَهُمْ أَجْفَى خلق الله وأشدهم عداوة للإســـلام وعلـــى رأسهم سنغور الذي مثّل فرنسا أحسن تمثيل وقدّم لها خدمات جلّـــي، وربـــط بـــلاد السنغال بعجلتها إلى البلاد، وأراق دمه وغدا جثة هامدة جوفاء.

وبالرغم من الإنتصارات المتتالية ثقافيا، وإداريا وإقتصاديا، فإن الإســـلام ينمـــو ويترعرع، ويزدهر وينتج، وتزداد الجوامع والمساجد وعدد المعتنقين فـــي تـــصاعد مضطرد، والأعداء يدركون ذلك ويغيرون خططهم واسلحتهم وبرامجهم واستراتيجتهم بالإستمرار لحصار الظروف المتوقعة وغيرها، لشنق الإســـلام وخنـــق المـــسلمين بإبعادهم عن السلطة وحرمانهم من مزاياها بكل الوسائل، وهكذا شكل جيشا جـــرارا من أبناء الإسلام لتنفيذ الخطة، وقتل أهاليهم بأيديهم، وهكذ أصـــبحت الحـــرب بيننـــا والغزاة منّا والضحايا، والخسارة، ألم يأن لهذا الشعب أن يستفيق ! يا حسرتاه !.

* الأعلام شخصيات إسلامية يبدو أنهم في عصرهم ســـحاب ثقَـــال درّت بمـــزن مِدْرَارٍ على أرضنا وسَقَتْها فأنْبَتَتْ نباتا حسنا من نتاجه : عقيدتنا وديننا وقيمنا وثقافتنا وحضارتنا، ومنه استجدت أصالتنا التي كادت تضيع لما وصـــلت بـــديارنا جيـــوش الصليب الحقود، وغزاة الثقافة الذين حاولوا بمالديهم من طاقات وقوات محـــو آثـــار الأصالة، وقلعَ جذور العقيدة وقيم الدين وطمسَ معالم الـــوطن، وســـمات الشخـــصية الإفريقية. الأعلام هم الحصن المنيع والبرُوجُ المشيدة التي صدّت تيّار الغزو، وحمت عورة الحمى، وأبقت للدين والوطن والأصالة ما بقيت من تراث يمكن أن نعتـــزّ بـــه كعنوان يدلّ على مكانتنا بين الأمم. فطاقات الإيمان والثقة بالله، وحسن التآسي بنبيـــه

ص، يُعْزَى إليهم، وقد نجحوا بحكمة وبراعة منازلةَ قُوى الطغيان التي زعمت أن تجويع الوطن وحرمان أبنائه من أتفه حقوقهم الإنسانية، يدفعهم إلى الإرتداد، ونبذ العقيدة الإسلامية، وقد خابتْ آمال الغزاة.

* الأعلام وطّنُوا في القلوب والعقول محبّة كتاب الله تلاوةً وتدبيرًا وتطبيقًا وتعلّقًا وتذوّقًا وتسليما بما ورد فيه مستنيرًا بجوامع كلم الحبيب ص، بتعاليم وتوجيهات وإرشادات سمحة قريبة أليفة مُؤنسة، إستطاعوا ترويض النفوس وتغذية الأرواح بفيوضات ومدد الإيمان التي تنبع من معين العين الربانية التي من بركاتها مناط الوجود.

* الأعلام هم الذين حالُهم ومقالُهم ينهض دليلا على الله.

بقاء الإسلام وخلود رسالته، والوطن وعزّته والشعب وتراثه يعود إليهم، كيان أمتنا من آثار منجزاتهم. ماكنّا لنذكر في قوائم الأمم لولاهم. بأخلاقهم نحتمي، بتعاليمهم نقتبس، بتوجيهاتهم نهتدي، بإرشاداتهم نسير، بمناهجهم نسعى ونعمل. وإنا على آثارهم لمهتدون، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولو كره المشركون.

الفصل الثالث

الإسلام

الإسلام دين الأفارقة في شرق وشمال وغرب القارة الإفريقية وقد وصلنا إليها قادما من الحجاز عن طريق مصر وذلك في القرن الأَوَّلِ الهجريّ. وصل جيوش الفتح الإسلامي من قيادة عقبة بن نافع الفهري إلى تونس سنة 683م عبر مصر وليبيا. واستوقف مسيرة الجيش بتونس حيث أسس مدينة القيروان وجعل منها مركز القيادة وأوّل جامع ومنطلقا للفتح والفيض الإسلامي نحو متوغل أقطار القارة. وقد استشهد بالجزائر في نفس السنة أثناء معركة خاضها ضد البربر، ولكن جنوده واصلوا الزحف حتى بلغوا تخوم غرب القارة عبر مسالك شتى مثل مركز برقة بليبيا، وتلمسان بالجزائر والقيروان بتونس ولمتونة بالمغرب الأقصى.

إتصل تجار العرب وسيّاحهم بالأفارقة في ظل دولة غانا الممتدة من القرن السابع (7م)، إلى سقوط المرابطين سنة 1054م، وكانت قبائل سُونِكِي تحكم بنظام ديموقراطي يضمن الحريات بما فيها حرية العقيدة ولهذا إعتنق بعض سكانها الديانة الإسلامية. أما دولة مالي التي ورثت دولة غانا فملوكها من قبيلة َ)مانْدِيكِي) فهم الذين نشروا الإسلام وأيّدوه تأييدًا مؤزَّرًا، ويمكن ذكر قيام أحد ملوكهم في زيارة بيت الله الحرام سنة 1324م لأداء فريضة الحج كدليل ناهض يُؤَيِّدُ تعلق السلطة السياسية بالديانة الإسلامية، فالقيادة المالية وأمراؤها

أدخلوا العقيدة الجديدة إلى شرق وجنوب وشمال السنغال، وواصل الشيوخ العرب والبربر والفولانيين بالخصوص تعميم الدعوة وتبليغها إلى باقي المناطق السنغالية عن طريق التعليم والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم تعرف الدعوة حربًا أوفتنة إلا بعد فترة طويلة عند قيام شيخ عمر الفوتي بحملة دفاعية مسلحة ضد الملك طَمْبُو سَاغُ بتَامْبَاكُنْدَا وعلى موسى بشيغُو، واقتحم بعض مناطق نفوذ كانت فرنسا تسيطر عليها، وقام بعض زعماء وشيوخ الإسلام بمبادرات مسلحة من هذا القبيل لإستئصال بقايا جذور الوثنية الأرواحية من أراضي القارة بغربها، ونجحت في مُهامّها، ولكن الظروف كانت مواتية للقوى الإستعمار التي إخترعت البرود والرصاص والدبابات،

وبهذه الأسلحة العاتية الحديثة والإسلامية بالخصوص ولم تنته الحروب إلا سنة 1891م باحتلال فوت طورو.

كيفية انتشار الإسلام في السنغال

وصلت العقيدية الإسلامية إلى ضفاف نهر السنغال في عهد دولة غانا التي إمتدت من (961-1076م) وقد وصلت إلى أوج العزّة وذروة المجد سنة 995م، وكانت تضم تحت نفوذها وسيطرتها العسكرية مملكة الفلانيين، ومملكة البَامْبُوكِي، ومملكة بُوصِيَا، واستولت على الحامية الإفريقية (أودغشت سنة 995م). وكانت هذه الممالك متواجدة كلها على ضفاف نهر السنغال. ولم يعتنق أمراء بلاط دولة غانا العقيدة الإسلامية، ولكنهم تسامحوا وعاشروا، وأطلقوا للشعب حرية إقامة شعائر الدين الجديد. وقد ورثت دولة مالي أمبراطورية غانا، عندما أسقطها المرابطون سنة 1054م. ودامت دولة مالي حتى منتصف القرن 16م، وكان حاميها من قبيلة الماندغ، وهم بحق الذين إعتنقوا الإسلام وأيدوه، ونصروه نصرا مؤزرا، وشجعوا بالتعليم والدعوة ونشر مبادئه وتعاليمه في مختلف أقطار الإمبراطورية، وقام الإمبراطور العظيم مانسا موسى بأداء فريضة الحج مع حاشيته سنة 1324م وحمل معه عدة أطنان من الذهب الخالص، وآلاف من عبيد أهداها هدية للكعبة الحرام، ومسجد الرسول. والمؤسف في تاريخ الإسلام في عهدي غانا ومالي هو قلة الوثائق المكتوبة، ولم تكن ثمة إلا اللغة العربية وكانت في مهدها. أما الروايات الشفهية فهي كثيرة غزيرة ولكنها غنية بالأساطير، وتحمل في طيّها بقايا الأرواحية الوثنية الإفريقية، كأثر من التراث القومي الثقافي الحضاري التاريخي الإفريقي. ونستنتج من مواقع المملكات التابعة سياسيا وعسكريا لمالي، أن شمال وشرق سنغال وهما مجرى نهر سنغال، والمناطق المجاورة المتأخمة لبلاد موريطانيا هم أوّل من إعتنقوا الإسلام بالاتصال والاحتكاك دون فتن أو حروب تذكر لها أهمية تاريخية إلافي زمن متأخر جدا.

كما نستنتج من نطاق سيطرة دولة مالي على الممالك المجاورة أن درجات الإستقلال لتلك الممالك كانت متفاوتة لبعدها من مركز القيادة والإدارة السياسية العاصمة "كُومْبِي صَالِحْ" وأما الممالك التي كانت تتدين بالإسلام فهي كالتالي :

أ ــ مملكة الفلانيين "الجاوُوبِي" من سنة (934 إلى 1534 م).

ب : مملكة سَلتِكِ (سِيرير) من سنة (1534 إلى 1776 م) وقد أسقطها الإمام سليمان بَالْ، مؤسس دولة الإمامية بفوت طورو.

ج : الإمامية : دامت هذه الدولة الإسلامية بالمعنى الصحيح من سنة (1776 إلى 1881م) وقد أسقطها البرابرة الترارسية الموريطانيون. وأعقبتها مرحلة فوضى سياسية بإيعاز من الاستعمار الذي كان مرابطا بمدينة سانتلويس بتربص الفرصة لينقض على القطر ويضمه على باقي أجزاء مستعمرة السنغال ودام الفوضى من (1881 إلى 1891م) عندما احتلت فرنسا دولة الإمامية نهائيا.

ومن هذا التاريخ بدأ فعلا الإستعمار الحقيقي السافر، وبدأت عمليات الإستيلاء بالقوة والعنف واستعمال الدبابات والأسلحة التي لم تكن معروفة لحداثتها وآليتها.

د : مرحلة الإستعمار الفرنسي : إحتلت فرنسا بلاد السنغال من (1891 إلى 1960م).

وهذه أهمّ المراحل التي مرّ بها تاريخ هذا البلد، ولذا سنخصص لها بحثا خاصّا نستعرض خلاله الحروب الطاحنة التي خاضتها فرنسا ضد ملوك البلاد وزعمائها الدينية لحملهم على قبول سلطتها وحضورها.

هـ : أما مملكة جُلُوفْ التي أسسها الملك انْجَاجَانْ انْجَايْ في القرن 13م، وانقرض سنة 1555م عندما قتل الأمير أَمَرِكُونِ سُبِلْ إمبروطورها إثر تمرّد ضدّ سلطته المتجاوزة وجبروته المهيمنة، وكانت جلوف تضم مقاطعة وَالُ، كَجُورْ، بَوَالْ، سِينْ وأجزاء من فوت طورو. واستقلت هذه المقاطعات بموت الأمبراطور (لاَلاَفُوكِي فَاكَا) واتخذ كل واحد منهم لقبه وحلفائه. أما قطر كاسَمَنْزَ فقد كانت بعيدة ومعزولة تحت حكم قبيلة بَيْنُونْكَهْ، ثم جاء بعدهم قبائل سيرير، وجولا، والماندغ، والفلانيون واستوطنوها.

ومن هذه الفترة التاريخية الممتدة من القرن السابع إلى سنة 1891م بدأ عهد الاستعمار ولم تكن اللغة الفرنسية متداولة في السنغال، ولم تكن الديانة المسيحية المستوردة من أوربا معروفة، ولم تعتنقها إلا سكان المناطق المتوغلة النائية عن

ضفاف نهر السنغال، ملتقى السلالات البشرية والحضارات. وتلــك المنــاطق هــي شواطئ المحيط الأطلسي جنوبًا وكاسمنز السفلى وانْزَلَقَ بها وأخيرا بعــضُ جُيُــوبِ المناطق الأخرى، بتأثير من الإستعمار والمبشرين المسيحيين، أعوان الغزاة وهداتهم وواضعي الخطط والوثائق والخرائط.

أما اللغة العربية وهي لغة القرآن والوحي إلهي فقد وصلت مــع رجــال الفــتح الإسلامي بقيادة عقبة بن نافع الفهري الذي قتله برابرة الجزائر بالصحراء سنة 683م، فواصل أصحابه الزحف حتى وصلوا إلى بلاد سجلماســة وزَمْ، ومملكــة البرابــرة وأُودَغُشْتَ، وبلاد الفولانيين المجاورة للبرابر، أوالَسلْتِكِ والدِينِيَانْكُوبِي.

وذكر أبو عبد الله، عبد الله البكري القرطبي المتوفى سنة 1094م أنّ الملك وَارجَابِي بن رَبِيسْ أسلم وأدخل شعبه إلى الإسلام وتوفي سنة 432 هــ الموافق 1040م. وهــذا التاريخ يدل على كون وارجابي أوّل من أجبر الفولانيين على اعتناق الإسلام قبل قيام دولتهم تحت سلطة غانا من سنة (790 إلى 1076م).

أما المرابطون وهم يحيى بن إبراهيم، وعبد الله بن ياسين وابو بكر بن عمر أبناء عمّ يوسف بن تاشفين، وحلفاء برابر صنهاجة ولمتونة، فهؤلاء إعتصموا مع عناصر منتخبة من البرابر، والسود في معقل للتدريب العسكري بجزيرة سانتلويس، رابطــوا فيها مدة سنة على الأقل. ولما خرجوا مدرّبين نزلوا زَحْفًا علــى القبائــل المجــاورة لضفاف نهر السنغال. وبسطوا نفوذهم وسلطتهم على جميع ممالك القطــر وأســقطوا عاصمة دولة غانا. ودامت سلطتهم من سنة (1040 إلى 1147م) وانتهت بموت أبــي بكر بن عمر سيد المرابطين وعمّ يوسف بن تاشفين، وقد قتلهم الغانيون بأدرار بعــد حروب دامت (14 سنة) إنهارت إثرها دولة سَرَاخُلِي سنة 1076م.

وبهذا التاريخ مات أبوبكر بن عمر آخر قائد مرابطي وانقرضت دولة غانا وقامت على أنقاضها دولة مالي التي كانت لها سيادة ونفوذ على الممالك المجاورة، وتحــت ظلالها صار الإسلام الدين السماوي الوحيد في غرب القارة والعربية اللغة الوحيــدة المكتوبة، ومن آثار المرابطين الإسلامُ الصوفي المــشوبُ بفطريــات أهــل الــسنة والجماعة المالكية. فهذه النظريات الصوفية تتلائم وتتناسب مع جوهر الأرواحية التي

كانت سائدة في القطر قبل وصول الإسلام فتشبع بها الإسلام وتزاوج أو أصبح مشوبا ملوّنا بالأرواحية، ولهذا فالشيوخ هم الذين ورثوا الكُهَّانَ والسحرةَ، وكانت الملوك يلجأون إليهم لحماية أنفسهم وأراضيهم من الأرواح الشريرة ومن السحر والمكر والأوهام والأشباح.

ولما قامت الدولة الإمامية لمؤسسها الشيخ الإمام سليمان بال، والشيخ عبد القادر المتوفى سنة 1805م بكريخ سَمْبُ جُمْ، والشيخ دِيلِهْ تشام الجَمّبِرِي الذي قُتِلَ بمنطقة وَالُ سنة 1830م، والحاج عمر الفوتي شهيد دَيغَمْبِرِي سنة 1864م والإمام مَابَه جَخُ شهيد غزوة سُومْ سنة 1867م.

هؤلاء الزعماء الشيوخ المجاهدون بالعلم والسيف والسبحة، هم الذين أعادوا الإسلام وعقيدته صَفْوَتَهُ و صِفَاتَهُ الحنيفة التوحيدية المنسجمة مع الفطرة الطبيعية، وكانوا متمسكين بمبادئ المذهب المالكي، والطريقة القادرية، ثم وصلت التيجانية مع شيخ عمر الفوتي والموريطانيين قبله بقليل، فاستساغها كثير من المتصوفين وانسلخوا من القادرية لتقاعس أهلها. وتعتبر القادرية أمّ الطرق الصوفية وأوّلها وصلا إلى غرب القارة عن طريق موريطانيا، وقد تقلصت نفوذها ووقف إنتشارها إثر حربها الدامية ضد شيخ عمر الفوتي. لمّا نازعه الشيخ محمد البكاي التمبوكتي، فَقَتَلَ أَلْفَا عُمَرُ بَيْلاَ الكنتي بأمر من الفوتى. عندما لحق به على مياه النهر، وهو فارّ من وجه قوّات الشيخ الصوفي المجاهد.

كيفية أداء شعائر الإسلام

الأسس والمصادر التي يعتمد عليها المسلمون في أداء شعائر دينهم هي : القرآن والسنة والقياس الصحيح وإجماع الأئمة الموثوق بهم وتقاة الأمة. ولم تصل إلينا بعدُ، تأثيراتُ الفرق والطوائف الإسلامية مثل الخوارج، والشيعة وغيرها. كما أنّ مذهب الإمام محمد بن إدريسي الشافعي، وأحمد بن حنبل، والحنفي لم يصل إلينا. والمذهب المعروف الذي درسنا آراءه ومبادئه ومناهج عمله بعمق ودقّةٍ، واستوعبنا كل دقيق فيه، هو المذهب المالكي المدني، ونعتبره أقربَ المذاهب إلى روح القرآن ومعاني السنة. لأن الإمام مالك بن أنس بن مالك الصحابي الجليل، كان فقيهَ المدينة المنوَرة،

ومفتي دار الهجرة، وشيخ مجالسها العلمية، وعميد الدارسين، وإمام مسجد الرّسول الأعظم ص، وواضع أصحِّ كتاب في السنة "الموطأ" وعنه أخذ الشافعي وبعضُ أصحاب المذهب غير المذكورة ومعظم علماء وفقهاء عصر تابعي التابعين رضي الله عنهم.

والسنغاليون في مناهجهم التربوية، يبدأون مبكرًا بتحصيل القرآن حفظًا ثمّ يشرعون في دراسة بعض كتب الفقه المالكي السائد في شمال وغرب إفريقيا، مثل الأخضري ورسالة أبي زيد القيرواني، ومنظومة ابن رشد وشيخ الخليل وبعد إتمام هذه الدراسات ينهكون بنَهَمٍ في دراسة النحو واللغة معًا وعلوم البلاغة والبيان، والمعاني والبديع، والعروض، والنجوم، والأسرار، والروحانية، والمنطق التقليدي، وأخيرا، ينهون هذه الدراسات بتفسير القرآن لدى كبار علماء التفسير المعروفين، وتُقَامُ عند نهايته حقلةُ إختتام يُتَوَّجُ إثرها العضو الجديدُ في عالم الفقهاء والأئمة، وتعمّمُ إجلالاً وتعظيمًا للعلم وأهله. وينخرط طوًّا في سلك المدرّسين، وقد ينحرف إلى صفّ شيوخ التَّصَوف الذين يفضّلون التربية ويعطُونَهَا أولويّةً على التّدريس والتّثقف والتّوجيه. وهو المنهج السائد الغالب، لذا، نَدُرَ العلمُ، وقلَّ الفقهُ، والأدبُ، واللغةُ، بينما انتشرت ظاهرةُ حمل السُّبحات، وانقفلت مدارسُ القرآن، وأنـزوتْ مجالس العلم، واستُبْدِلَتْ بالدّوائر الصّوفيّة والجمعيّات والمنظمات الإسلاميّة تحت سيطرة زعماء الطرق.

ا ـــ دَوْرُ مدارس القرآن في تربية الناشئة وتكوين الأطر والأئمة الأعلام.

لعبت مدارس القرآن في مجال تربية، وتعليم، وتكوين، وتوجيه الأمة، وإرشاد الخلق دورًا تاريجيًّا طلائعيا لايقوّم بشيئ لأهميته. ولذا يمكن الإثبات بأن حياة الإسلام، وبقاء عقيدته وخلود دعوته وصمود رسالته، وانتشار أخلاقياته ومبادئه، رهينة بحياة وبقاء هذه المدارس في الميدان، وإلا، فما على الإسلام إلا أن يجمع أمتعته ويرحل بالإنسحاب من ساحة غرب القارة الإفريقية نهائيا وإلى الأبد. تعتبر هذه المدارس حارسة أمينة، ورصيدا ضخما ومعينا فياضا، ومحيطًا زاخرا مُطَمْطَمًا،

تتغذى من أصدافها العقيدة والشريعة، وتعيش من مقوّماتها، وتستمد منها القوة الازمة للخلود، والإثمار والإنتاج.

الأعلام الذين أوجدوا هذه الأمة، ومنحوها الإسمَ واللّقبَ والحضور في مصافّ باقي الأمم كلهم خرّيجوُ هذه المدارس، أولائك الذين كرّسوا حياتهم، تكرّموا بدمائهم، وأموالهم وأعراضهم دفاعًا عن الأمة من إنتاج هذه المدارس القرآنية المباركة.

إن هذا البحث لن يتعرض للمناهج الوسائل المادية البشرية المتاحة والمستعملة من هذه المؤسسات وبالأحرى علاقتها بالمرافق التابعة للسلطة الحاكمة، وزعماء الطرق والزوايا والشخصيات التقليدية. فخريجو المدارس الفرنسية لم يتلقوا تربيةً أو تكوينًا تخدم أو تُدافع عن الوطن، أو الدين أو الأخلاق لَمُنَافَاةِ هذه القيم مع أهداف الإستعمار ورسالة مدارسه في المستعمرات.

وقد حاولت سلطة الإستعمار منعها وسدّت الطرق أمامها وقامت بتخريب معظمها في البلاد. ومع تعنُّت وإصرار قرّاء القرآن تراجعت وتخلّت عن سبيلها وظلت غير معترف به كما ضيّقت سلطات الإستقلال الخناق، واستخفّت بها. وتُحاربها حاليا بكل الوسائل، وخصوصا بالتهميش، والإستخفاف وإهانة روّادها وخريجيها.

ب : دور المدارس والجوامع وزوايا زُعماء الطرق الصوفية

كانت هذه المرافق مَصَبًّا لإنتاج المدارس القرآنية وملجأً أمينًا لها، وكانت تلعب دور التركيز وتثبيت دعائم الإسلام، وتبليغ ونشر دعوته، وتوجيه نشاطاته، ودعم حضوره في الساحة الثقافية والعلمية، والسياسية، والإقتصادية. بعد إنهاء الدراسات القرآنية، كان الطلاب يتجهون إلى الجوامع لدراسة العلوم الدينيّة، وكانت مجالس الفقهاء والأدباء، والفلاسفة، والقادة الأئمة في حظيرة الجامع. ولم تكن الجوامع للصلاة والإعتكاف وعقد حلقات الذكر، وعقد الزواج فحسب كما هي الحال في الوقت الحاضر.

كانت العلاقة بين المدارس والجوامع علاقة تكامل وتعاون ثقافي علمي ديني نزيه. وقد حدث بينهما شقاق وصراع وتصادم ونفور، وأصبح الطلاق اليوم باتًّا. واستقلّت المدارس بدورها، وغدت توجّه، وتبيع إنتاجها حيث تشاء، وكما تشاء، وأصبحت

الجوامع والزوايا تصطاد روّادها من جميع الجهات الدينية واللادينية للإنحرافات التي حدثت في سلوك أصحابها، وفي أهداف والمقاصد التي كانت تسعى من أجل تحقيقها.

وينحصر اليوم دور الجوامع والزوايا في إقامة حفلات مولد النبى، واستقبال دوائر الأتباع والزوار، وإيهام ضعاف العقول بحضور إيماني، وهيمنة إسلامية، لاحقيقة لها في الواقع، فهي أشبه بالصوامع وبيع وكنائس النصارى واليهود، لولا الصلوات التي تقام فيها.

حاولت الجمعيات والإتحادات الإسلامية والمدارس الحرة أن ترث العبْءَ والتراث الثقافي وتلعب الدور التعليمي والتربوي، وترعى بالتوجيه والإرشاد والتكـوين عـن مصالح الأمة الدينية. ورغم جهودها فقد تعثرت بسبب العراقيل التي تقيمها الـسلطة السياسية وزعماء الطرق معًا ضدَّها. وهذه هي الطّامة الكبرى التي وصلنا إلى حافّتها ونحن مشرفون على السّقوط. بسبب انحراف الجمعيات التي تسير وتـدار بالأنانيـة، والإحتكار والمحسوبية، والجشع. والواقع المرُّ هو أن الإتحـادات ورثـت المـدارس القرآنية والزوايا، وعجزت عن حمل أعبائها، وتبليغ رسـالتها للأسـباب المـذكورة أعلاها. ولأسباب أخرى تاريخية وسياسية لامجال لسردها.

ولقد لجئت أصحاب المدارس إلى العالم العربي طالبين إنقاذها كمـا لجئـت إليـه زعماء الزوايا لنفس الغرض، مُدَّ إليهما بعض العون، لكنه لم يـسُدَّ الفـراغ، وبـدأ التقاعسُ والأُفُولُ يتربص بالمدارس والزّوايا معًا، لأن إسلامًا بدون قـرآن، وزوايـا بدون فقهاء وروَاد، فلا فائدة ولاخير فيها.

والخلاصة هي : عدم وجود بديل عن المدرسة القرآنية والمجـالس الفقهيـة فـي الجوامع والزّوايا، وفشل المحاولات الرامية إلى إنقاذ الأزمة لعدم ملائمتهـا وعـدم الإخلاص والإيمان لدى أصحابها، وصدق النّية بدءًا. أضف إليها إصرار السلطة في موقفها السلبي ضدّ الإسلام.

ج : **دور السلطة الحاكمة** : تنحصر علاقة السلطة الحاكمة بالمـدارس القرآنيـة وزوايا الطرق في استغلالها لأغراض سياسية، وتقوم ببثّ روح الفرقـة، والتنـافر، والعداء بينها، وتعميم الرشوة، والتناحر، والإرهاب لإحكام القبض على زمام الأمور،

وإدامة السيطرة والقهر على الشعب اليتيم. والسلطة اللائكية لاتعير إهتمامًا صادقًا للزّوايا والقرآن، لأنها تعاديها أساسًا، وتنكر عدالتها وفعاليتها. ومن العبث الوثوق بها لإيجاد حلّ للأزمة المستعصية القائمة. فإن أزمة الإسلام والمسلمين بالسنغال لن تحلّ مادامت أسبابها قائمة، وهي بالجملة عيوب فينا، ولاتعالج من الخارج ولامن غيرنا فهي كامنة في المدارس والجوامع والزوايا والجمعيات والإتحادات أما السلطة فلا داعي لذكرها لأن الدين والإسلام بالخصوص ليس من إهتماماتها، ويعين عنها، وتتمنّى زواله، وطمسه من الوجود.

د : الجانب العملي التطبيقي لشعائر الدين

الشعب السنغالي مؤمن بالله ومسلم، يقوم بأداء شعائر الدين كما رأى تقليدًا أو إرثًا، لا عن علم، وفهم، ووعي. فالممارسات الدينية أساسها التقليد والتأثير البيئوي لا أقلّ ولا أكثر. زِد على ذلك غياب ثقافة دينية صحيحة، ودعاية حكيمة، ومواعظ رشيدة حسنة، وبشير، وإنذار، وتعزيز، تنشط الحركة العلمية والعملية، وسلطة مركزية تُوجه وتحمي وتسيّر، وتحتاط، وتخطّط، وتوفرَ الوسائل، وتشجع، وتكافئ المجهود، وتعاقب. هذه العوامل والمقدمات الضرورية غائبة، في الساحة الدينية. فالممارسات عمليّة مسلّية لإراحة النفس وشرح البال، لمن يرغب فيها، بالكيفية التي ترغب أو يرى لدى طائفة فلان أو أخرى.

وهذه هي الحالة التي إنزلقنا فيها بالتورّط، وخصوصا بعد الإستقلال، لما برزت المناصبُ، والوظائف، والمزايا المادية، والأوسمة والأزياء الرسمية والحفلات، والمواكب، هذه المشوّقات الخلاّبة الجذّابة، التي لايمكن الوصول إليها إلا من خلال المدارس الفرنسية، والإعراض كليًّا عن مدارس القرآن. هي أهمّ عوامل تدفع بالشباب المسلم إلى ان يرتمى إلى أحضان المدرسة الفرنسية، وهجران القرآن وعلومه، وإهمال كلّما له علاقة بالإسلام وثقافته، مع الإحتفاظ ببعض الطقوس، والمظاهر، خوفًا من الوقوع في الإرتداد أو الكفر، بترك الصلاة والزكاة، والصوم والحج، عمدا وجهلاً عن وجوب أدائها.

وقد انصهر لبُّ الدين وطلعت القشور، وعليها نتمسك حاليا. وأَلَمّ من كلّ هـــذا، هـــو انحراف العقيدة التي نشأ من بعض طوائف الطرق حيث يـــزعم هـــؤلاء أن شـــيوخهم، وأرائهم يضمون لهم الجنة، والرزق، وأنهم محامون لهم أمام الله لايصلون ولايُزَكّـــون ولايصُومون ولايحجون وأن شيخَهم تربّع على كرسيّ المولى، وقد اســـتولى بمقامـــات ومراتب الرسول ص، وأن مفاتيح الجنّة والنار بيده، وادّعى بعضهم النبـــوّة، والولايـــة، وآخرون ادعوا خرافات وأساطير وافتراءات تتفطر من هولها السماء وتنـــشق الأرض وتخر الجبال هدّا.

أن يَجْعَلُوا لّله أندادًا يُحبُّوهم كحب الله، ويقرون بأن الوحي نزل على شـــيخهم وأن جبريل عليه السلام أخبره بكيت وكيت، سبحان الله عمَّا يصفون. هذه الظواهر الجاهلية من أهم الطقوس المنتشرة، ويعتبرها الجهلة من المسلمين أنها شعائر دينية، وليست مـــن الدين في شيئ بل هي الوثنية بعينها، لأن عبادة الأصنام والأوثان،والأزلام وهي رجس من عمل الشيطان وضلال وخسران مبين وهكذا عبادة الهوى والنفس الأمـــارة بالـــسوء وعبادة الأشخاص مثل عيسى بن مريم، وعُزير، وودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وفرعون، والشيوخ، والأباطر، وغيرهم، ممن أُلِّهُوا وعُبِدُوا من دون الله، لقـــد انحـــدر الشعب نحو هذه الهاوية، والقليل منهم يقاوم ويناضل ويكافح ويحاول الثبات مع الحـــق المبين وهو القرآن الكريم وقد تمردت قوى الشر والإبلـــيس يحرضـــون، ويـــشجعون، ويصفقون المنحرفين والواقع هو{ أنه يعدّهم ويمنّيهم وما يعدهم الـــشيطان إلا غـــرورًا، أولائك مأواهم الجهنم ولايجدون عنها محيصا} (النساء، الآية :).

لقد أَوْجَدُوا بديلاً عن رسول الله ص، وندًّا عن المولى، مقْرُوءًا غيرَ القرآن، وكعبـــةً يحجون إليها، ومواسمَ، ومراسمَ لاتعدّو لاتحصى، يعتقدون أنها إسلام ودين، والغـــرورُ يعبث بهم بالوعود والأماني الكاذبة وهم لايشعرون. أنه من استبدل بالله ربًّـــا، وبالـــسنة منهجًا فقد ضلَّ سواء السبيل.

إن أزمة المسلمين في السنغال ليست منحصرة في الجانب النظري العلمي الفقهي فقط بل هي في الجانب العلمي التطبيقي أشدّ وأوقع وأدهى وبعض الأتقياء منهم المتمـــسّكون بزمام السنة معزولون عن المجتمع أو في عزلة دائمة، لأن العوّام يلهون ويلعبون بإقامة

الحفلات وجمع الإشتراكات والتبرعات، وإعداد الزيارات، وتكوين الدوائر والجمعيــات، وحملات الخدمة الزراعية في مزارع الشيوخ، وقراءة القصائد والأمداح، لإحياء ذكرى الموتى من الشيوخ، هذا كله باسم الإسلام البريئ منهم ومما يعملون جهــلا وعبثًــا. إن عملية الإصلاح الديني ستكون معركة شديدة، لأن مستوى التورط والجهل بالدين وصل إلى أبعاد وأعماق يصعب بَتْرُهَا بغير سيف أوصواعق مبيدة لاتبقى ولاتتذر.

إن بعض غلاة زعماء الطوائف الصوفّية بسبب تورطّهم وانغماســهم فــي الملّــذات وجعشهم وهلعهم الشديد، وتسابقهم مع الدهر، ولجمع وتكديس الثروات وكسب أصــوات الجماهير، ورضى السلطة ومزياها، وصداقة كبار موظفي الدولــة، وورثــة أتبــاعهم هؤلاء، بدلوا نعْمَةَ الله كفروا وأحلوا قومهم دار البوار، وحكموا بالإعداد شنقًا بلادهــم، بربطه في عجلة الجهل والمرض، والخوف، والجوع المؤبد.

ما أسهل الإفتراء على الله، والكذب المعتمــد علــى رســول الله ص، بالإدعــاءات والدّعايات الفارغة لحماية مراكز إجتماعية، ومزايا مادية أساسها محض الباطل، وعين الربا، هؤلاء يعيشون من فضلات الدين، وخبث الأتباع، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا. إن ظاهرة المشيخة وهي وارثة الإقطاعية الظالمة، والتي سادت في القرون الوســطى، وبادت بانتشار قيم الدين والحضارة، لاتزال تترنح، وتتبجح، وتنمو في بلادنا اليتيمــة، وتقوم بتغذيتها ورعايتها وتقويتها جهلة الدين، والإنتهازيون، والحمقى، والمتعــصبون، والمتزمتون، وهي لاتعيش إلا في جو يسوده هذه السلبيات المدمرة. وقد تحالفت المشيخة بالسلطة السياسية حاليا، لوحدة مقاصدهما ومناهجهما وضحاياهما.

فهذه تستقطب الجماهير وتعبئها لتضعها أثناء الحملات الإنتخابية في خدمة حليفهــا. والأخرى ستدى بالأموال، والعطايا لإشباع جموح وجشع أولائك، وهكذا دواليك. ففــي هذه الدوامة يحاول الشعب عبثًا أن يقوم أو يتسلل لأداء بعض شعائر دينه، في جوامــع وزوايا، أئمتها دُمَى مسخّرة لخدمة الجهاز السياسي ومــصرف الجهــاز الإقتــصادي، وعملاء الأمبريالية، واللادينيين، والفرمسَةِ، والمتربعيّن على أجهزة القيــادة الــسياسية والسحرة، والراقصين والراقصات، والطائفين حول كعبة هؤلاء، والقوّالين في الإذاعــة والصحف. إن النكسة المتأزمة التي تعاني منها شعوب غرب القارة مرجعُها أوّلاً وآخِرًا

تكالُبُ سلطتا الدين والدولة ضدّ الجماهير، وضدّ مصالحها. ومن أهمّ مصالح السلطتين بقاء الجماهير جاهلة، مشتّةً، متنافرةً، تتنازع أشياء لافائدة منها، وتتسابق إلى غايات لاتعلقها، لأنها مصابة بداء الجهل، والمؤسف انّها لاترغب في الشفاء.

هـ : موقف بعض حملة الثقافة الفرنسية من تطبيقات وممارسات الشعائر الدينية في غرب القارة تختلف من طائفة لأخرى ومن جيل لآخر. فجيل ما قبل الإستقلال، كان يرى وجوب أداء الشعائر باللغة العربية، لغة الوحي والقرآن ونبى الإسلام، مع قليل تحفظ بخصوص ضرورة او إمكانية ترجمة بعض نصوص القرآن والحديث وبعض قواعد الفقه، وأصول الدين بالفرنسية والإنجليزية لتقريبها وتسيير إيصالها إلى إفهام المسلمين غير العرب. بينما يرى بعض المتطرفين المغالين من جيل الإستقلال ضرورة ترجمة جميع نصوص الوحي والسنة، وعلوم الدين بالفرنسية والإنجليزية. ووصلت بعض المغالين حاليا إلى مطالبة إلقاء الخطب في الجوامع والمساجد بالفرنسية، وأداء الصلوات بها، وربما تعتقد هذه الفئة بأن الله لايخاطب، ولا يعبد إلا بالفرنسية والإنجليزية. وقد يصل بهم الحماقة إلى توجيه طلبات إلى أئمة المسجد الحرام يلتمسون هجران العربية وقراءة القرآن والصلاة والخطبة بها واستبدالها بالفرنسية.

فهذه الفئة الأخيرة يستحيل وصفها بالحماقة والجهل والتعصب والكفر والجحود، أو التخلف الفكري والثقافي، أو بإحدى العاهات والآفات النفسية، والعقلية والثقافية، لأن عمق تأثرها بالأمراض العقلية التي تجرها اللغات الأوربية، أفسدت جميع ملكاتها ولا أمل في شفائها. وفي الإذاعات الحرّة المنتشرة في البلاد نسمع أصوات جميع الفئات يعبرون عن آرائهم بكل حرية وثقة وأمان، ومنها صوت الآنسة المدرسة بكلية الآداب بجامعة دكار : (بِنْدَ امْبُوْ) بقسم الدراسات الإجتماعية، هذه الأُوَينسة تتدعى أن الإسلام وحملة ثقافته، ومُمَارسي شعائره، ما يجرّه هذا الدين من تعاليم، لافائدة منه، ولاحوار معه، مالم يترجم بالفرنسية، ودعت حملة الثقافة العربية الإسلامية للمبادرة إلى قبول هذه الهمجيّة إذا رغبوا في الاندماج الإداري، وردِّ الإعتبار السياسي، والإعتراف بهم كأعضاء في المجتمع السنغالي المعاصر.

إنها تدعو الأمة إلى الإرتداد رغم أنها جاهلة، لايعتدّ بها، فإن دعوتها مسمومة، لأنها مسؤولة في مستوى الجامعة على تكوين أجيال متلاحقة، كعالمة من علماء الإجتماع.

والحقيقة هو أنها عيّنة حمقاء من عينات كثيرة متوفرة في الجامعة وخارجها، ومجتمع بلادنا مع انتشار الفرمسة والألحاد فيه، غنية بهذه العينات الخبيثة، والأسوأ هو كونها مسؤولة عن تربية وتكوين أطر تتخرج لقيادة جهة ما من البلاد مستقبلا؟ فما مثل بلاد يكون مثل هذه الآنسة مدرسة في جامعاتها؟ ما أكثر مثيلاتها الخبيثات!

إن شخصا تربّى، وتعلّم، وتكوّن، وتثقّف في خضم اللغة والثقافة والحضارة الفرنسية من المحال أن يكون مومنا مسلما مثاليا يعتدّ به في مجال الدين. سيان في هذا (بِنْدَ امْبُوُ) وغيرها، ويمكن العودة للبرهنة على صحة هذه الدعوى إلى أصول وقواعد علم الإجتماع. فالسنغالي مسلم بطبيعته يُمارس شعائر الإسلام عن علم وعن جهل كما يُرتّل القرآن دون فهم ويدافع عن الدّين دون وعي ونضج وإدراك، هذا هو السنغالي المجرد عن كل تأثير، وعندما يتأثر بالثقافات العربية والفرنسية وغيرها يتحول ويتغير ويصير شخصا آخر، ويَتَلَوَّنُ بلون الثقافة والحضارة التي هضمها.

وقد حفظنا من جوامع كلم الحبيب المصطفى ص في هذا الصدد قوله : فالآفات والعاهات والإنحرافات، والشعوذة، والخرافات، والإرتداد، وصور الجحود، والنكران، والضلال، والإنحلال، وغيرها من المنكرات المنتشرة في المجتمع، مردّها هو فشل القيادة الدّينيّة والسّياسيّة في أداء وظيفتهما التربويّة، كأساس لنجاح أيّ عمل أو جهد إجتماعي إنسانيّ، ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي بقوله :

وإنّما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

و : الأعياد والحفلات الدينية

يحتفل الشعب السنغالي بعيدي الفطر والأضحى حسب الأصول الموروثة كما يحتفل بيوم عاشوراء أي اليوم العاشر من شهر المحرم، فاتح السنة القمرية، وهذا الأخير يحتفل كذكرى لمقتل الشهيد سبط رسول الله ص، حسين بن علي بن أبي طالب، والزهراء البتول فاطمة بنت محمد بن عبد الله ص، (625-680م) ولا يحتفلون باليوم الأول

من شهر المحرم، كما هو الشأن في العالم العربي، وأهمّ إحتفال دينيّ وطنيّ عامّ، يقـام سنويًّا هو مولد النبى ص، ويوافي الثاني عشر من شهر ربيع الأول، كلّ عام. في هـذه المناسبة تلتقي جموع المسلمين في الزوايا والجوامع والأماكن العامّة، ومراكز الثقافـة، والأندية، إحتفاءًا وذكرى بمولده صلى الله عليه وسلام.

ويحضره الأئمة، والفقهاء، والأدباء،والشعراء، والفراسفة، والنبغاء، والمحاضـرون، وجهابذة القومن والقيادة السياسية، وزعماء الدين، وعامّة الشعب وحتى غير المـسلمين. وأهمّ إنتاج فكري علمي أدبي، ديني ثقافي، يُعرّ في هذه المناسبة، وتُعاَدُ إلى الأذهـان، جلائل الأعمال وجسام التضحيات، والأمجاد، والبطولات، والكرامات، والمعجزات التي أيّدا الله بها النبى ص. مع ذكر المقامات والخصوصيات التي خصّها الله بها، وخصوصا معجزته الخالدة التي تحدّى بها الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثلها بوجه من الوجوه، كما يقوم المادحون فرادى وجماعات بقراءة أمداح في موضواعات شتى تتنـاول مختلـف جوانب شخصيته كنبي ورسول وبشيرٍ، وقائد سياسي عسكري، ورئيس دولـة قانونيـة دينية مثالية، وواضع نظام إجتماعي إنساني لم يسبق له مثيل في الكون جمالا وجـلالا وكمالا.

ومن أهمّ الموضع الإسراء والمعراج اللذين سنتعرض لهما لإنهـاء هـذا الفـصل. والواقع هو أن المناسبة فرصة هامّة لشرح كل موضوع له صلة بحياة الرسول ص، من قبل مولده إلى ما بعد وفاته، كل حسب الجانب الذي يحبذ أو يختار أو يفـضل. فحياتـه ص أوسع من أن تتناولها أقلام أو ألسنة الأعلام في يوم وليلة جملةً وتفصيلاً.

ز : أعياد أخرى رسمية غير إسلامية

عيد الإستقلال، يحتفل به الشباب، وتقوم وحدات أركان الجيش باسـتعراض بعـض أجهزتها وعتادها أمام الجمهور، بحضور القيادة الساسية والهيئة الديبلوماسية المعتمـدة في البلاد، وقلّما يحضره زعماء وخلفاء الطرق الصوفية لمنافاة بعـض أنـشطتها مـع الأخلاق والمروءة، وثقل المراسيم التي لاتعرفها الزوايا والجوامع. وتنتهـي نـشاطات الإحتفال بعد الزوال، ويعود الناس إلى مساكنهم كأن لن يحدث شـيئ. وهنالـك أعيـاد أخرى رسمية مسيحية تقوم بمناسبتها هذه الجاليـة بإقامـة طقوسـهم فـي معاهـدهم

وصوامعهم ولاتشدّ أنظار الشباب منها إلاّ عيد ميلاد المسيح، وعيد رأس السنة، وتبدأ الإحتفلات بهما من ليلة (24) من شهر ديسمبر إلى اليوم الثاني من غرة شهر يناير، وقد إستطاعت سلطات الكنيسة شدّ أنظار الشباب إليها بالمغريات والدُّميّ، والهدايا الجذابة البّراقة، وزي البابا الخلاّبة، والموسيقى والألحان المرافقة، والخمور، والرقص، والفجور، والمجون، والإنحلال، والتبجح، إنها فرصة كبيرة للصوص والمجرمين والسكارى والبغاة، لتحقيق مآربهم. ويحاول الشباب المسلمون محو هذا الخطأ وسدّ المنافذ عن تطوره. وأعتقد أن جهوده تمشي سُدًى. لأن هذه الأعياد، تدعمها بـرؤوس الأموال اَلْفَاتِكَانْ والمنظمات المسيحية في العالم كما أن الدولة تحميها، وتساندها بالقوة والأموال، وتحضر مراسمها رسميا. وتعود هذه التناقضات إلى علمانية الدولة المفترضة دستوريا، والواقع خلاف ذلك، وأعتقد أنّ الحلّ يأتي تدريجيًّا دون تصادم شديد، وذلك بالتّوعية، والتّربية، والتّوجيه والوعظ والإرشاد، كما أمرنا نبيّ الإسلام، واستنبطنا من الذكر الحكيم { أدع إلى سبيل ربّك بالحكمة والوعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين} (النحل، الآية : 125).

ا : الإسراء والمعراج والعظات المستمدة منها

أهمّ حدث تتناوله أقلام الكتاب، وبحوث الفلاسفة، وخيال الشعراء في مختلف المناسبات، واقعة الإسراء والمعراج، وعنها يقول البصري في هزيته :

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

لم يساووك في علاك وفدحا ل سنى منك دونهم وسناء

ثار جدل كثير حول الإسراء والمعراج، ولايزال بين مدّ وجزر وقد حدث الإسراء من مكة، أمّ القرى، وكان بالليل، من دار أمّ هانئ، هند بنت عبد المطلب، أخت عبد الله بن عبد المطلب، وعمّة النبي ص، قال لهاص : مُثّل لي النبئون فصليتُ بهم. فقالت له : لاتحدث الناس إنّي أخاف أن يكذّبونك!. فقال : لأحدّثنهموه وإن كذّبوني !

فلما تحدثّ عنه، إرتد كثير ممن آمن لحداثة عهدهم بالإيمان وثبت كثير منهم. ومن الثابتين بإيمانهم أبوبكر الذي قال : حين واجهه المجادلون والمعتنقون بالواقعة الخارقة

العادة : لقد صدّقتُه في أبعد من ذلك صدّقتُه في خبرالسماء فكيف أكذّبه في خبر الأرض؟ ومن هنا لُقِّبَ بالصّديق لِلُحُوقِهِ بمرتبة الصّديقين.

ب : توقيت حادثة الإسراء والمعراج

حدث الإسراء سنة (621م) أو (622م) بمكة المكرمة ليلاً، بعد منتصفه بدليل قول أمّ هانئ عمّته ص، إذ قال لها : صلّيتُ العشاء الآخرة معكم ثمّ جئتُ بيتَ المقدس، فصلّيت فيه، ثم صلّيتُ الغداة معكم. فقالت : يابنيّ لاتحدث به الناسّ، فيكذّبوك ويوذوك. فقال : والله لأحدثنّهموه.

إن كثرة الجدل حول الواقعة لايغيّر من طبيعتها وقيمها شيئا، بل يزيد من أهميتها. ويوضّح معالم العقيدة، ويُنير مسالك التوحيد، ويفسح آفاق العقل، ويقوّى التسليم بالقدرة الإلهية وطلاقتها.

ج : طبيعة الإسراء والمعراج وحكمهما

كشفٌ ربّانيٌ، وتجليّة إلهيّة. إرتفع بهما الحجابُ، وانخشع البين، وانزاح الخلطُ بين مقام الرّبوبية، ومقام العبوديّة، ومقام النّبوّة، مرتبة الرسالة، ـ بظهور الحق يزول المراء. وقدحدث لعيسى عليه السلام في ميلاده ووفاته، خلط، ولُبْسٌ كبير. وحدث برفعه إلى السماء أكبر من الخلط واللبس، إذْ، أَلّهوه وقدّسوه وعبدوه من دون الله، وكان اليهود قبله، يعتبرون عُزَيْرُ بن الله، ويُعتبر هذا الخلط أكبر ضلال حدث في الوجود. القُدُّوسُ أعلى وأكبر من أن يكون له ولد، له ما في السماوات ومافي الأرض وكفى بالله وكيلا. من طبيعة الواقع توحيد الكون، والمعبود الحقّ، والنّبوّة، والرسالات، وأماكن العبادة. وتؤكد علنًا وصراحةً على أنّه ص. خاتمُ الأنبياء والرّسل. وأنّ الوحيَّ الذي أنزل إليه يهدي التي هي أقوم في تبنّى الدّيانات السّماوية، وأقوم في نظام الحكم بين الخلق، وفي نظام توزيع وتسيير المال، ونظام الأمن الفردي والجماعي، ونظام التعامل الدولي سلمًا وحربًا، هذا، ليعيش الناس في سلام، ووئام وانسجام مع الكون فشتان هدى القرآن وهدى الإنسان.

د : الإسراء والمعراج إتّصال بالملأ الأعلى، والتّلقى منه بالرؤيا، بالخطاب، وبالإلقاء بواسطة وبدونها، لأن طلاقة القدرة الألهية لاتُعْرَقِلُها قيودٌ، أو حدودٌ، أوقياسٌ. فمن

عرف أو أدرك شيئا من طبيعة الألوهية، وطبيعة البنوة، وطبيعة العبودية ومرتبة الرسالة، لايستغرب من واقعة الإسراء والمعراج. إن الأبعاد الزمانيّة والمكانيّة، والقياسات، والممكنات المتقابلات، كالوجود والعدم، والمستيحلات عقلا، كل هذه تنتفي في طيّ العدم أمام قدرة الله.

ومن المسلم بداهة وعقلاً بخصوص بعض مراتب الألوهيّة، أن الغير والغيرية والكثرة والعدد، والنسب، والعلل، واللغات، والإعتبار، تَنْعَدِمُ وتنتفي، ولا تشم رائحة عالم العَمَى وتَنْطَمِسُ بصائرُ كبار أنياء الله ورسله، وناهيك عن غيرهم.

1 : أهمّ عنصر بارز، وحكمة إلهية في هذه الواقعة هو بروز شخصية النبي المرسل محمد ص، وبمعنى آخر ظهور حقيقته المحمدية، ومقام عبوديته، ورتبة دعوته ورسالته، وطابع البنوة التي لاتعتمد على الخوارق الحسيّة الماديّة، والتبعية العمياء في الهدى أو الضلال الإعتقادي في السلوك وفي التصرفات.

2 : من أهم عناصر الواقعة وحدة الوجود، والعلّة المُراد منه، مناطه، ومركزه، وحققته التي هي عين الرحمة الربانيّة، والمثل الأعلى، الأقوم، الأسقط، والأسوة الحسنة.

3 : من حكمها إرتفاع حجب الغيب وانكشافها زمانا ومكانا عن ذهنه وروحه. ولم تَعُدْ بصيرته تُحَدُّ بايّ حاجب كوني، هذا، لأتحاد الكون وتجمَعه في كيانه، وإدراكه كُنْهَ الكون، واطلاع على صورته وهو على قمّة السّدرة المنتهى.

4: ومنها أن الوجود ذرّاتٌ مبعثرة كسمسمة صغيرة سقطت على أرض مزرعة واسعة، وقد توحّد هذا الوجود الصغير في ذاته ص.

هـ : حكم وقفاته أثناء الإسراء

وقف بجبل طور سيناء، عند الكثيب الأحمر بجانب الطريق الأيمن، إذْ، ثمَّ قبر الكليم موسى عليه السلام، ووقف ببيت لحم حيث مولد الكلمة عيسى عليه السلام، هذه الوقفات دليل صلاته بالأنبياء، ودليل وحدة الرسالات الإلهية، والحياة الدنيوية، والبرزخية، ووحدة الوجود في صوره وتطوره حسب سنن المشيئة الألهية، كبار الأرواح، وعظام النفوس، تسمو، وتعلو، وتتغذى، وتستمد من حكم وفيوضات الإسراء والمعراج، وانزاح اللبس والغموض عن بعض أسرارهما. وذلك بفضل وسائل الإتصالات الحديثة كأجهزة

التلفزة، والإذاعة، والبرق، والهاتف، والتلقـــى، والمغنـــاطيس المنـــوّم، حيـــث تنتقـــل الأصوات، والصور، والمكتوبات، عن طريق الأثير والأشعة المليئة في الفضاء من وإلى مختلف أنحاء الكون المعلم، في ثوان معدودة.

ــ السمو الروحي والنفس الخارق للحجب هو مسلك الوصول إلى فهم معنـــى وحدة الوجود، وهضم حكم الإسراء والمعراج، لتقوية الإيمان، وتصفية العقل، وتغذيـــة الروح والجسم بالأنوار القدسية.

و : سند الإسراء والمعراج قرآنا وسنة

ــ { سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الذي باركنا حوله لنريه مـــن آياتنا إنّه هو السميع العليم} (الإسراء، الآية: 1).

ــ وقال : { والنجم إذ هوى. ما ضلّ صاحبُكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى. ذومرّة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى. ثمّ دنا فتـــدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى. أفتمارونه على ما رآه نزلة أخرى. عند السدرة المنتهى. عندها جنّة المأوى. إذ يغـــشى الـــسدرة مـــا يغشى. مازاغ البصر وما طغى. ولقد رأى من آيات ربه الكبرى}. (النجم، الآية : 1-18).

وسنّةً نكتفى بما قالت عمته أم هانئ وأوردناها في مستهل البحث. وليس ثمّةَ خـــلافٌ في الواقعة، والجدل المثار حولها كانت حول إمكانيتها، وقد كشف العلـــمُ عـــن بعـــض أسرارها، وبقيت كثيرة منها في طيّ الغيب، وكلها ثابتة في علم الله الأزلي. ومع تقـــدم العلم، والتقّى، والفنّ، والكشوفات، فإن الجدل تقلّص، ولم يعدْ تيّاره جارفًا. كـــأن العلـــم سّخِّرَ، ووضع في خدمة رسالة النبي وتصديق دعوته، وتأييدها، كلما تقدّم وتطور العقل الإنساني. وقد يستوهم البعض عند ما يشاهد موافقة بعض القواعد العلمية والكـــشوفات والمبكرات، والمخترعات، فيعتقدون أنها تأييد وتقرير لصحة القرآن والدين بينما العكس خلاف ذلك.

ز : آراء حول كيفية وقوع الإسراء والمعراج

1 : تقول أمُّ المومنين، عائشة ض : "ما فقد جسمه، ومابرد مضجعه، وإنما أســـريَ بالروح فقط"، وقد سبقت الحادثة زواجها برسول الله ص،

2 : قال الحسن بن أبي طالب ض :"كانت رؤيا في المنام رآها صادقة"،

3 : وقال معاوية بن أبي سفيان ض :"كانت رؤيا من الله صادقة"، وسند هـــذه الآراء قوله تعالى : { وماجعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس} (الإسراء، 60) أي إلا إمتحانـــا وسبرًا لقوة إيمانهم، وثقتهم بالله، وتصديقهم النبي، واستعدادهم لقبول مضمون الوحي،

4 : وقيل : كان بالجسم من مكة المكرمة وبالروح من القدس للملكوت،

5 : وقيل : كان الجسم والروح معًا وبالبراق ذهابًا وجيئًا،

6 : وقيل : كان بالروح فقط ذهابًا وجيئا، لأنه رؤيا صادقة من الله فقط. ولم ينكــر أحد وقوع الحادثة لورودها في القرآن، وشهادة أم هانئ وشهادة العير التي قدمت بعدها من القدس.

ح : سرد الحاثة حسب الروايات

غادر مكة المكرمة ليلا على مطن البراق ومعهما جبريل عليـــه الـــسلام، ومُمْـــسِكًا بِلِجَامِهِ، وانطلقوا صَوْبَ المسجد الأقصى، وَاسْتَوْقَفَتْهُمْ أصوات خفيّة، وحاولـــت إلفـــات أنظارهم ولم تنجح. ولكنّهم وقفوا أولاً :

1 : بجبل سيناء لزيارة قبر نبيّ الله موسى عليه ص وقال في حديث : "لو كنت ثـــمّ لرأيتكه : القبر بجانب الطريق الأيمن عند الكثيب الأحمر".

2 : بيت لحم، مولد عيسى الذي بشّر بمجيئه، وبرسالته ونبوته ص.

3: بيت المقدس على هكيل سليمان عليه السلام حيث عقل البراق، وصلّى بـــالنبئين وسلّم، إعلانا من المولى بختم النّبوّة والرّسالة ببعثته ص.

4 : وقف في كلّ من السّماوات السّبع للتحيّة على ساكينها، واستقبل في الأولى الأبُ آدم عليه السلام، وهناك رأى صور الخلائق والنجوم التي تزين السماء الدنيا وغيرهـــا من الآيات، كما التقى بإبراهيم وعيسى ويحيى وإسماعيل، ويـــونس ونـــوح وموســـى، وجرى معهم حوار لطيف، وتبادل النظر معهم بخصوص النبوة والرســـالة، وهنّئـــوه، وبشّروه، وعظّموه، وقدّموه ولما وصل إلى قمة سدرة المنتهى، زّار جنّة المأوى، ورأى كباره ملائكة الله، وفئاتهم، واستمَعَ لِتَسْبِيحَاتِهِمْ ومن ثمّ صعد وارتقى في لمـــح البـــصر،

وتخطى حجبًا من ماء، ونار، وهواء، وفضاء، وبحارا مسيرةً الواحدة لأخرى خمسئمة عام (500) على وجه التمثيل.

ثم تخطّى حجب الجلال، والجمال، والكمال، والأَسْرَارِ، والوحدة، ومن ثمّ ارتقى إلى حيث شاء الله، وكان قاب القوسين أو أدنى من عرش الرحمن فأوحى المولى إلى عبده ما أوحى، وابتلعه الفناء، وشاهد الأرض والسماء كحبة سمسمة أو أصغر في مزرعة فسيحة، توحي بأن الإنسان في حضرة القدس يجب أن يكون كتلك الحبة في تلك المزرعة الواسعة، وثمّ مد العليّ يدًا صدره وأخرى على كتفه فأفنتاه في ذاته تعالى. وفرض عليه الصلوات الخمس. ثم نزل على بيت المقدس، وفكّ البراق، وآب إلى مكة والناس نيامٌ. ما أعظم محمّداً.

<u>تصوير الإسراء والمعراج من القرآن</u> : سند جميع هذه الآراء قوله تعالى : { إنّما أنّا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد}. (سورة الكهف، آية : 110) وقوله { إنّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} (السناء، آية : 48.) سورة الإسراء من القرآن.

سورة الإسراء تشمل على (110) آية مكيّة، تبدأ بالتسبيح تمجيدًا للّه، وتنتهي بالحمد والتكبير تعظيمًا له، والسورة تعالج الألوهية والعبودية، والنبوة والرسالة، والعقيدة والسلوك وآداب الحضرة، وفيها إشارات إلى ان تسبيح الكون في سابق علم الله الأزلي، وجار مجرى مشيئة، وهو أعلى آية ومعجزة النبي ص، وفيها أن المعجزات الحسيّة وخوارق العادة لم تكن سندًا لرسالته، وصدق نبوته.

وفي الحادثة تكريم وتفضيل رباني لطيف للبشر على غيرهم من المخلوقات، ممثلا في شخصيات ص، وفيها تجليات وخصوصيات ومنن، ومواهب لدنّيّة له صلّى الله عليه وسلّم ولأمته.

الفصل الرابع

التَّرْبِيَّةُ وَوَسَائِلُهَا اْلَمادِيَّةُ

التربية وتعريفها

1 ــ التربية أكبر معضلة عرفها تاريخ البشر وأعتى عقبة عرقلت مسيرة ركب الحضارة وظلت صعوباتُها صامدة في وجه كبار المعنيّين رغم الجهود التي بذلت للسيطرة عليها.

وهي أساسا تعنى إعداد الفرد نفسيًا وجسمانيًا إعدادًا يمكّنه من التجاوب ومواجهة الطبيعة المحيطة به ومقاومة مستجدّاتها ورفع تحدّياتها، ويجعله عاملاً حاسمًا للإبداع والإنتاج والتعمير قصد ضمان الأمن والسلّم والرّفاه وصولا إلى إخضاعها وتذليلها لصالحنا.

وما التاريخ إلاّ سجلّ عامّ تنعكس من خلاله منجزاتُه ومتطلعاتُنا. والأمّة الفاقدة لهذا السجل التربويّ ليست جديرة بأن تُذكر في صفحاتِ التاريخ البشري حيث أنّه لم يرتفع مستواها الحيواني إلى مصافّ البشر، ولم تستفد من المزايا والقدرات والطاقات التي ودعها ربّ العالمين في كيانها. ويجوز، بل يجب في هذه الحالة تطويقها بقيود الرّقّ وسلاسل الإستعباد مُجَازَاةً لإهمالها.

نستنتج من هذا التعريف، أنّ التربية شرط ضروري حتميّ لوجود أمّة، وإقامة مجتمع حضاري، وإنشاء عمران على الأرض. وما الأُسَرُ، والشّعوب، والقبائل، والدول، والمنظماتُ إلا نماذجُ، وآثارٌ أَنتجتها التربيّة عَبَرَ القرون. فإذا تعثّرت أو أُهْمِلَتْ، أو فقدت أو حرقت أثّر ذلك سلبًا على كلّ المجتمع. فإذا عُنيتْ بها العناية الحقّة، أعطت ثمارها يانعةً، يَنْعَمُ بها الجميع. فالمعيار الموضوي لقياس تقدّم وتخلّف أمّة ما، وترتبط التربيّة سلبًا وإيجابًا، وعليه فأولى ما يعتَنَى به في حياة أمة هي التّربية.

الوسائل البشرية

2 : الكلام عن التربية مجردة عن المربّي كلام عقيم، عندما تُمْنَعُ عقولنا بمحاسن الفنّ وجماله وروعته فلا يمنعنا إستيلاءه على أذهاننا عن التفكير والإعجاب والتقدير بالفنّان الذي أبدع وأنتج هذا الفنّ. وهكذا، فلا وجود لتربية دون وجود مربّ سابقٍ ولا مخلوق دون خالق وعليه فمن هو المربيّ؟

الجواب عن هذا السؤال غير محصور، حيث أنّ كلّ فنّ من فنون العلم في حاجة إلى مربّ متخصّص في ذلك الفنّ من العلم. والتربية كفنّ، وقيمة، ووسيلة، مجالُ المربّي وميدانه. هذا، ويسمّى الفرد مُربيًّا، إذا ثبت في سلوكه العلميّ وأعماله التطبيقيّة،وعلاقاته الأخلاقيّة ما يصدّق تحليّه بهذا الوصف. ويلاحظ في هذا المجال أنه لايسمّى المعلّم معلّماً ولا الأستاذ أستاذًا، ولا الرّاعي راعيًا، إلا إذا كان بالفعل مُربيًّا ماهراً خبيراً بشؤون التربيّة، وعليه، فالمربّي هو الذي يعرف كيف يرفع من مستوى الإنسان المجرّد من القيم إلى مستوى إنسان علميّ حضاريّ أخلاقيّ تقدميّ يعمل وينتج وفق معايير ومقاييس ثابتة متناسقة باطّرادٍ.

والمربّي كلّما تَعَالَى في سموه نحو الكمال العلمي، والجمال الفنّي، والجلال الخُلقي، كلّما كان جديرًا بأن يوُصفَ بهذا الوصف الجليل الذي يعدّ من بين صفات الله ربّ العالمين، المربّي الأوّل للمخلوقات ويندرج في سلك كبار المربّين الأنبياءُ والمُرسلون والأولياءُ، والعلماءُ والفلاسفة، والأساتذة كلّ في فنّه ومجاله وظروف زمنه وهؤلاء هم الذين حقّ على الأمم ان يقتدوا بهم ويتّخذوهم مُثلاً عُلْيَا، وشخصياتٍ وطنيّة تُرَبّى الأجيال على سلوكهم ومنهاجهم حيث تدرس حياتهم وأعمالُهم وآثارهم في كلّ مراحل الدّراسة وتُعْنَى بفلسفتهم لدى الدّراسات الجامعيّة والعليا والمتخصّصة.

إن دراسة حياة عُظمائنا مقارنة بحياة غيرهم من عظماء الأمم تُدرُّ بخيرٍ عميم، وتساهم في خلق جيلٍ قويٍّ سليمٍ قادرٍ على دفع عجلة التقدّم الفنّي والأخلاقيّ ورفع تحديّات الطبيعة وتحمل أعباء الأمّة، دون هوادةٍ او غرور أو بغي تنتهي بالإنْهِيَارِ والإضمحلال. فتزدهر وتنمو، وتسود، وتتقدم الأمّة وترسو، قواعد الأمن والعدل والرفاهية. والطابع الغالب في الأمة مستمدة قطعًا من طابع مربّيها. وهو مصداق قول أحمد شوقي :

وإنّما الأمم أخلاق ما بقيت إن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

والمربّي في المجتمع الإسلامي يعتمد في عمله بهّدْيِ القرآن والسنة المطهرة، حيث يقول تعالى : {إقرا باسم ربّك الذي خلق خلق الإنسان من علق، إقرأ وربّك الأكرم الذي

علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم}. ويقول عليه السلام : " إنّمـــا بُعثـــتُ لأتّمـــم مكـــارمَ الأخلاق".

– المربّي الأوّل هو الذي ربّى الأنبياء، وأَلْهَمَ الأولياءَ، وعلّم الخلق وهــداهم، وهــم بدورهم كُلِّفُوا بعمارة الأرض والمحافظة على القيم الأساسيّة فيها : كالنّــسل، والــنّفس، والعقل، والقيّم، والدّين.

أهمّ شيئ في بعثة النبيّ، ومهمّة الوليّ، والمصلح الإجتماعيّ، والقائــد الــسياسيّ، أو العسكريّ، والفيلسوف، والعالم، والمعلّم هي : التّربيّة. ولهذا، فهم أنفع النّاس، وأشرفهم، وأعلاهم درجة عند الله، كما ورد في الأثر والعبر بقوله عليه السّلام : "خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه لغيره". وقوله : "النّاس عِيَالُ الله أنفعهم عند الله أنفعهم لعياله". وقوله : "إنّ للّه في خلقه عبادًا وُضِعُوا لحوائج النّاس، فإذا كان يوم القيامة، وضعت لهم منابر من فور يُحْدِثُونَ اللهَ والنّاس قيَامٌ". المربّون أكثر النّاس، وأشدّهم، وأعمقهم تأثيرًا علـــى المجتمع والخلق بعد الخالق تعالى الذي أودع فيهم طاقاتٍ وأسرارًا وعجائبَ تأبى العــدَّ والإحصاءَ. على أن مهمة المربّي تدور بهذا المنظور ــ حول كيفية المحافظة على القيّم المذكورة أعلاه، والبحث على انجح الوسائل الكفيلة التي تضمن ســلامتها مــن العبــث والفساد. ولهذا، الغرض أُقيمت أنظمة، ودول، وامبراطوريات و منظــات، واخْتُرِعَــت إيدلوجيات شتّى تدعو كلّها إلى هذا الهدف. ونحن اليوم، بعيدون عن الهدف المنــشود، رغم أن الإنسان قطع سوطًا عملاقًا، في هذا المجال، وحاول أن يسلك في سَيْرِهِ الخــطّ المستقيمَ الأقصرَ، ومنع ذلك فلايزال الرّكب متخلّفًا، والعلم محبوسًا، والحضارة والفــنّ والتكنولوجيا محتكرة، وظروف الحياة غير راضية، وتوزيع الخيــرات غيــر عاديــة، وأوضاع المجتمع غَيْرُ مستقيمةٍ، والأحكام غير شــرعيةٍ، والقــرآن مَهْجُــورٌ، وســنّةُ المصطفى غير مأخوذ بها، والإنسان في سيره الحثيث نحو الكمال لم يأخــذ بعــدُ فـــي الإعتبار المعيارَ الصّحيح، لإقامة حياة مُثلى دعائمها العلمُ والأخلاقُ.

وتأسيسًا على ما سبق، فإن التّربيّة إذا تمّت خارج الإطار الإسلاميّ، وطُبقــت وفــق مناهج لاتحترم القواعد الشرعية، والمبادئ الأخلاقيّة، فإنّ النّتائج حتمًا لاتكون إلاّ سلبيًّا

وخيمةً، تُعْدِي وَبَاؤُها المَرْدِيَّةَ على جسم المجتمع، ويسرى أخطارُها وسُمُومُها في عروق الأمّة، لتُرْدِيهَا وتُبِيدُهَا.

المربّي في المفهوم والمنظور الإسلاميّ يجب أن يكون أخلاقيًّا بطبيعته، مثاليًّـا فـي سلوكه، عبقريًّا لبقًا فصيحًا في أسلوبه، نَزِيهًا صادقًا مخلصًا وفيًّا فـي عملـه، فـدائيًّا يُضَحَّى بالنفس والنفيس دفاعًا عن إيمانه، والغاية التي يعمل ويجاهد من أجلـه." إنّ الله يحبّ عبدًا إذا عمل عملاً أَتْقَنه" كما ورد في الأثر والعبر.

مصادر التربية الإسلامية

المبادئ العامّة للتربية الإسلامية تستنبط من القرآن والسنة وهما المـصدران اللـذان لاينضبان أبدًا.

القرآن فيه خبرُ من قبلكم، وحكمُ ما بينكم ونبأُ من بعدكم. أمّا السيرة النبويّـة فهـي مدرسةٌ جامعةٌ إليها تنتهي جوامع الكلم ويقول تعالى : {وانزلنا عليك الكتـاب والحكمـة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا} صدق الله العظيم.

شخصيته عليه السلام هي النموذج الكامل للتربية الربّانيّة الجامعـة لكـلّ عناصـر التّربيّة المطلوبة للأجيال، وهي جامعة في تعاليمه وتوجيهاته، ومواقفه العلميّـة. تتبـئ الصّدق والأمانةَ، والتّقوى، ونزاهةَ الظاهر والباطن، وعمق الإيمان بـالله، والإسـراع لتلبية داعي الله، والصّبرَ، والحكمةَ، والزّهد ولباقة القول، وحـسن التّـصرف ولُطْـفَ المعاشرةِ، ولينَ الجانب والحزمَ، والجدَّ، والإتزانَ، والتّوسطَ في كلّ أمـرٍ. { وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيم}.

كلّ النماذج ومناهجُ التربيةِ بجانب منهجه ناقصة منحرفة، وسالبةُ النتائج والشخصياتُ عمومًا أمام شخصيته صلّى الله عليه وسلّم أَقْزَامٌ، وذلك فضل الله العظيم ومنَنُـه علـى حبيبه عليه السلام مصداق قوله :

{ لقد كان لكم في رسول الله إسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكـر الله كثيراً}. ص. ومثل هذه التأكيدات وردت عنه ص. في قوله : "بلغوا منّي ولو آيةً" وقوله

:"خذوا عنّي مناسككم" وقوله :"صلوا كما رأيتموني أصلّي"، "أدبني ربّي فأحسن تأديبي"، "بعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق". وغير هذه من جوامع كلمه الفياض.

مناهج التربية قبل أثناء وبعد الإستعمار

مناهج التربية الفرنسيّة وطرقها السائدة في السنغال منذ دخول الإستعمار إليها. وتجدر الملاحظة في أنها قبل وأثناء الإستعمار، كانت أصلحَ، وأسلمَ، وأنفعَ للتربية والتعليم، وبالتالي كانت النتائج أحسنَ في كلِّ المجالات.

للوقوف على الأسباب والعوامل والظروف التي أدّت بمناهجنا إلى التدهور والإنحطاط، يجب أن ينصبّ البحث إلى خضم المجتمع لنستخرج منه العناصر والعوامل التي يُمكن أن تعتبر سببًا مؤثِرًا وحاسمًا لنجاح أوفشل التربية.

والعناصر الرئيسية التي تدور حول مسرح التربية وتلعب فيها دورًا حاسمًا هم : المعلّمون، والمدرّسون، ومرافق التّعليم، وآباء التلاميذ، والتلاميذ، ونظام الحكم، وسلوك الحكام، وأخلاقهم، وإيدلوجياتهم، والأوضاع السياسية والإجتماعية السائدة في البلاد مع الأخذ في الإعتبار تأثيرُ العلاقات الثُنائية ومتعددة الأطراف التي تربط بلادنا بالدّول والمنظّمات وخصوصًا منها علاقات التعاون الثقافيّ والسياحيّ والسنمائيّ والفنيّ، لخطورة آثار هذه العلاقات وثقَل عِبْئِهَ على كفّة ميزان المجتمع من حيث مساهمتها في تكوين الضمير الجمعيّ، وتوجيه الرّأي العامّ بالإذاعة، بالجرائد، بالتلفزيون، والمراكز الثقافية وأفلام السنماء والكاستات وغيرها من وسائل، جدّ فعّالة تستطيع تعبئة الجهود والإستيلاء على الرّأي والأذهان، في السيطرة عليها سلبًا وإيجابًا لفترات متفاوتة قد تطول أو تقصر. لنُفْرِدَ لكلّ عنصر من هذه العناصر كلمةً وجيزةً.

المعلّمون وكيفية إختيارهم

لم يكن إختيار المعلّم سهلاً كما أنّ تكوينه لم يكن بالتالي سهلاً، وذلك لأن مهنة التعليم ليست سهلة فهي في الواقع تضحية من البداية إلى النهاية. فالمعلّمون فدائيون يُضحّون بأرواحهم لإنقاذ الأجيال. وهم في هذا الدّور كاالشمعة تحرق وتذوبُ لتضيئ وتُنير للغير حتّى الفناء.

ولقد كانت المعيار لإختيار المعلّم موضوعية بحتَةً في مجالها الماديّ، وذاتيةِ صرفة في ميدانها الشخصيّ والنّفسيّ، علاوة على الإمتيازات الذّهنيّة والعقليّة والجسميّة التي يجب حتمًا أن يتحلّى بها المرشحّ لهذه الحرفة النبيلة.

ولهذه الخصوصية، أنشئت معاهد خاصّة لتكوينهم لاتلحق بها غيرُهم وتسمّى مدارس أو معاهد المعلّمين، وكانت شروط الإلتحاق به من أشدّ مايكون والتّخرج منها أصعب، بينما كان نظام الحياة داخلا شبيهًا بالنظام العسكري من حيث الإنضباط والخضوع والإلتزام والزّيّ والنّظافة.

من أجل هذا كانت هذه المعاهد تخرّج نخبة مباركة ممتازة ونماذج محترمة مؤدبة تحيى معاني التّضحيّة والفداء وقيمة العلم والعلماء، ومكانة الفرد في المجتمع ورسالته في الكون. هذا، ولم تكن العوامل السياسية عند الإختيار تلعب دورا حاسمًا كما هو الحال عند ما نال البلاد إستقلالها.

على أن معايير، إختيار المعلّمين المراحل الإبتدائية كانت تضاهى تلك المستعملة في المراحل العليا في التعليم إلا أنّها كلما كانت المرحلة أعلى كلما كانت الشروط أخفّ وذلك لأن الجهود الازمة لتربية الطفل أكثر وأدقّ منها لدى البالغ الرشيد، حيث أنّ الأوّل في حاجة ماسّة إلى مزيد من الإنتباه والعناية والرعاية والحنان والعطف والرفق تربية وتوجيهه وإنشائه.

فالمعلّم يدري بالضرورة أسماء التلاميذ ونفسياتَهم وأمْزِجتَهم وظروفَهم العائلية كلّ على حدةٍ تقريبًا. لأنّ هذه المعرفة تُعينُه على معرفة طاقات الطفل وصُعُوبَاتِهِ والعوامل التي تؤثر في نفسه.

أما المدرس في المعاهد والمدارس والجامعات فلا يشترط عليه أن يعرف هذه العناصر لأنّ دوره التكويني والتوجيهي أهمّ من دوره التربويّ.

إختيار المعلّمين بعد الإستقلال

إختيار المعلّمين بعد الإستقلال لم يعد يخضع لنفس العوامل الموضوعيّة الذاتية. ولم يعد بالتالي المعلّم يتمتع بالصلاحية والشخصية التي كانت معروفة، وبانهيار شخصية المعلّم تبعًا لإنعدام الموضوعيّة في اختياره وتكوينه إنهار صرحُ التعليم، وانحطت قيمُ

المجتمعِ وانعدمت التربية وتسرّبت العوامل السياسية والمحسوبية والتزوير والنفاق والخيانة والمادية والرشوة والفساد عمومًا إلى جسم المجتمع ونتج عن هذا كله :

* انعدام الأخلاق والنزاهة وتفشي الإنحلال الخلقيّ والإحترام والجحود والأنانية، وزاد الطين بلّةً دور الأفلام، والجرائد، والإذاعة، والسواح، والمعاونون والمسرح، والحفلات العائلية، والمراقص، والكابارهات، ونشاط الشارع، والوعظ الديني وهلمّ جرا.

إن انعدام الموضوعية في اختيار المعلّمين والنزاهة والدّقة في التكوين واحترام المعايير تنعكس سلبًا في النتائج المترقبة حالاً ومآلاً وبِتَعْبِيرٍ أدقّ في المدى البعيد والقريب، وتَبْدُو سلبيّة النتائج بشدّة في سلوكِ الشباب، وكثرة شكاوى الكبار وتفاقم نسبة الجرائم، وانهيار القيم والشهامة والنبل والكرم وتفشّي الوقاحة والكذب والفسق والخيانة. وهكذا وعندما يفشلُ المربّي في مهمته التربوية هذه في جيلٍ معينٍ، فإنّ نتائج الفشل يرافق هذا الجيل إلى أن ينقرض من الوجود، وتتسرّب آثار الفشل في كلّ مجال في المجتمع أنّى يوجدُ فيه فردٌ من أفراد الجيل الفاشل. ولهذا يقول المربّون في تحليلاتهم :

– إنّ أَوْلَى ما عُني به لتكوين مجتمع مثاليٍّ قويّ سليم منتج هو تربية النّشىءِ. فإذا نجحتَ في تربية فردٍ واحدٍ من المجتمع الإنساني الكبير، فقد نجحتَ في تربية جيلٍ كاملٍ قد يُعطى ثمار النّجاح خلال قرون متلاحقةٍ. ونلاحظ – بخصوص الإختيار بعد الإستقلال – أنّ نسبة المتعلمين إرتفعت بشكل رهيب، بقدر مانحطت القيم الأخلاقية بشكل أشدّ، وهكذا عدد الأطر والشهادات. وإذا اختلّ التوازن بين القيم الماديّة والأخلاقيّة في مجتمع ما، فلاتثق في ذلك المجتمع ولاتعتمد عليه لله درّ أمير الشعراء حيث يقول :

وإنّما الأمم الأخلاق ما بقيت   إن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ــ عندما يكون المعلّم أو الأستاذ مجردّاً عن القيّم الأخلاقيّة، حيث لايربطه بالإدارة والمدرسة أو المعهد أو الجامعة إلا المرَتُّبْ الشهري، ولا تربطه بالتّلميذ أو الطّالب إلاّ قاعةُ الدّرس والسّبورة والكلمات التي يمليها دون هدف! فإنّ المدرسة والجامعة ــ حينئذ ــ تصبح مصنعًا لتكوين المجرمين وتدريب كبار المخربين الذين يسعون في الأرض فسادًا. إنّ موضوعيّة الإختيار وسلامة التّكوين تضمن بالضّرورة نجاح المعلّم والمدرسة معًا والعكس بالعكس.

ــ عندما يلعب المعلّم دوره في بناء ورفع معنويات الأبناء فماذا يكون دور الآباء؟

الرّقابة ــ الّكامل ــ التّفرج ــ الإستقالة بترك مهمة تربية أبنائه بيد السّلطة السّياسيّة والإكتفاء بِمَا فَعَلَ اْلجِيلُ فَهُوَ اْلجَمِيلُ.

دور الآباء في تربية الأبناء

الأبّ هو العمود الفقريّ في الأسرة، وغالبًا ما تتشكل أو تتصف الأسرة بأوصاف الأبّ وسلوكه وعاداته.

والمدرسة نموذج مكبّر للأسرة، لأنها ملتقى لعدة أُسَرٍ. داخل المدارس، تحاول الآباءُ أن يعطوا لأبنائهم وأسرهم، بل ومجتمعهم طابعًا الوحدة صفًّا وعملاً وعقيدةً، وتُحاول داخل المدرسة جَمْعَ العاداتِ والتقاليد ومحو الفوارق وتقريب وُجهات النظر، وتوحيد الأهداف الأساسية، وصيانةَ القيم، والمثل العليا، وإسهامَ كلّ فردٍ، كلٌّ حَسَبَ طاقته في بناء المجتمع.

والأبّ في مجال التّربية يلعب دورًا طليعيًا لايمكن التّجاوزُ والإعفاءُ عنه، حيث يعتبر المثال الأوّل والنموذج الحي للولد، وإليه يعود المولدُ للإفتاء وبه يُقتدى في العمل، ويعتقد بمُثُله وعقيدته ومن الصعوبة بمكان إزالةُ أو محوُ آثار الآباء من مُخَيِّلة الأبناء، مهما كانوا بسطاء جهلاء لأنّ الأبناء يرون صورة المجتمع كاملة من خلال أقوال، وأفعال وتصرفات آباهم، إبتداء من يوم الميلاد.

وكان المعلّم مصحح الأخطاء التي إرتكبها الآباء في السنوات الأولى السابقة لإلتحاق الطفل بالمدرسة.

في اليوم الأول لوصول الطّفل إلى المدرسة، يلاحظ انّه في أسرة أكبر من أسرته وأنّ المسؤول غير والده ولا أمّه واشياء أخرى لتهمّ الكبار يبدأ الطّفل أوّل يومه في تعلّم الجلوس طويلاً دون حركةٍ وتنقُّلٍ، الهدوءَ والسّكوت والإذعانَ والإنتباهَ، وعدمَ الإلتفات دون سبب جديّ والكلامَ المهذّب، والإجابةَ والسؤالَ والرّدَّ بالقبول أو الرفض، والخضوع لسلطة غير سلطة والده والإمتثال لأوامر غيره.

هذا الجوّ الجديد بعب ءه الثقيل يلعب في نفسية الطّفل دورًا إنقلابيًّا عميقَ الأثر، ويرفع من مستواه إلى درجة قد تكون أعلى من مستوى درجة أسرته وقد ينحط.

أوّل ما يتعلّمه الطّفل، ليست هي الحروف الأبجديّة، وليست أوّل ما يرى هو المعلّــم، عند وصوله إلى المدرسة.

إنّ مخيّلةَ الطفل أدقّ وأشدّ إحساسًا مما يتخيله كثيرٌ من النّاس، ومايثير إهتمامه فــي المحيط الإجتماعيّ أكثر وأعتى من أن يحصى، وهذه الملاحظات والأشياء والأشخاص التي تدور في خُلْدِه ومحيطه في حاجة إلى مرشد، موجّه، مربّ يرشده ويــصحح لــه، ويجيب عن كلّ تساءلاته بما يناسب عقله بلا مجازفة ولاتعسف بتفريط أو إفراط.

فإذا لم يوجد تجاوب وتناسب بين جوّ الأسرتين فإنّ عملية بنــاء الطّفــل تفــشل ولا محالة.

فإنّ المعلّم في هذه الحالة بنّاء ــ والأبّ يرسل إليه ويزوّده بمواد غير ملائمــة فإنّــه لايعطى النتائج المرتقبة، من هنا نرى أنّ عملية تربية الطّفل غير موكولة بالمعلّم فقــط، بل، موضوعة بين كفّتي الوالد والمعلّم فإذا ارتفعت أو انخفضت إحدى الكفتين اثّرت هذه الحركة سلبًا أو إيجابًا على ميزان العمليّة.

الأطفال يقضون أهمّ أجزاء النّهار مع المربّين واللّيل مع الآباء، ومايبنيهِ المعلّم نهارًا يُفَتِّتُه الاباءُ ليلاً، ويقومون بدور التّقرير والتقدير، قبل عودة الطّفل إلى المدرســة كمــا يزوِّدُونَ الطّفلَ بموادٍّ جديدةٍ للعمل كل يوم. فإذا أهمل هذا الدّور، أو توقف، أو تــسرّب فيه خلل أثّر ذلك في عمل المعلّم ونتائج الطّفل بالضّرورة.

والآباء اليوم كثيرًا ما يعتقدون أنّ دورهم ينتهي عند شراء لوازم المدرسة في بدايــة السّنة الدّراسيّة وتذاكِرِ الرّحلة بين المدرسة والبيت وإعْدَادَ وَجَبَــاتِ الطّعــام، وبعــض الأدويّة الطّبيّة وما شابه ذلك.

وبعض الآباء لايهمّهم بالإطلاق تربية وتعليم أبنائهم حيث يعتقدون أنّ هــذه المهمّــة موكولة على عاتق الحكومة، على الزّعماء الدّينيّين، على الإمام لا عليه أوّلاً وقبل كــلّ شخصٍ في الوجود.

وبعض الآباء ينسون أنّ أبناءهم يمارسون الدّراسة وقد لايتتبعون أو يسهرون علــى الأبناء طيلة السّنة الدّراسيّة، وقد يوكّلون هذا الدّور إلى الأمهات الأميّات أو الخادمــة أو الحارس العاجز.

وبعض الآباء يعتبرون وجود أبنائهم في المدرسة مجرد عـــادة فـــي المجتمـــع، وأنّ المدرسة مرحلة تمرّ بها الأجيال قبل بلوغ سنّ العمل، قبل تعلّم حرفة يدويّة أو مهنـــةٍ. ولا ينظرون من مراودة إبنه للمدرسة أيّة نتيجة.

وبعض الآباء يعتقدون أنّ المدرسة مصنع لصناعة أدوات بـــشريّة ومنهـــا يتخـــرج الموظفون، والأطباء، والمهندسون، والوزراء، والمدراء، وكبار الأطر وكبار المسؤولين ولادور لها من وراء ذلك.

وبعض الآباء لايهمّهم العلم والتّربية والمدرسة وقد لاتلتفت أنظارهم إلاّ نادرًا.

ويمكن القول أنّ مواقف الآباء أقرب إلى الإستقالة في معظم الظروف عنها من القيام بمسؤولياتهم.

ويجب على الآباء أن يعرفوا بدءًا أنّ نجاح أبنائهم غير موكـــول علـــى الـــسلطات التعليمية والمعلّمين والمجتمع فقط فإذا وقف موقف متفرج عن تربية وتعليم ابنه معتقـــدًا أنّ جهود المدرسة والسلطات تكفي للوصول إلى نتائج فإنّه مخطئ، بل، إنّ الجزء الأكبر من نجاح الطّفل العلمية بيده دون غيره، بل، المعلّم، والمدرسة موضوعة تحت تصرفاته لمعاونته في تحقيق وأداء مهمّة تربية ولده وضمان المستقبل له. فإذا اعتقد أنّه بمواقفِـــه السّلبية المعاون للسلطات ففي هذه الحالة يكون قد قدّم إستقالتَه وطلّق المجتمع.

ولهذا، فالآباء عليهم أن يسهروا على أبنائهم بالمراقبة والتّتبع لكلّ ما يقوم به البنـــاء في المدرسة وخارج المدرسة ويكونوا على اتّصال مستمرّ بالمعلّمين المـــسؤولين عـــن أولادهم ويقومون بزيارة المدرسة ليتفقدوا عن سير الأمور وسلوك الأولاد ونتائج العمل ولإجراءات التي يجب إتخاذها لتحسين وضعية المدرسة وتسهيل أداء مهمّة المعلّم ورفع مستوى الطّفل وخلق جيل صالح منتج يتمتع بكلّ المزايا الإنسانية.

وعندما يقوم الأب محل معاون صارم حاسم فإنّه في هذه الحالة يلعب دورًا تكامليًـــا مع المدرسة والمعلّم وعندما يتخلى عن العب ء كلّه للمدرسة والمعلّم فإنّه مُسْتَقَيلٌ عـــن مسؤوليته كوالد بالتالي مسؤول عن فشل أبنائه مستقبلاً.

إنّ الأبناء نعمة إلاهية يمنّ المولى بهم الآباء، وعلى الآباء ان يبذلوا مزيدًا من الجهد للإستحاق هذه النعمة الربانية لأنّه تعالى كما ورد في الأثر والعبـــر : إنّ الله تعـــالى :

"يحب أن يرى أثر نعمته على عبده". وإذا اعتنى والد بتربية وتعليم وتكوين إبنه فإنّ جهوده يعتبرون نوعًا من الإعتراف بالجميل، وتحدّث بنعم ذي الجلال والإكرام.

وقبل أن نختتم من هذا الباب نرجو أن نلفتَ أنظاركم حول أهمية تعليم الأطفال المهنَ والحرفَ أثناء العطلة السّنوية، وفي هذا المجال فكلّ الحرف نافعة ولايجب أن يعتقد الاباء أن الدّراسة في مرحلة من المراحل مهما تعالى تتنافى مع ممارسة حرفة أو عمل يدوي منتج كالزراعة، وتربية المواشي، والخياطة، والحدادة، والصياغة، والدباغة، وصيد الأسماك، والبناء، والميكانيك، والكهرباء، والسياقة، وما إلى ذلك. لأن هذه الخبرات تزيد من معارف الطفل وتنمّى عقله وتفتح مجالات وآفاقًا جديدة أمامه، لأن التّعليم وسيلة للوصول إلى المعارف والخبرات فإذا كانت هذه المعارف والخبرات بيد الاباء مثلا، فعليهم أن يعلّموها الأبناء علاوة على المحصول العلمي المدرسي، ومن السهل على الطفل تعلّم وإتقان مهنة والده مهما كانت صعبة إذا كانت هناك نيّة، وإخلاص، وتفانٍ من الجانبين، جانب الوالد وجانب الولد ومساعدة من قبل السلطات المعنية.

العناية بمرافق التّعليم

تندرج حول مفهوم مرافق التعليم والأماكن المخصصة والتابعة لهذه الأماكن، بغض النظر عن البنايات والآلات والأدوات والأثاث والسيارات والمختبرات والمصحات والحدائق والبساتين والورثات والغابات والملاعب والمسارح وكلّ ما هو موضوع تحت تصرف السّلطة المعنية بالتّعليم لأداء مهمتها من أدوات مادية وبشرية.

العناية بهذه المرافق والسهر على سلامتها وإصلاحها والمحافظة على جدّتها باستمرار دور كبير وتأثير جد فعّال في نفسية المعلّمين والمتعلّمين.

ولاشك في أنّ جمال المنظر ورَوْنَقَتِه تلعب في النّفس وتؤثر فيها. فإذا كان المنظر والجوّ كئيبًا مرعبًا خربًا يبعث إلى النفس اليأس والكآبة والكسل والخزلان. والملاحظ في عموم مرافق التّعليم في بلادنا – مع الأسف – هو الإهمال وكثيرًا ما تكون محاطة بالمزابل والأسواق التقليدية، حيث الضوضاء والغوغاء والثرثرة والفوضى أما الحماية بالطلاء وإصلاح الحيطان والنوافذ والبِيبَان والممرات، والمقاعد، والسبورة، والمكاتب،

والصناديق، والملاعب، والمحيط البيئوي التابع للمرفق، فلا يخطر ببال أحد ولاتقع مسؤوليتها على عاتق أحد من القمة إلى القاعدة.

أسوأ المرافق منظرًا وأشدها إهمالاً واندثارًا عندنا هي مرافق التّعليم، وقد تبقى بعض أجزاء مدرسة أو جامعة أو معهد نصف قرن كاملة لاتُزَيَّنُ ولاتصلح حتى يصبح مربضا للحيوانات أو مخبأ للإجرام أو مزبلة.

وعندما تقوم بزيارة مكتب أحد مديري المدارس الإعدادية أو الثانوية، فإنك تندهش عندما تعاين مكتبه وحالة الأدوات البداغوجية التي وضعت تحت تصرفه فإنها تدعو للبكاء والحسرة والخجل.

والمرافق عمومًا عندما لاتتغيّر ولاتتطور ولاتزدهر بل إنها في تناقص وانهيار واندثار مستمر.

المدرسة الإبتدائية بمدينة بَرْنِ التي بُنِيَتْ سنة 1937م لم ألاحظ في نصف قرن مضى أن أدخل فيها إصلاحات أو زيادات أو طلاء او تحسين أو غير ذلك. فإذا كانت هذه حالة عموم المرافق الإدارية في البلاد فلا داعي للشكوي، لأن المصيبة إذا عمت هانت.

وفي هذا الخصوص أنتهز الفرص لأثير إلى آباء الطلبة والتلاميذ أن منظماتهم تستطيع أن تحلّ مكان السلطة فتلعب دورًا هامًّا في مجال تجديد وترميم وبناء مرافق جديدية في بلديتنا وذلك بالإشتراكات والتبرعات والمساعدات التي يمكن تحصيلها من جهات مختلطة إلا أن هذه الفكرة في حاجة إلى تنظيم، ودراسة ونقاش طويل من القاعدة إلى القمّة. ومهما يكن من الأمر فإنّها من أنجح الوسائل لحلّ معضلة إنهيار المرافق وانعدامها في بعض الأحيان ولايوجد بديل عنها في هذه الظروف الحرجة التي تجتازها البلاد سياسيا وإقتصاديا.

وأن الكلام عن دفع بدل الكتب واللوازم للطلبة فلاجدوى لها لأن فاقد شيئ لا يعطيه.

المدرسة الحرّة والعامّة

تختلف المدارس الحرّة بالمدارس العامّة بمجانيّة التّعليم فيها وبمقابل في الأخرى، وتختلف نوعيًا وكيفيًا في الخاصة بسبب العناية والإهتمام الزائد، والرقابة، والمتابعة المستمرة، لسير الدّراسة، والرغبة في تحسين الحصول والنتائج.

بينما المدارس العامّة لاتهتم كثيرا بهذه الأمور، بل على الأولياء متابعة دراسات أولادهم والمحاولة بتحسين أوضاعهم، وحلّ المعضلات والمشكلات التي يعانونها حتّى الدّراسية منها. وعند ما يكون الأب في هذه الحالة جاهلاً، أميًّا أو غير متفرغ لهذه المعضلة، فإنّ حياة التّلميذ مهددة للضياع والتّوقف بالطرد أو الإنقطاع.

أمّا من حيث المضمون، فالمدارس الحرّة والعامّة لاتختلف في شيئ، لأن البرنامج موحّد والمدرسون في العامّة هم المدرسون في الخاصة لتضخيم مرتباتهم وزيادة مدخولهم الشهيري، فإنهم يبذلون مجهودًا أكبر ملموسًا لإرضاء الإدارة الخاصة التي ترفع مدخولهم دون إلتزامات إضافية. بالعكس منها في المدارس العامّة فالمدرس يُراقبه ضميره المهني، والوازع الدينيّ، وحبّه لمهنته ووطنيته، وإخلاصه، إن كانت لهذه العوامل وجود في كيانه، وإلا فالمدرّس في هذه المدارس آلة كاتبة تتحرك وفق هوية الكاتب حيث لايعطي شيئا من تلقاء نفسه.

أمّا تدريس العنصر الوطني، والعقيدة، والتاريخ الحقيقيّ للبلد، وحياة شخصياته، وآثارهم، ومناجاتهم، والجغرافية، والحدود الطبيعية، والإستعمارية الموروثة إضافة إلى ذلك العادات والتقاليد والحرف والمهن، مثل الزراعة، والرعي، والصيد، والصناعة، والتجارة، وعلاقات بلادنا بغيرها، والفوائد التي تدرّبها إلى وطننا، والأضرار التي قد ينجم منها، فإنّ البرنامج في مؤسساتنا لم تعطها بعدُ المكانة التي تستحقها ولذلك فالشعور الوطني، والإعتزاز بتاريخنا وأمجادنا ومنجزاتنا، وعقيدتنا، وشعبنا، ضعيف هزيل، بل لاوجود له في غالب الأحيان عند معظم الأوساط الشيئ الذي يشكل خطرًا كبيرًا على البلد والشعب ومستقبلهما.

وحتّى يُحْرَمَ السّادةُ والولاةُ والمشيخةُ بالأمس من الإمتيازات التي كانوا يتمتعون بها قبل الإستعمار، ويمحى الفوارق كليًّا بين الفئات والطبقات الإجتماعية وتزال الفوارق العرقية واللغوية والثقافية، تعمّدت السلطات بعد الإستقلال إلى استنكار هذه الوقائع التاريخية حرصًا منها على حماية الوحدة الوطنية حسب تصريحات المسؤولين السياسيين، لكن النتيجة المحصلة حتى الآن لم تعد أكثر من أننا فقدنا كياننا الحقيقي

وشاهدنا ذوبان عاداتنا وتقاليدنا وانعدام شخصيتنا التي كانت تميزنا عن غيرنـــا. وهــذا خطأ كبير أَلْحَقَ بالشعب ضرورًا جسيمًا.

يصعب تقدير مداه، إنّ لكلّ أمة كيانًا ووجودًا وطابعًا ومميزاتٍ وتاريخًا وللحفاظ على هذا الوجود من تحديد المجال الجغرافي التاريخي السياسي الذي يعيش داخله وإحاطة هذا المجال سبور من الحديد لحماية هذا الكيان. ومن هنا يجدر بنا أن ندرج فـــي برنامجنـــا الدراسية من الإبتدائية إلى الجامعة معنى الجيش والخدمة الوطنية، ومعنى قوات الأمن، والشرطة الوطنية، وحماية الغابات والمياه الإقليمية والمواشي، والحيوانات، والثغــور، وكلّما له علاقة بالأمن الوطني. أمّا دراسة الشعار، والعَلَم، والمؤسسات العامّة والـــسلطة القضائية والتّشريعية والتنفيذية والإكتفاء بهذه على أنها هي كلّ ما في الوطن من رُموزٍ تدل على وجوده فهو خطأٌ.

على أنّ زوال بعض الدول الصغرى الضعيفة إقتصاديًا والتي دوليًا لاوزن لها سياسيًا غير مستبعد في الأجيال القادمة. والدّول التي لاتملك أُسُسًا تاريخيةً عرقيةً تعتزّ بها فكلّها مهددة بالزوال.

وعلى كلّ، فإن مضمون برامج الدراسة عندنا في حاجة ماسّة إلى مراجعـــة جذريـــة لإدراج عناصر جديدة لها أهمية إستراتيجية، وطرد عناصر أضرّ منها، لكونهـــا تلعـــب دورًا سلبيًا كانت سلطات الإستعمار قد فرضتها علينا وبقينا نعبدها ونقدسها حتّى الآن.

الفصل الخامس

الإستعمار الفرنسي (1891 - 1960)

حوالي سنة 1450م وصل إلى منصب نهر السنغال بحّارون، تجّار أُوروبيون، في عهدِ الملك هانري الثاني بن فرنسوا الأول، مؤسسُ الدولة الفرنسيّة. جذبت نفوســـهم خلاَبَـــةُ مناظر الجزِيرة واعتدالُ مُناخها ومبَاسِمُ أهلها وصفاءُ وجوههم، فاستأنسوا واســـتامنوا، ورست سفنهم على ضفاف النهر، وهبطَوا مسرعين، وشرعوا فور الهبوط في عـــرض السلع والبضائع التي حملوها لمقايضتها بالمنتوجات المحلية ولم تكن النقـــود متداولـــة.

درّت الأرباحُ وراجت التجارةُ وتوجهت الهممُ إلى فتح مراكز ومؤسسات تعتني بها، وبتسييرها في المنطقة المكتشفة.

وهكذا، كانت سانتلويس أوّلَ مركز تجاريّ أوربيّ أُنشئَتْ على ضفافها مؤسساتٌ تجاريّة اجنبية، وفقَ إتفاقيات مع أهاليها في عهد (ريشالْيُوَ) 1601 - 1642م وقد أعطى هؤلاء التّجار للجزيرة إسم ملكهم (لُويسْ الرابع عِشر 1638 - 1715م) تكريمًا له، إذ هذه الأماكن المكتشفة في هذه الأراضي التي لاسيادة عليها، وأهلُها غيرُ متحضّرين يملكها من استعمرها ويحل له إستغلالها واستخدام من عليها وفقَ أوامر الكنيسة. واستقر الحالُ هكذا حتّى وصلت قوافلُ إنجليزية واستولت على الجزيرة بالقوة، وذلك أثناء حرب سبعة أعوام بين فرنسا وجيرانها الأوربيين وقام (لُوزَانْ) بغزوها واستردَّهَا لفرنسا وعيَّن فيها (أنْدَرَهْ بُورُو 1701م) حاكما عسكريًا، كما بنى بها حصْنًا منيعًا كثكنة عسكرية تحمي مصالَح فرنسا. واستمر الحال حتّى انفجرت الثورة الفرنسية سنة 1789م وسقطت الملكية وألغت الثّوارُ قوانين الملكية، وأحدثت تغييرات هامّة في كلّ شيئ. وأزالت بالحرمان المزايا والنفوذ التي كانت الطبقة البرجوازية الحاكمة تتمتع بها، ومنعت تجارة الرقيق سنة 1848م وعينت حكّامًا جددًا في المناطق المكتشفة، ومنها سانتلويس. وكان أوّلُ من عين فيها من طرف الثّوار الحاكم : (بَلاَنْشُو) الذي حاصره الإنجليز بأسطول حربيّ مدة سنين وتوفي سنة 1807م.

وبقيت أوضاع الجزيرة غير مستقرة وتحت الحصار العسكري الإنجليزي حتّى رفعته معاهدةُ فِينًّا وردتْها إلى فرنسا، ولكن ثورة الأهالي والقبائل المجاورة حالت دون ترويج التجارة لإنعدام الأمن والإستقرار. وبعثت ثوّار فرنسا وسلطة الجمهورية بالقائد (فِيدرِبْهَ) أميرًا على المستعمرة من سنة (1854 - 1865م) قصد توحيد أجزاء المستعمرة، وقمع الثورات وتنظيم شؤون البلاد، وتأمين حريّة تنقل الأفراد والمصالح والقوافل، ومدّ السكة الحديديّة من دكار عاصمة المستعمرات إلى عاصمة السنغال سانتلويس، وكان القائد (فيدربه) عارفًا بالسنغال حيث عاش قبل تعينه بها قائدًا وحاكما بإيعاز وطلب من سكان جزيرة سانتلويس حيث كان نقيبًا فقط. وبمجرد تعيينه شرع في إعداد جيشه للقيام بغزو الأقاليم والمناطق التي لم تستسلم بعدُ للسلطة الفرنسيّة.

وهكذا إحتل إقليم وَالُ، وسِينْ سالُمْ، وكَجُورْ، وفوط طُورُو، ووحّدَ أرض السنغال تحت راية فرنسا. وكانت هذه العمليات العسكرية بداية الإستعمار الحقيقي، وبداية حروب المقاومة والعنف بين فرنسا والملوك من جهة وزعماء الدين من جهة أخرى، ويلاحظ أن الحضور الفرنسي قبل هذا التاريخ كانت المعاهدات المبرمة مع الأهالي

أساسًا لها، ولذلك حُضُرُ التُّجَّار البيض الأوربيين عمومًا. ومات بباريس الجنرال فيدربه سنة 1889م بثلاث سنين بعد لَتْجُورْ جُوبْ.

إنقلاب الوضع إلى إحتلال حقيقي

كان الحضور الفرنسي يُلْفِتُ بالفعل إهتمام الملوك والزعماتِ الدينية كما لَفَتَ أنظـارَ المواطنين، وقد بقوْا يتمتعون بحصانة وأمانٍ كتجار مُصدّرين ومُستوردين زيادةً علـى العلوم والفنون والخبرة والتجارب والأسلحة، والأدوية والمنافع التي يجلبونها من أوربا.

وأثناء هذه الفترة شَيَّدُوا جيشًا مدرَّبًا تدريبًا عاليًا من عناصرَ منتخبين من أبناء الفقراء والمُهَمَّشِين، والأرقَّاء، والحُفاة العراة وحراطين مُوريطانيا، وسلالة عبيد الجزر الفرنسية في المحيط الأطلسي وغيرهم ويسمونهم ب (spahis) والمُدربّون المكوّنونَ هـم ضـباطٌ فرنسيون، وقد يكونون خلاسيون من نسل الضباط وبيض موريطانيا، وملوّني السنغال، ومن قبائل البُولاَرْ وتُكْلُورْ غالبًا. الجيش المكوّن من هذه العناصر المرتزقة لضمان لقمة العيش هو الذي خاض غمار الحرب، وواجه بشدة وعُنْفٍ وبـأسٍ، ثـورةَ الـوطنيين، وغضبَ زعماء الدين وهم طبقة الأحرار غالبًا. وقد سـاد الهـرجُ والمـرجُ والـشغبُ واشتاطتْ شراراتُ الغضب، وانتشر الخوف ودبَّ في القلوب الفزع، وعمّت الفتنُ أرجاء الوطن، لما ظهرت نيّةُ التُّجار الفرنسيين وعزمُهم، وجيـشُهم المـدرَّب، والإجـراءات العسكرية، والأزياءُ والخيولُ والدّباباتُ والأسلحةُ الناريّة غيرُ المعروفة بعدُ عندنا، وكان البَارُودُ نَادِرَ الوجود، بل هم الذين كانوا يُقَايِـضُونَه ويُبَادِلُونـه مقابـل العبيـد الـذين يُصدّرونها إلى أمريكا الشمالية والجُزُر الفرنسية فـي المحيطـات. أَيقـنَ المواطنـونَ واستيقظوا من عميق سباتهم الطويل، ورأوا نُصْبَ أعينهم الخطرَ المُحدق الذي يُوشَكُ أن يقع على هاماتهم. وبدلاً من توحيد كلمتهم وصفّهم لمواجهته تشتّتوا وانعزل كلّ زعـيمٍ وملكٍ في قطره، رغم صلاتِ القربى التي تجمع بينهم

وكان إنعدامُ الوحدةِ فُرصةَ هامَّة سانحة للقضاء عليهم واحدًا تِلْوَ الآخر بالإيقاع بينهم بتسليح هذا ضدّ ذلك، وبنشر الأكاذيب والتُّهم، والجواسيس، وبدأت الحروب بين الأهالي والزعمات الدينيّة، من جهة، ومع سلطات الإحتلال من جهة أخرى. كـلٌّ فـي جهتـه، والعَدُوُّ الفرنسي اللّدود الماكر ينتظر ويتحيَّنُ الفرصَ للقضاء علـى المنهـزم والغالـب

المنهوك القوى بعد الحروب الداخلية التي تشعل نيرانها بين المقاومين الوطنيين بحكمة ورَوِيَّةٍ حتّى لاتلحقها خسارة فادحة أو تبذل جهدًا في إخماد الثروات وإخضاع المتمردين.

وهكذا استطاع الجنرال (فيدربه) توحيد جميع أقاليم البلاد تحت راية فرنسا، وضمّها إلى مناطق الحماية : دكار، كوري، روفسك وسانتلويس، وأصبحت مرورُ المصالح والقوافل والجنود حرّاً وسهلاً. وأنشأ فِيدرِبْهَ معاقل عسكرية في جميع الأماكن الحسّاسة لمنع وصدّ الهجمات من الثّوار والمقاومين من مختلف الجبهات.

وقد اصطدم بالملك (دَمِيلْ مَيْسَ تِنْدَ 23) من ملوك كَجُورْ، بِجُمْرِي في منطقة جَامْبُورْ سنة 1855م فغلبه بالدبابات وشتّتَ شمله. وانقضَّ بالسطو والعُنف على (دَمِّيلْ مَاكُدُّو 26) من ملوك كجور، وانهزم الأخير أمام تفوّق قوات فِيدرِبْهْ وأسلحته الحديثة. وانحاز فِيدرِبْهْ إلى الملك (دَمِيلْ بِرِما) وكان هذا محاربًا ذكيًّا واسترلتيجيًا مُحَنَّكًا، فانتصر على فِيدرِبْهْ في الواقعة الأولى وفي الثانية التي جرت في منطقة (جِيتِّهْ). وفي اللقاء الثالث إنهزم الملك بِرِمَا وخُلِعَ بِيأَمْبُلْ كَجُورْ عاصمة الملوك حينئذ.

وكان لَتْجُورْ أثناء هذه الحروب يشاهد الدَّماء تجرى وتُسْفَكُ والأبطالُ تسقطُ والأحرارُ تستشهدُ والأقاليم تحتلُّ، وضعافُ الإرادة تستسلمُ للقوى الغازية. نشأ في هذا الجوّالحربي، فتراكمَ في نفسيته دوافعُ الإنتقام وكراهية البيض والعنصر الأجنبي الحقود المتلسّط الدّمويّ الحسود. وبمجرّد تَرَبُّعه على عرش البلاد، وجّه كلّ همّته على عقد معاهدات مع أقرانه الملوك والزّعامات الدينيّة، لتوحيد كلمتهم وصفوفهم، ولم ينجح في محاولاته، للأنّ معظمهم لم يكن يثق به حيث كان جواسيسُ فرنسا وأعوانُها، وسفرائها ومراسِلوهَا ومُتَرجموها وممثّلوهَا يُرسلون إلى الحاكم تنقلات، وحركات، ونيّات، خطط الملك لَتْجُورْ جُوبْ، حتّى يتبعه الجيشُ ويُراقبه لإغتياله بكلّ وسيلة، لأنه أخطر مقاوم في الساحة بعد انهزام آبائه وأعمامه.

ولد الملك لَتْجُورْ كُونْ لاَطِرْ جُوبْ سنة 1842م ومات شهيدًا مُغْتَالاً بِدِقْلِهْ سنة 1886م مع إثنين من أبنائه و (78) من مجاهديه. قتلهم القائد (دُوطّه) ومعه نُقَباء (فَالُوَا، وشُوفِهْ

ودِيَبَرِهْ) وضبّاط آخرون، وعددٌ كبيرٌ من المرتزقة مــن عناصــر الجيــدُّو الْوُلُــوفْ، وتُكرُورْ، وحراطِين، وخلاسيّين من أبناء سانتلويس.

ومات قبله الأمير مَبَهْ جَخُ، الذي حاول دون جدوى أن يعيده إلى عرش أجداده عنوةً وقسرًا، وحاول إقناع ملك جلوف، وبَوَالْ، وغيرهما، لتوحيد صــفوفهم وكلمــتهم ضــدّ الحضور الأجنبيِ وباغتته المنيَّةُ، واستشهد في معركة (سُومْ) ضدّ الملك (كُومْبَ انُدوفِينْ جُوفْ) سنة 1867م. وقد كان في ساحة الوغى الملــك لتجــور جــوب والقائــد (دِمــبَ وَارَصَالَّ) وأبطال آخر من كَجُورْ وكانوا متحافلين مع الإمام، وكانوا أيضا في اســتعداد لمحاربة فرنسا تحت راية موحَّدةِ بقيادة مَبَهْ جَخُ وحالت المنية دون ذلك. وكان الحــاكم (فِيدرِبَهْ) قد غادر البلاد سنة 1865م أي بعد وفاة شيخ عمر الفوتي بسنة، وقبل وفاة الإمام مَبَهْ جَخُ بسنتين. وليس هناك شكّ في أن الإجراءات والأسلحة، والخطط، التي وضــعتْ لإغتيال الزّعماتِ وقتل الملوك، والوجهاءُ وأبطال المقاومة وأعوانهم، كل هذه التــدابير وضعها القائد فِيدرِبَهْ قبل مغَادَرَةِ البلاد التي وحدَّهَا تحت راية فرنسا، ووضع ســلطتها في كلّ شبر منها.

وبسقوط لتجور جوب إنتهت مُقاومةُ الملوك التقليديين وبقيت في المجال الزُّعامــات الدينية وحدَهم تحت مظلّة الزّوايا الصوفيّة والمدارس القرآنية، والجوامع العلمية والتــي استطاعت أن تبقى للدّين الإسلامي شيئا من عقيدتها، رغم عنف تيّــار الهجمــات مــن الوثنيين وبقايا زعمائها وسلطات الإستعمار. وستعرض للزعمات الدينيّة فــي الفــصول التاليّة وما بعدها.

المقاومة ضدّ الإحتلال الفرنسي

حارب اللمك دَمِيلْ مَيْسَ تِنْدَ المتوفى سنة 1855 بجُمْرِى ضد قوات فِيدِرْبَــهْ، جــرى القتال بِجَمْري، حيث قتل وانهزمت قواته لضعف عُدّته وأسحته. وحارب الملــك دَمِيــلْ مَاكُدُو بنفس السنة وتغلب عليه العدو اللّدود الفرنسي فِيدِرْبَهْ. هكذا مع دَمَيلْ بِرِمَا الــذي خلع بِمَبُولْ عاصمة كجور إثر هزيمته ضد فِيدِرْبَهْ. وقداستطاع أن يهزمهم مرتين قبــل خلعه من العرش.

وكان الملك لتجور جوب حينئذ شابًا يافعا، ، وعنما بلغ (24) من عمره إعتلى عرش البلاد فهماجم على الفرنسيين وانتصر عليهم في انْكُلْ كُلْ وفي مِيغِ سنة 1869 م.

وانهزم أخيرا أمام النقيب، سُونِي، ودُوطْ وفَالُوَا مع إبنه (78) مــن جنــوده وحــدثت استشهاده بِدِقْلِهْ سنة 1886م، ويعتبر آخر مقاوم من الملوك وقد فــضل اَلْبُــورِي انْجَــايْ الهجرة والمنفى من الوقوع وأسيرًا بيد العدو الفرنسي، ومات بصحراء بنجير في مكان مجهول سنة 1902م. واكتفت فرنسا بمراقبته دون مطاردته. أمّا الملوك وأبــاؤهم الــذين عاشوا بعد وفاة لتجور فإنهم صالحوا فرنسا وهَادَفُوهَا وتحالف معها بعضهم، وأرســلوا أولادهم في الجيش ومدارس سنلويس حيث أصبحوا إداريين حُكَّمًا وضباطًا في جــيش فرنسا ولم يبق في الميدان يجاهد إلا زعماء الدين تحت مظلة الطرق الصوفية، وكانــت هؤلاء ضد قوتين أبناء الملوك من جهة وفرنسا من جهة أخرى، وظلّ هذا الوضع قائمًا، حتّى حصلت البلاد على إستقلالها الذاتي سنة1958 م حيث ألغى سنغور الفرنسي المسيحي الذي أتى به الأمين غِيْ من فرنسا حيث كان مدرسًا موظفًا، وكان محمد ضــياء يقــوم بتنفيذ قرارات سنغور ضد إمتيازات الوجهاء وزعماء الدين، وقــد اســتبدلوهم بحملــة الشهادات من الأطر الذين كونتهم وربتهم فرنسا وأجازتهم وكانت تثق بهم. ومن ساعتها بدأ الفوضى والضعف يدبّ ويتسرب في جسم الشعب، وسقطت كل المعايير والعــائلات والإعتبارات والرموز والبطولات، ولم يعد ثمة مبتدأ او خبــرٌ، ولافعــلٌ أو فاعــلٌ أو مفعولٌ. لقد انهدمت أركان الوطن مثل الأصالة وماتت شخصية الأمّة واندثرت تراثهــا وتاريخها القومي واستبدل بتاريخ وثقافة وقيم وحضارة فرنسا إلى يومنا هذا.

المقاومة الوطنية والدينية

نذكر في السطور التالية بعض زعماء المقاومة الوطنية والدينية ضدّ الإستيلاء الفرنسي المسيحي الإستعماري، من نهاية القرن 19م إلى منتصف القرن 20م، ونبدأ بزعماء وأعلام الإسلام الذين أبلوا بلاءً حسنات وبذلوا مجهودات جبارة، وبطولات رائعة وتضحيّات جسيمة لم يعرف تاريخ غرب القارة ملئها روعة وجلالا وجمالا، ويحاول اليوم حملة سموم الثقافة الفرنسية لِلإِسْتِخْفَافِ والإستهانة من دور هؤلاء وجهادهم ومنجزاتهم، وتهميش تضحياتهم الوطنية ومحاولة الإثبات بأنها كانت لأهداف دينية، وأنها تمرّد ضد النظام ومثل هذه المهاترات.

ومن هؤلاء الأعلام :

1 ــ الإمام سليمان بال، مؤسس دولة الإمامية بفوت سنة 1776م وقد اغتالة غزاة ترارسة الموريطانيين.

2 : جيرن عبدالقادر الجمبري المتوفى بوالُ سنة 1805م.

3 : الشيخ دِيلهْ تسام المتوفى بِوَالُ سنة 1830م.

4 : الأمير عبد القادر كان قتيل ترارسة أيضا بِوَالُ سنة 1881م وهو آخر أمراء الدولة الإمامية، وهي الدولة الإسلامية الوحيدة المعروفة تاريخيّا، على أنها إسلامية صرفة، ولم تكن وراثية وكانت تحكم، بمبائ الشريعة الإسلامية وهي التي منعت بالقوة بيع وشراء الإنسان ومنع مرور وقوافل الغزاة البيض العنصر بين من أراضيها والمستعمرين ولهذا كان البرابر يغتالونهم ويغزونهم سلبًا ونهبًا وغصبًا بالدوام.

5 : شيخ أحمد التيجاني المهدي المتوفى بصَانْمْبَ سَاجُ في حربه ضد الطغاة الفرنسيين، ومعه قائده المفدى الشيخ أَمِرِكُونِ انْدَاكْ سكَّ زعيم أهل الله بِجِجَبَهْ. وقد اشتهد سنة 1875م أما الشيخ أَمَرِكُونِ فقد واصل الجولات والصولات حتى اضطرت قواتُ الإحتلال إلى عقد مصالحه معه وهادنوه، واعترفوا بسيادته في مقتطعة جِينَبَهْ.

الديانة المسيحية

ليست المسيحية ديانة طبيعية في غرب القارة وليست ديانة سماوية بالنظر إلى طبيعتها وطرق وصولها إلى المستعمرات. وبالنظر إلى الطبقات التي تتدين بها وبالتالي

القبائل التي إعتنقها بعد الإحتلال الفرنسي، ولم تكن معروفة إطلاقا قبله، وفي نقطة ما من أراضي غرب القارة.

ــ المسحية : نتيجة بديهية من نتائج الغزو الفكري والثقافي الإستعماري، وأثر معقول من آثار الإستعمار الفرنسي لبلادنا. والشعب بمختلف طبقاتها يحمل هذه الفكرة والرؤية عليها. المبشرون المسيحيون الذين درسوا عادات وتقاليد ونظم البلاد ورسموا، وخططوا، ومهدوا السبل لغزو وإحتلال القطر، هم الذين أدخلوا من جملة السلبيات التي أتوا بها الديانة المسيحية في بداية القرن 19م أي بعد الإسلام بأحد عشر قرنا علىالأقل. وتدين بها بعض قبائل كانت تعيش في مناطق نائية بعيدة عن التمدّن والعمران، وفي متوغل الغابات، ولم تصل إليها دعاة الإيمان والسلام المسلمون. وهم غالبًا من قبائل (سَرِيرْ وجُولاَ) ولا يتجاوز عدد المعتنقين للمسيحية 2% من مجموع سكان البلاد رغم تشجيعات النظام القائم لها، ورغم مساعدات الفاتكان والمنظمات المسيحية في العالم، ورغم التضامن والتآمر والتواطؤ والمزايا التي تدرّبها سلطات الإستعمار ونظام سنغور لهم في جميع المرافق والمجالات منذ نصف قرن مضافا إليه قرنًا كاملاً تحت نيران الإحتلال. وتمثل المسيحية دين الرّدّة لمن سوّلت لهم نفسهم أن يتمتعوا بمزايا الإدارة السياسيّة، ومراكز التبشير، والمناصب الأهم، والحياة الرغدة المسيحية هي التمثال المنصوب بالقرب من الجوامع والمساجد للتسويس والتخنيس والإستفزاز، وتحدي الإسلام والصدّ عن سبيل الله وعن دعوة نبيه ص. وقداستطاع سنغور بحملات صليبية مقنعة أن يحقق لها في ربع قرن فقطا ما عجزت عنها قوى الإستعمار في قرون، وأصبح شباب ما بعد الإستقلال الذين تربّوا في مرافق التّعليم بمختلف مراحله لايميزون بين الإسلام الذي ولدوا في ظلاله والمسيحية التي رصدت لصيد الشعوب، وربطها بعجلة الإستعمار المسيحي الغربي، وتحمى المنظمات السريّة تحت جناح المسيحية، مثل منظمات الفرمسة، والبهائية وأشباهها، مثل الملحدين والشيوعيين الفاشلين والقاديانية. المسيحية من أخطر الأوبئة والأمراض الفكرية العقلية التي مُنِيتْ بها شعوب غرب القارة، بسبب السموم العقيدية الغامضة المحرفة المضلّة. وقد استطاع المبشرون خدع بعض البدائيين من المستعمرين بالأدوية، والمواد الغذائية، والألبسة، وخدعوا ضعاف

العقول وزجّوهم في غياهبها، وأصبحوا تائهين ضالّين، أجانب في عقر ديـــارهم وبـــين أهاليهم، والراهبة الإفريقية وآباء الكنيسة في القارة وخصوصا السود منهم، أشبه بأشباح الإستعمار بل هم علامته، ورمزه، واثره، ونتاجه، وخليفته البغيضة، كوشمة عار علـــى جبين الشعب. ولن ترى أحدَهم حتى تتذكر دبابات فيدربه وغزاة بُولْ هُــولْ ومُرْتَــزِقُ أولائك الوحوش الذين دمروا وخربوا بلادنا عمدًا. وأرسوا رواســـي لمنـــع كـــلّ تقـــدم وازدهار أو تطور في أي مجال من الحياة إن قوى الإستعمار المتربـــصة، وعملائهـــا والكنيسة على رأسها والإدارة السياسية على قمتها، ومرافق تعلـــيم الكنيـــسة المنتـــشرة المؤيدة بؤوس أموال الدولة أوالمنظمات العالمية المتواطئة، والأطر المفرنسة من أبنـــاء المسلمين الذين يجهلون عن دينهم ويعرفون كلّ شيئ عن المسيحية، كلّ هؤلاء يـــشكلون جبهة نضال وكفاح ومقاومة ضد الوجود الإسلامي ويسعون لشلّ أركانه وقلـــع جـــذوره وطمس معالمه ومبائه من القلوب والعقول، هذه الوسائل مسخرة لإطفاء نـــور الإســـلام وتبديله بالصليب ولي يقين بأنّه تعالى متِمٌ نورَه ولو كره المشركون.

– وسائل التمسيح والتنصير في متناول المبشرين والكنيسة هي الآتية :

ا : مرافق التعليم : تملك الكنيسة ومنظاتها في مختلف أنحاء البلاد مدارس ومعاهـــد التربية والتعليم والتكوين وجمعيات نشطة تتدخل فـــي شـــتّى المجـــالات الإجتماعيـــة والإقتصادية الحيوية، وتتمتع الكنيسة بثقة الدولة وآباء التلاميذ ضعاف العقول والحمـــق والأغنياء المتساكشون الذين غرتهم المزايا المادية والمناصب الدنوية السياسية والظائف وما يحصل عليها خريجو مدارس ومعاهد المبشرين. والواقع هو أنهم ينجحون في مجال التربيّة والتعليم والتكوين للأسباب التي أهمّها تعود إلى توفر الأمـــوال المكدســـة فـــي حساباتها بالبنوك وخزائنها والتي تصل من جهات عدة، بغـــض النظـــر عـــن مئـــات المليارات التي تقدمها الدولة لهم سنويا كمنظمة تعليمية حرة معترفـــة رســـميًا. هـــذا، والمدارس الحرة باللغة العربية لايحصل على 2% مما يحصل عليها المبشرون كتشجيع من قبل السلطات المتماطلة المتآمرة معها.

ب : **وسائل التمسيح والتنصير** : وسائل ضغط عديدة لنشر رســـالتها، وبـــثّ روح التفرقة، والتَشكيك في صفوف الشباب المسلمين بالولادة فقـــط. والـــشباب هـــم هـــدفهم

الأقصى والمفضل لأن بقاء الكنيسة رهين بثقة الشباب عليها، وعلى فعاليتها، وفائد دورها الثقافي والمهني، ماتدرّ هذه وتلك في مستقبل حياتهم مثل المزايا التي لايمكن للشباب الذين تربوا وتعلموا من مدارس الإسلام والمدارس الفرنسية غير المسيحية، الوصول إليها، لأن كثيرا من المناصب والوظائف والمزايا محتكرة لهم ولمن في حمايتهم. هذه الوسائل قليلة بالنسبة لتلك التي لاتتطلع عليها المواطن العادي وهم مجدون في سعيهم لتحقيق آمالهم والوصل إلى أهدافهم وهي ردّ الشباب كُفَّارًا حسدا أعداد ألداء على الإسلام والمسلمين.

ح : **<u>الإحتكار المسيحي</u>** : وأطرها أهمّ المناصب والوظائف في الإدارة العامّة والخاصة، وقد عينهم فيها سنغور ونظامه ليستطيعوا أن يقوموا بدور فعّال ويحققوا أهدافهم بسهولة وهكذا في الجيش والبوليس والدرك وجميع أجهزة الدولة.

إنّ الخطّة الموضوعة من سنغور لإتاحة الفرص لهم فعالة ومؤثرة ونافذة، ونتائجها السلبية تشهد على ذلك، واستقبال المجاهير لمؤسساتهم وثقتهم بهم دليل ناهض تؤيد نجاح الكنيسة في مهام التنصير والتمسيح. ودورهم في مجال الصّحة العامّة والخاصة أهمّ وأعمق وشرعوا في المجال الزراعي بقوة وحماس مع منظمات الكشافة والمنظمات غير الحكومية وتدخلات القوى العالمية عن طريق علاقات التعاون بين العالم الثالث والدول الفقيرة وبطرق أخرى مع قلتهم العددية فهم قوة لاتستهان، ولهم تأثير وكلمة مسموعة ومحترمة، ونعترف كذلك مع كامل الأسف.

ونحن المسلمين مع كثرتنا وقوانا العددية عَدِيمُو الجَدوَي والأهميَّة قليلُو التأثير، حضورنا سياسيًّا وإداريًّا واقتصاديًا ضعيفٌ مُسْتَهَانٌ.

إذ، لاقيمة لِكَمٍّ بلا كيفٍ، ولالشعب بلادين، ولالقوم بلاعقيدة صحيحة مصونة. أصبح الإسلام مقصدًا لسهام الناقدين وهدفا للإعتداءات والإساءات. تُهتك حرمتُه ويُهان أهلُه وتُفسك دماؤهم في فلسطين المغصوبة والقدس الصليب، وفي شرق أوربا وألبانيا، وفي بعض جزر اندونيسيا. ويُتهمون بالإرهاب، بينما الإرهاب المقنع الملثم كامن في لباس الرهبنة، وجيوب دعاة التبشير والتنصير والتمسيح على نمط وسنن التماسيح.

الشعب والوطن العزيز سئما تماما من اعتداءات ومساوى وأضرار وتُهُم وإذايات المسيحية، وعليهم أن يعقلوا أن فرص الإرتداد عن الإسلام ولّتْ وأدبرت من غير رجعة، لهم أن يواصلوا عمليات الهدف والتخريب والإنتقام، وضدّ نُبوّة محمد ص، وضدّ رسالته الكونيّة المؤيدة في السماء والأرض، من البيض والسود، لمنطقيّتها ووضوحها وقربها وويُسرها وانسجامها مع الطبيعة بعيدة عن الغموض والألغاز والطقوس، والصمت الرهيب، والألبسة القُعُود، والرقص، والألحان والخمور والخبز المقدس والموسيقى. هذه الأغاز البالية الغامضة البدائية بادت وولت ولم تَعُدْ تشدّ أنظار أحد من البشر العاقل، أو تحرّك إحساسه أو توقظ ضميره. أرادت الكنيسة في بلادنا أن تُقلبَ الآية التي تقول : { كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين} (الأنفال، الاية :).

فهم مع قلّتهم الكميّة العدديّة يُمسكون بنواصي مسيرة الأمة، سياسيًّا، وإداريًّا، وإقصاداياًّا، وثقافيا، وتعليميًّا، وتخطيطًا، أجل، وتوجيها لمصير الأمة فمصيرنا ليس بِأَيْدِينَا ويُقرّرهُ غَيرُنا. أبرقتْ في كيان الأمة إرهاصاتٌ وبُذُور جيّدة ممتازة، بزرعها وسقيها، والإعتناء بها، قد تُعطى نتاجًا جِسَامًا تسُدّ حاجياتنا وتضمن لنا الأمنَ الغذائي، وتمنحنا أَمْنًا ضدّ الجُوعِ والخوفِ والجهلِ والمرضِ، العناصر السلبية التي بتوفّرها ونشرها وإدامتها في ربعنا وصفوفنا تُحاربُنا الكنيسة وربَّتُها فرنسا لتجرنا وتفرض علينا الارتداد واللجوء إلى ملّتها بالرّدّة والتّبعيّة العمياء.

إنالبُذُورَ الشَّابّةَ التي ستنبتُ وتترعرعُ وتنمو وتُثمر على عجل لن يفلَ من يدها مصير البلاد وزمامَ مستقبل الأمّة، والتفرقة الثقافية واحتكار مزايا الإدارة ووسائل الإنتاج والعمل، والتّكوين والوظائف والسلطة لن تُجْدَي ولن تُوقف أو تَشُلّ حركتها وسَيْلَ تيّارَها الجَارِفْ. إن الأوضاع ستنقلب وستتبدّلُ وستتغيّر أحبَّتْ فرنسا ومعها الكنيسة والمفرمسة والملحدون والمطنتعون والضالون، أم كرهت لأن التطور من سنن الطبيعة، ولن تجد لسنة الله تبديلا أو تحويلا.

ء : معاقل المسيحية في السغال

عُشَشُ المسيحية مُركَّزةٌ في إقليم تِيسْ بمنطقة كَسُبِيلْ، مُونْ رُولاَ، كَرْمُوسَى وَكَـــلاَيْ وبإقليم سَمَازَة، وتوحى بحضورها، ووجودها في المنطقة، حتى وإن لم يكـــن لهـــا دَوْرٌ فيها، اللّهم إلاّ التأثير النفسي الرّمزيّ، كأيّ جسمٍ غريبٍ مغروس في جسمٍ آخر مُبَايِن في كلّ شيئ. ومعاقلُ المسيحية تتمتع بحصانة ديبلوماسية وتحترمها السلطة وتقدسّها وهـــي تابعة للفَاتِكانْ دينيًّا وسياسيّا بتواطؤ مع فرنسا التي بنتها وحمتْها حتّى وصلت إلى قمّتها. ولكن نظام سنغور السائد في البلاد حتّى الآن قلّدتها وِسام المجد مَنَحَتْهَا قـــوّةً ومناعـــةً للمقاومة والدّفاع، ولكنّها جاوزت حدود المقاومة وأصبحت تعتدى وتُهـــاجمُ، وتـــستفزّ، وتُعيّن، وتُرسّم وترشح أشخاصا تثقُ بهم لقيادة الدولة، وتسيير شؤنها كما رأينا تعيـــينَ الكَارْدِينالْ جَانْدُومْ للوزير مصطفى انياس كمرشحٍ لها بعد مغادرة عبد جُـــوفْ كرســـيّ الحكم، وتخلّى زمام السلطة. وفي هذه اللعبة أو الموقف السياسي ما فيه من دسَائِسَ، لأن الكنيسة لاتثق بالشخص عفَويًّا وسُدًى ورغبَةً أو إعجابًا بحسْنِ ملامحه ونمق كلامه، بل تثق بالشخص لسوابق معلومة مؤيدة بحجج وبراهين، وآمال أكيدة في التاكيد والنـــصر مستقبلاً. بلى هو قوله تعالى :{ لاتجد قومًا يومنون بالله واليوم الأخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباهم أو أبنائهم أو إخوانهم او عشيرتهم } (المجادلة، آية : 21).

وللمسيحية في السنغال كعبة تحجّ إليها بحضور السيد الرئيس وأعـــضاء حكومتـــه الموقّرة، ويومها، يوم عيد وطني رسميّ تسخر وسائل الإعلام والتلفزة لإبلاغه للعـــالم، وتعبّأ الجماهير وتشجّع لحضورها، بئس مثوى الْمُتَكَبرِّينَ.

هـــ : كَاسَمَنْزَ ودور المسيحية فيها

إن منطقة كاسمنز من أهمّ معاقل الكنيسة، وهي السبب الحقيقيّ للحـــرب الـــضروس التي تدور رُحَاهَا ثمّة، وهي التي أشعلت نِيرَانَها وستُشعلها عاجلاً جـــدًّا او آجـــلاً فـــي مناطق أخرى من هذا البلد اليتيم، كالنّاقة الشّاردة بلا حادِ ولازمامٍ في سطح بحر رمال الصحراء التائهة. إن انطلاق الشرارة الأولى لحـــرب شـــاملة وعامـــة بـــين الإســـلام والمسيحية إنفجرت بكاسمنز وأُعْلِنَتْ رسميّاً، وقد فهم ناقورة الوقيعة معظمُ أفراد الشعب على أنّها تعبيرٌ عن رغبة قبيلة جُولاَ في الاستقلال، بينما العكس هو الصحيح، هوتعبير عن رغبته في طردِ الإسلام والمسلمين من المنطقة لتنصير كاســـمنز وجعلهـــا وَكْـــرًا

حصينًا للدسائس، ومخبأ أمينًا للمكر والتّجسّس، ومُنطلقًا للهجوم ضدّ معاقــل الإســلام، وجزْر عقيدة المسلمين، لامن اوربا في هذه المرّة ولكن من عقر ديارنا، و حتّى تكــون العمليّة أَدْهَى وأَمَرُّ مضادةً، واَوْقَعُ في النفس الْمُطْمَئِنّة. إن حربَ كاسمنز لها أبعادً دينية سياسيّةٌ استراتيجية عميقة، قد لايَعْقلُها إلا العالمون الراسخون في هذا المجال. والصحافة لاتتناولها من هذا الجانب لأنها جاهلة عن الــسياسة الدّينيّــة العالميــة، وليــست مــن إهتماماتها، كصحافة فرنسية لائكية بقبضة الكنيسة وسلطتها الحاكمة، من الإستقلال إلى الآن، إن الصحافة والسلطة، تُعيرُ إهتمامًا لكلّ شيئ في البلاد ماعــدا الــدّين والعقيــدة وتأثيراته الثقافية. إن الذين يثقون بفرنسا والكنيسة وعُملائهما بالدعاية والأموال وبالثقافة والتيسير ويُوادُّونهم ويتخذونهم أولياءَ ويتقرّبون إليهم أولائك كُبتُو كما كُبِتَ الــذين مــن قبلهم، وهم معظم النخبة، حملة الثقافة الفرنسية مع كامل الأسف. هؤلاء المفرنسون حتّى المتعلقين منهم المطبقين لدينهم، يخدمون ويــسعون لمــصالح الكنيــسة دون شــعور، ولمصالح فرنسا، وخلود مجدها ونصرتها على حساب أمتنا اليتيمة. إن الإستراتيجية التي يجب إلتزامها مع فرنسا والكنيسة ورجالها هي الاتية :

تولية المناصب والوظائف للمسيحيين :

ع : { يايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بــالمودة، وقــد كفروا بما جاءكم من الحقّ يخرجون الرسول وإياكم، أن تومنوا بالله ربّكم، إنّ كنتم خرجتم جهدا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرّون إليهم بالمودة، وأنّا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم، ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل، إنّ يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيــديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو يكفرون} (الإمتحان، الآية : 1 - 4).

العبث والتخاذل والتهوان في اختيار وُلاَةِ الأمور، والقيادة ورؤساء الدّولة، والحكّــام، والنّواب، والموظفين، والضباط، والأمناء في مختلف الجهات والمستويات، عَــدُمُ الجــدِّ والصرامة والحسم والعزم فيه جعلت قيادةَ ومصيرَ الشعب بيد شرذمة ضــعيفة هزيلــة ووضعهتْ زمام أُنُوفنا تحت تصرف فرنسا والكنيسة وعملائها في البلاد يعملــون لهــا دون مقابل لأنهم مربّون ومدرّبون ومسخّرون لخدمة ســيدتهم فرنــسا والكنيــسة، ولا يلتفتون إلى ما يتربص بهم من دوائر دسائس، ولا يتذكرون أنهم مغتالو أجدادهم وآبائهم

في حروب طاحنة، أثناء الإحتلال، وفي خضمِّ حربيْ العالم الأولى والثانية، ويــضربون صَحْفًا عن إشعالِ النارِ وحرقِ الجامعة الإسلاميّة بمدينة بِرْ العريقة، والتّدمير بالنّــسْف أربعين (40) الف مدرسة قرآنيّة في السنغال وحدها دون بقية مستعمرات، مثــل مــالي، وغينيا، وموريطانيا، ونجير، والكامرون وغيرها. كل هذا، سبب عقيدتهم التوحيدية وهذا الإيمان سبب العداوة والبغضاء بين الإسلام والمسيحية. هؤلاء يعرفون ويقدرون النتائج وألائك غافلون متهاونون وبالأحرى يسرّون بالمودّة ويتوّادون إليهم.

تلك العملية أقصى مراتب الجهل عن المسيحيين ونصاراهم والعاملين في هَيْجَــائِهِمْ لفتك الإسلام وقلع جذوره من الأساس. والمسلمون المغفلون لايعقلون أنهــم معــاملتهم وتوادُّدهم وإسرار أمورهم ومعدّاتهم ومعاقلهم يُخْرِبُونَ بيوتهم بأيديهم وأيد المؤمنين، وأن قوّتهم وتسلّطتهم على زمام الدّولة تجعلهم في موقف قوّة، وأن أوّل ضحاياهم هو الإسلام وآخرها هم المسلمون، وهدفهم الأقصى هو كُفْرُ امّة الإسلام وارتِــدَادِهَا ونبــذِ العقيــدة ونسفِ التوحيد ومعانقة الشرك وتأليهِ البشر مثل عيسى وعُزيرُ واشباههم. وصـــدق الله وبقوله : { وودُّوا لو تكفرون}، (الإمتحان، الاية : 5).

هذه هي الخطّة، وتلك إستراتيجيتهم لإقتناص المسلمين. وعلى الأمة وبالأخص عندنا في إفريقيا السّوداء والسنغال بالخصوص، أن نعيد النظر، ونــتمحّص عقيــدتنا وديننــا وكتابنا. هل نحن المسلمون أم مشركون؟ فرنسيّون أم أفارقة؟

كيف صيّرتنا فرنسا ونظامُ سنغور إلى الهاوية وإلى هذه الحالة والــصورة المخزيــة المخجلة على مرآى العالم!؟

علينا اليقظة والإنتباه لتدارك الفَوَاتِ والإستعداد للذود والدّفاع عن النفس والنفيس حتّى لايثقفونا ويبسطوا إلينا أيديهم وألسنتهم بالسوء زيادة على ما نفّذوا من مساوى ومأســاةٍ، ومضارٍّ، ونكالٍ، قبلَ وأثناءَ وبعدَ الإحتلال والإستغلال. إننا قبل إساءة فرنسا بحطِّ قيمنا الفكرية ومَحْوِ آثارنا التاريخية وتشويه شخصيتنا وقلعِ عقيدتنا التوحيدية وإيماننا النزيه، أسأنا ولانزال نُسيئُ إلى أنفسنا بسبب الضعف النفسي البيولوجي في الإنسان الإفريقــي الذي كثيرًا ما يقبل الضّيم والإساءة والإسترقاق . وقد رأينا في التاريخ قــضية الهنــود

حين حاولت الأوربيّون إستعبادهم، في الإنتحار الجماعي الذي نفذوه بجرأة وعزم وجأش على أنفسهم في أمريكا.

وماسمعنا قطّ ملحمة كهذه في تاريخ تجارة الرقّ المنفذّة على السّود الأفارقـــة، ومـــا حاولت تُجَّارُ الرقيق تطبيق هذه المعاملة على غيرهم من الأجناس. ذلك ضـــعفٌ كبيـــرٌ وعميقٌ في بيولووجية الأسود وقَرَارَةِ نفسه. ويبدو الضعفُ والهوانُ في كِيَانِه وتصرّفاته وأفكاره وآثار أعماله، ومُنجزاته والدّين بالعقيدة التوحيديـــة الـــصحيحة مـــن مكمـــلات الشخصية الإفريقية ونحن في حاجة ماسّة إليـــه لـــضعفنا وقُـــصورنا لكـــن المـــسيحية بتعقيداتها، وغموضها، وألغازها، وتطبيقاتها، تزيد الطّين بلّةً، والتّخلف شدّةً، لأنها تُبيحُ الخمورَ والمخدرات وتتسامحُ مع الزِّنى، والعهارة، والـــدّعارة، والتّـــبجّح، والإنحـــلال، والتفسق. هذه المخالفات الأخلاقية جعلت من المسيحية دَيانةً غيرَ ملائمة لأمثالنـــا، لأن الأرواحية الطبيعية التي كنا سابقًا نَتَدَيَّنُ بها خير من المـــسيحية المـــستوردة كبـــضاعة إستعمارية، حاربتنا بها، وغَزَتنا بواسطها فكريّا ودينيًّا ولايزال تيّـــارُ الحـــرب جارفًـــا بالمسيحية ضدّنا في كلّ الجبهات، وأصبح المرتزقةُ من الأفارقة أشدُّ نِكَالاً مـــن بـــيض غُزاةِ فرنسا، ومن مبشري فَاتِكَانْ ورهباتها.

فالحروب الصليبية ما أراها تنطفيء جَذْوَتُهَا عن قربٍ في قارتنا.

وأخطأنا السياسة في اختيار قادتنا وَوُلاَةِ أمورنا علاوة على ذلك ضعفنا البيولـــوجي الجنسي، تجعل منّا ومن ديارنا ساحةً وميدانًا خصبًا مناسبًا للمواجهات بين المتحـــاربين أنصار الصليب ودعاة التّوحيد، ومن الأخطاء المشارة إليها كون سكان غـــرب القـــارة مسلمون 95%، ورؤسائهم مسيحيّون، فرمـــسة، أو ملحـــدون 95%، يـــصلون بالنهـــار والرؤساء يشركون بالليل والنّهار، وسائل الإعلام المسموعة والمرئية مسخرة ضدّ الدّين وقيمه، وحضارته وأهله في الإدارة وموظفوها، الصناعة وأصحابها ورجـــال الأعمـــال وحتّى بعض زعماء الدّين مسخرون لخدمة المسيحية في معركتها الحاسمة ضدّ الإسلام والمسلمين عن عمدٍ وقصدٍ أو جهلٍ مدقعٍ.

المسيحية ومبدأ فصل الدين بالدولة

حدثت في فرنسا قبل الثورة الفرنسية سنة 1789م، بعد تقلبات وصراع مرير بين القصر المَلَكِي والثوار من جهة وبين الثّوار والكنيسة من جهة أخرى، ومن آثار الثورة فصل الدين بالدولة وأخيرًا سنة 1905م تمّ فصل التّعليم الديني بالتعليم العامّ والبلدي. وباعْتِبَارِ دولة السنغال دولة مقيدة بفرنسا وعملية لها، مومنة بقيمها وثقافتها وتاريخها وحضارتها وتشريعاتها وعظم سياساتها وقوانينها، ولاتبدع، ولاتشرّع، ولاتقنّن إلا من ضوء وحْيِ فرنسا، فإنها بالضرورة إستوردت مبدأ فصل الدّين بالدولة. وتطبّقت قاعدة فصل التّعليم الدينيّ بالتعليم العامّ. وهذا كلّه تحت ظلال العلمانيّة الائكية اللادينية المقنعة.

إن الإنسان الإفريقي والسنغالي بالخصوص يختلف مع الإنسان الأوربي والفرنسي، بيولوجيًا، فكريًّا، حضاريًا وعقليًّا وعقيديّاً، ولايلتقون إلا في بعض أمور تافهة. الأروبيون دينيًّا وعقيديًّا مسيحيّون، رغم شدة الثورات وعنف الصراع بين الطبقات المتصارعة من هؤلاء وأولائك ونحن الأفارقة المسلمون والوثنيون. لايمكن تطبيق النظام العام الأوربي علينا، للهمية الخلاف العميق بين واقع مجتمعنا وقيمنا وعاداتنا وتقاليدنا وديانانتا مع الواقع الأوربي عمومًا. إنّ آثار الحروب الصليبية وجذوتها تتّقد تحت الرماد، وهي مستعدة وقابلة للإسْتِعَالِ في دقيقة أو حادثة مهما كانت تافهة. أمّا تجاوزات الحكام، والنظام الموروث الذي يعتبر هو الحقّ المنزل من عند الله، من قال بعكسه أو فكر تفكيرًا يعارضه أو قارنه بتراث آخر، فهو جاهل أميّ، متخلف، لأن الحقّ لايعتبر إلا بالفرنسية ولاتكون الفكرة صحيحة إلا إذا عبرت بها هذا النمط من الحياة هو السائد فينا منذ قرن ونصف. وقد نجح سنغور ونظامه بتعميق جذور الفجوة بيننا وبين تراثنا وواقعنا، وتاريخنا، وأصالتنا، ولسنا أوربيين ولسنا أفارقة، ولم نَعُدْ مسلمين ولاأرواحيين، أما المسيحيون الأفارقة فهم عملاء مُرتزِقون وأجانب في عقر ديارهم، يمثلون جسما غريبًا في البيئة التي شهدت بولادتهم، كقطعة قَرَدَةَ وخنازيرَ في خضم مياه البحر، بعيدة عن الغابة والبراري. بتشجيع من النظام القائم نجحت مدارس ومعاهد الكنيسة وفشلت وخسرت المدارس والمعاهد والجامعات اللادينية المحايدة. أمّا التّعليم الإسلاميّ فقد شلّ، وسدّت الأبواب أمامه بحرمان أهله المتخرجين من مرافقه بكل مزيّة

أو منصب أو وظيفة أو حقّ. وبقيت في المجال التّعليم الكنسي فقط، واضطر الجميع رغمًا على أنفسهم من أن يلجأوا إليه مكرهين بعضهم وقلوبهم مطمنة بالإيمان، وبعضهم راضين من الغنيمة بلإياب.

إنعدام التفاهم، والوحدة، والنظام، والتّعاون، والحسم والعزم، وحبّ الذّات، والحميّة والعصبيّة والتّنازع، سببُ فشل المُسْلمين. ووجود هذه العناصر لدى المسحيين سببُ نجاحهم علاوة على ذلك تواطؤ النظام والفَاتِكَانْ وقوى المنظمات المسيحية الصليبية في العالم المسيحية قوةً إقتصاديةً، سياسيةً إيديولوجيةً، إستعمارية، طبقية عالمية، كالرأسمالية والإشتراكية والشيوعية وتختلف مع الإسلام من منطلقاتها مارًّا بتطبيقاتها وتنظيماتها ورؤيتها وتصوراتها ويختلفان حتّى في ذات الله وفي صفاته وأسمائه تعالى. مادام مسلمو السنغال جاهلين عن دينهم فسيظلون تُبّعًا وتحت رحمة المسيحيين والكنيسة، ليس من يملك ويعلم أنّه مالك وعالم كمن لايملك ولايعلم أنّه فقير وجاهل فالمصير حَتْمًا بيد المالك العالم. تلك حالة المسلمين اللائكيين مقارنة بالمسيحيين المتزمتين بدينهم.

ض : إسلامية النخبة المثقفة بالفرنسية

المثقف المتربّى في أحضان مرافق التعليم اللائكي قلّما ينجو من سلبيات هذه الفكرة الفرامسونية أصلا. ومنذ فجر الإحتلال بدأت هذه المنظمات السّيئّة الخبيثة تنشئ عشًا وأوكارًا من أطر مختارة من هذه النخبة المكوّنة الموجهة المعدّة للإستجابة لمبادئ الفرمسة. كل من يحمل هذه الثقافة، وتربّى في ظلّ مدارسها ومعاهدها وكذا جامعاتها، فإنه لامجالَ يحمل سمومها وسلبياتها بالضرورة فتأثيرات الثقافة في العقل والرّوح والرّؤية، والسلوك والإنفعال قد تكون أشدّ وأعمق من تأثير عقيدة دينية غير مهضومة، وقد تكون مجهولة كما هو الحال في السنغال، لدى معظم طبقات الشعب، والسواد الأعظم. الدّين عند النخبة نشاط ثقافي له أهميّة من هذا الجانب، لأن فيه تسليّة وتهدئة للنفوس، كما يعتبر وسيلة سهلة لإقتناص ضعاف القلوب وتوجيهها، واستغلالها وتعبئتها. الدّين لعبة سياسية يستغله القادة والزعماء حتّى اللادنيون والملاحدة والفرمسة منّا، وغير المتمكنين من الوصول إلى المناصب العليا، لأن الحظّ لم يوافقهم فيلجأون إليه، بعد التقاعد، وكثير من أئمة الجوامع والمساجد من هؤلاء الذين لايعرفون من الدّين إلا أنّه

طقوس تنفع في طرد الأرواح الشريرة، وقهر النفوس لإختلاس أموالهم وجلب المنافع من الجنّ وتفسير الأحلام، والسفر إلى الحجّ لنيل وسام الحاج وأسنانا من ذهب. ولايقرءون القرآن ولايدرسون لغة الوحي، وهم كارهون لكلّ ماله صلة بالقرآن والحديث واللغة العربيّة، ولكن نفاقًا وخوفًا يرغبون أن يُقرأ لهم عند الموت، ويطلبون تدخلات أرباب العقيدة والدّين والعفّة والأصالة، عندما تحلّ الكوارث، وتكفهرّ الجو، وتفزع النّفوس. دين النخبة هو النفاق والكذب والمخادعة والرياء أساسًا، وقليل منهم من أسلم وجهه لله وهو محسن، ولم مرة في حياته، { إنهم يخادعون الله والذّين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون}.(البقرة، الاية: 5).

تعتقد هؤلاء أن الدّين هو حمل السّبحات، وإقامة حفلات المولد النّبوي، والتّسول في الطرق، وبناء مساجد وجوامع لايصلي فيها أحد إلا المتقاعدون والعجزة والمرتزقة والجواسيس وشيوخ الشعوذة، وكل هؤلاء منهم، لأن حملة علوم الوحي بمعزل عنهم قلبًا وقالبًا، بل هم الذين طردوهم من حياتهم في بداية المعركة والمسيرة، ولم يعد التفاهمُ والتقاربُ ممكنًا بينهم، لإنعدام الثّقة والإحترام المتبادل. هؤلاء يعتقدون جزمًا أنّ ثقافة فرنسا وتاريخها وتراثها مشتركة بينهم، ومن هنا خيّم الجهلُ، واستتبّ في قرارة نفوسهم وتمكنّ من قلوبهم، وأخزى من ذلك، يقدسون الغزاة الذين إحتلّوا بلادهم وباعوا أجدادهم وسفكوا دماء الأباة منهم، واستعمروهم واستفزوا بهم ويعتقدون رغم كلّ هذه المساوى والمأساة والملاحم أن هناك تراث مشترك معهم، هذا الجهل الدامس يغشى عقول وقلوب المثقفين بالفرنسية عندنا جملةً وتفصيلاً، فمن نطق باللغة الفرنسية نطقًا غير ملائم أو إرتكب خطئًا عند كتابتها، فإنّه يعتبر ناقص العقل، والرجولة والسهامة، ولايعتبر أهلاً لتحمل لأيّة مسؤوليةً. وقد يُمنع هؤلاء من أن يعبروا عن رأيهم وفكرهم ومعتقداتهم خارج المسجد، لأنها مناقضة لآراء وروح الثقافة المستوردة الفرنسية المعْتَبَرة تُراثًا قوميًّا ووطنيًّا في السنغال. بينما تعتبر الدّين وعلومُه وتراثُه وقيمتُه ومزاياه الماديَّة والروحية خرافات ولعبة وتسلية أو كما قال الشيوعون : الدِّينُ أَفْيُونُ الشُّعُوبِ.

تناضل هذه النخبة بكلّ حماس ونشاط لمنع الشعب من إستعادة كتابة تاريخه، وفصل تراثه، وشخصيته، من تاريخ وتراث فرنسا والوثائق المكتوبة باللغة العربيّة التي سادت

وعاشت في قارتنا قبل الفرنسيّة بقرون، يقولون بأنها طقوس، وتعاويذ، وقرآن أوسنة لاقيمة لها كليًّا. هذه هي المعركة الحامية الوطيس بين طبقتين : مثقفة بالعربية وأخرى بالفرنسية والأخيرة هي التي تملك زمام السلطة بالبلاد، موروثةً من الإستعمار ومؤيدة من قوّاها الإمبريالية.

إن المنظمات الماسونية والأندية الثقافية، والمراكز الثقافيّة وتدبيرها وروّاد الكنيسة والملاحدة والنخبة التي جعلت من العلمانيّة اللائكيّة دينا وفلسفة حياة، هذه المنّظمات وهؤلاء الرّواد هم الجنود المجندّة لربط مستقبل بلادنا دينًا وفكرًا وثقافةً وتاريخًا وتراثًا بفرنسا. والعوامل ملائمة بنجاح محاولاتهم لتوفر الوسائل والتشجيعات والدّعايات والمغريات عديدة. علاوة على المزايا التي يحصل عليها معتنقو هذه العقليات العقيمة المضادة للوطنيّة، والأصالة، وقيّم الدّين، والحضارة الإفريقيّة. هذه المنّظمات تضغط بوزنها وثقلها وكشافتها وبكل قوّاها على جميع المرافق الحيويّة في البلاد، لتُجْبِرها على السير وفق هواها، وتتبنّى وُجهات نظرها، وتعتنق فلسفتها المخربة من الحياة.

هذه المنّظمات وهي فروع تابعة لمنظمات أهمّ وأشدّ وطئًا وفتكًا بالدّين وبالبشر. توجد مَعَاقِلُها في أوربا وأمريكا والغرب عمومًا. وتسعى كلّها لهدف واحد. وتتعاون فيما بينها بواسطة رموز وشعارات، وتعبيرات متعارفة بينها وتختار رُوّادَها من الطبقات المثقفة بالفرنسيّة واللغات الأوربيّة والشرقيّة، بما فيها العربيّة أخيرًا، ويزجُونهم في غياهب الماسونيّة بلالإغراء، بالمناصب، بالوظائف، بالأموال، باللّذات، بالسلطة وبالجاه. فالإنتماء و الإنخراط في سلك الماسونيّة علامة الوصول إلى قِمَّةِ السّلطة، والحصول على كلّ التسهيلات والمزايا التي تساعد على تحقيق المآرب الدنيويّة السياسيّة والإداريّة في البلاد وخارجها، لأن وُكَنَاتِها وأَوْكَارِهَا وعُشَشِها منتشرة في جميع القارات، وهم في قمّة السلطة، وبيدهم وسائل الإنتاج وتحت تصرفهم القادة والزعماء ورجال البنوك والأعمال، كلّ هؤلاء رهن إشارتهم، فما مصير شعب في وضعية كهذه؟

آثار المسيحية في الشباب

الشباب المترباة في أحضان الكنيسة تحمل بالضرورة إيجابيات وسلبيات هذه المنظمات القويّة الغازيّة المتربّصَة لتنقض على كلّ شابّ وشابّة لزجّهم في بيعِهِمْ وصوامعهم ومعابد الصور والرسوم الرهيبة. إفتراس الشباب بالمغريات، بالدعاية، بالموسيقى، وبالرقص والألحان والمجون والخمور، والألبسة اْلمُسَرْكَشَةِ الألوان، وبالألغاز والطقوس والكلمات الرّنّانة وغرابة زيّ الراهبات والقدّيسين والقدّيسات والصمت الرهيب والسّكون المخيم في دورهم المظلمة. كلّ هذه العوامل تؤثِر سلبًا ونفسيًّا في سلوك الشباب المسلم بغض النظر عن الجنس والعُمْرِ، ولكن تأثيراتها في الفتاة أشدّ وأعمق، لأنها أكثر إحساسًا وأرهف وأقرب من شقيقها لقبول العوامل المؤثرة من أيّ وجهة جاءت ومن أيّة عقليّة، إيديولوجية أو عقيدية صدرت وبغض النظر عن الأهداف والغايات، التي تنشدها، والفلسفات التي تجرها من وراء المظاهر. ومعظم روّاد الصوامع وبيع المسيحية من الجنس اللطيف، وأشدُّهم تَمَسُكًا وتَعَلُّقًا بتعليماتها، وأفكارها وعقلياتها، هنَّ النسوان غالبًا.

لأن المظاهر الخلابة تخدعهن بسرعة وبسهولة، والأزياء جذابة التي يرتدينها وتميزهن بغيرهن، والحفلات الراقصة، تساهم في المخادعة وتنتهي كثيرات منهن بإعتناق الإسلام، لشدة عنف حياة الإنعزال عن المجتمع ضدّ الواقع الإجتماعيّ وضدّ الواقع البيولوجيّ للإنسان وضدّ المنطق والطبيعة في نظامها وانسجامها الكليّ. ويتمّ التّحول والاستسلام بالزواج وبالإقناع، وبالتمرّد، وبالإستجابة الالية لنداءات المجتمع كنظام يفرض قواعده وسلوكه ومبادئه وقيمه يضطدم بعنف مع أولائك الذين يسيّرون في الإتجاه المعاكس المضاد لتياره الجارف، مثل الراهبات والذين يرفضون الزّواج في مجتمع 96% منهم مسلمون.

ورغم كثرة إستعانتهن بالزواج فإن السموم تبقى كامنة في مخيلتهن مدة حياتهن. وتترك آثارًا سيئة في الأجيال التي تنشأ من تلك الصلات والزّيجَاتِ، وتضرّ بالمجتمع.

تسلُّلُ المسيحية في السنغال

وصلت كبار غزاة أوربا وزعماء تجّار الرّقيق ويتقدمهم رؤساء الكنيسة، والاباء أصحاب القبعات والحزام على الجبة يخططون ويرسمون الخطط ويباركون الكشوفات والأراضي المحتلة، والشعوبة المغلوبة وهلمّ جرا. وقد جلب هؤلاء الغزاةُ مرتزقة بيض من مختلف قارة أوربا، لأغراض الحرب والإعتداء والسلب والنهب والغصب وهتك الحرمان. ومن المعلوم المُسلم به كون هذه العناصر أشدّ قسوةً وعنفًا وصرامةً. إذ لاقلبَ لهم ولاضميرَ ولاعقيدةَ ولادينَ ولاخُلقَ ولا تومن بحياة أو بعث أو مجازاة أو لوجود إله يملك الكون، للإشباع غرائزهم الجنسيّة إستوردوا من إقليم سالم بالخصوص معظم الجنس اللطيف، وفق معاهدة مبرمة بين حاكم سانتلويس وملك سالم، واستردوا بعضهن من وَالُو وفوت طورو ومن الحرَاطين الموريطانيات، وإختلاطهم بهن أنجب الخلاسيّيون الذين كونت فرنسا منهم دعائم قوتها الحربيّة والإداريّة والتّجارية. وقد استطاعت فرنسا جَلْبَ عناصر أخرى من فصيلة تُكْرُورْ المنتسلة ومن قبيلة بُولْ، ومن الجِدُّو المنفصلة من الوُلُوفْ، ومن الحراطين العبيد الموريطانيين. وبعد تدريبهم تدريبًا مُلائِمًا نفسيًّا وجسميًّا، وإيديولجيًّا، زجُّهم في ساحات المعركة لقهر المقاومين بالقوة، وبجميع الوسائل، حسب قانون الكنيسة وحكمها الذي أصدرها على الأراضي التي لاسيادة عليها وعلى الشعوب غير المتمدنة البدائية المحرومة من العمران والحضارة، بهذه العقلية والعناصر المرتزقة غزت فرنسا أراضي غرب إفريقيا واحتلتها وأدخلت فيها من ضمن ما أدخلت من سلبيات وأوبئة أخلاقيّة، ثقافيةٍ وحضاريةٍ وديانتها المسيحية. ومن حينها شرع الشعبُ والوطنُ ينحدران نحو الهاوية. وقد نجحت فرنسا في تشويه شخصية الشعب، وتمزيق وَحْدَهِ وَقَتْلِ معنوياته، بفتك أبطاله، وبإهانتهم عَلَنًا وإبادتهم وتشرديهم أمام أهاليهم، وطرد كبارهم من البلاد، واستحكمت القوة والعنف، والقتل، والأسر، والنفي، والإرهاب مدة نصف قرن حتى استبتت لها ظروف البلاد، وبفضل هذا الجيش العرمرم المكون من العناصر المذكورة بقيادة آباء الكنيسة مع بعض ضباط بيض الموظفون السامّون، وضباط الصفّ، وحكامُ المناطق وبعض المقاطعات، والإداريون، والأطباء، وضباط الأمن والبوليس مختارون من هؤلاء المرتزقة باشراف مباشر من القادة الغزاة البيض.

هذه هي السوابق التي يمكن سردها، ومن المحال ذكر كلِّها ووصف مدى وَحْشِيَتِها وقساوتها وتجاوزها البعيد لذَوْدِ الْعَقْلِ وحرمة وكرامة الإنسان.

وأساس هذه التجاوزات هو القانون الذي أصدرته الكنيسة وأباحت فيه إستعمار أراضي الشعوب غير المتمدّنة لتعميرها وحمل سكانها على نمط حياتهم، وقبول قيمهم الحضارية بما فيها القيم الدّينية المسيحية تلك هي السوابق التي أمكن ذكرها هفويًّا،وبقي ذكر اللواحق تناسلت هؤلاء وأنجبوا كثيرًا من عباقرة الأدب والقانون والطب والإدارة، والسياسة، والقيادة، وهم الكَثْرَةُ المسيطرةُ على زمام شؤون الدولة في مختلف مرافقها حتى الآن، وقليل من غيرهم إستطاع بعد مجهود، الإلتحاق برَكْبِهم بتعاونٍ معهم وتفاهم ووصل إلى بعض مراكز ومزايا إدارية كانت مُحْتَكَرَةً لهم، وبعد الإستقلال وضعت فرنسا السلطة بيدهم ولمن وَالاَهم واستسلم لهم وبايعهم بالخضوع والطاعة والإخلاص وباعتبار فرنسا قِبْلَةُ العلم وكعبة العقل، وقمة الحضارة، والأسوة المقتداة بها في كلّ كبير وصغير. يحاول الشّعب التّخلص من هذه المأزقة بما أوتي له من قوى وصبر وثبات. ولكن القوى المقاومة من بيننا مدعة من فرنسا والغرب عمومًا، أقوى وأشدّ وطئًا. وأعتقد أَنّه ماضاع حقٌّ وراءه طالب. وأن المياه تعود إلى مجاريها الطبيعية مهما طال الزّمان، وأن مصير الصرع بين الحقّ والباطل والشرّ والخير بيد الحقّ والخير ولو كره المشركون.

الخلاصة

المسحية ديانة غازية، بها غزت أوربا ورجال القبعات الصُّفْرِ أراضي غرب القـــارة وبها استولت على التُّراث والقيّم، وبها دابَتْ وشوَّهت الشخصية والأصالة الإفريقية، وبها مَحَتْ بالطّمس مًحتوى تاريخ البلاد وثقافتها ومعالمها وملامِحِها وقسماتِها المميزة لها من بين الشعوب والأجناس، وبها غيّرتْ واستبدلتْ عقيدتَنَا، ولَطَخَّتْ صفوَ ديننـــا تعكيـــرًا، وأدخلت بَلْبَلَةً وشكوكًا وأوهامًا في التّوحيد واليقين، وأشعلت صراعًا مريرًا في القلـــوب والقول، وذرعت بُذُورُ الخلاف والنزاع، والشِّقاق، والنفاق، والعصيان، وانعـــدام الثّقـــة والوقاحة، وفقدان الحياء، ونزعَتْ الرحمةَ من القلوب، وملأتها قَـــسْوَةً وحقْـــدًا وَحِـــسْدًا وغيرةً، وأنانيةً لاقبلَ لَنَا بها أبدًا.

المسيحية هي الفَخُّ والمصيدةُ المنصوبةُ لأصـــطياد الأفكـــار، والعقـــول، والـــدّوافِعِ والحركات والسَّكناتِ والقلوب والأرواح، هي السجنُ المنيعُ المشيّدُ لرصد كبارِ رجـــالِ المقاومة وكبار الشخصيات، والأُبَاةِ والمناضلين والـــوطنيّين الغيـــورين. هـــي معقـــلُ المتمرِّدين المتنَطِّعين، مركزُ العَمَالَةَ والمرتزقة في دورهم وفي غياهب صوامعهم وبيعهم تُدَبَّرُ الدّسائسُ والحِيلُ وسُوءُ المكر للإيقاع بالبلاد وأهله،باعتيار روَّادها أجَانبَ حقُـــودًا حَحُدًا في عُقر دِيارِهم، وبين ظهران أهاليهم.

هي مَنْبَتٌّ السُّوءِ والحارسةُ الأمينة لمصالح الغرب الإســـتعماري، والعـــدوةُ اللـــدودةُ المتربصةُ بالإسلام والمسلمينن وتُسْهِرُ السِّلاحَ على وجهه، وتودّ الكفرَ والإرتـــداد عـــن عقيدته التوحيدية الحنفية، هي وارثةُ الإدارة الفرنسية الإستعمارية الثقافية الإقتـــصادية. وتحتكر كلما كانت في قبضتها من عهد حروب الإحتلال حتى اليوم ولاتزال في عُنفوان الشباب وهي اليوم أشدّ ضراوةً وفَتْكًا وسُمًّا في البلاد. وصدق الله قوله :{لتجـــدنّ أشـــدّ النّاس عداوةً للذين ءامنوا والذين أشركوا}.

والمسيحيةُ أخيرًا، دينُ الرِّدَّةِ ومعقَلُ بقايا الوثنية، وملجأُ المُلحدين والمُنحـــرفين عـــن أصالتهم، وعقيدتهم التوحيدية وديانتهم الإسلامية، وإليهـــا تَـــسْرَحُ الأرواحيـــة البائـــدة، لإباحيتِها وانحلال الخلق في صفّ روَّادها، وبها تتثبَّتُ أقلّ قبائل البلاد تمـــدُّنًا وتقـــدُّمًا وتحضرًا وازدهارًا ونورًا، وأكثرها تخلُّفًا وجهلاً وانطواءًا وانغماسًا في ظلمات الكفـــر

والشرك. وهي الدِّيّانةُ الوحيدةُ التي تُبارِكُ الخمرَ والميسرَ والأنصابَ والأزلامَ، وتَحْتَضِنُ العاهرات والفاسقات والفُجور والمجونَ والراقصاتِ السافراتِ، وتفتح دُوَرًا لأبناء الزنّى والطبيعة واللقيطة الناتجة عن نظامها العامّ.

وتسعى في أرضنا فسادًا، إنّها الضَّلاَلُ، ضلَّتْ وأضلّتْ قومنَا ودِيَارَنَا. فجميع المنظّمات السّريّة والمرْتَدّين عن دينهم والمتغمسين في الملّذات والتائهين بِهَا يَحْتَمُون ويَجِدُونَ مَرْتَعًا خِصْبًا لإشباع الأهواء العابثة الكافرة.

وصدق رسول الله ص في جوامع كلمة الخالد المنوّرة للقلب حيثُ، قال : " كلُّ مولود يُولدُ على الفطرةِ فأبواه يُهوِّدانه أو يُمجِّسانه أو يُنصِّرانه". وتجد في أسرة واحدة بالسنغال أشقاء وشقيقات وبنُوعلاَّت بعضهم مسلمون متزمتون، وآخرُ مُلحدون على إيديولوجية مَارْكِسْ وشيوعيون ينكرون وجود الله، وبعضهم مسيحيُّون يقدسون كلّ ما هو فرنسي كنيسي، كأنّ فرنسا ولغتها وحضارتها شعبُ الله المختار، والسَّوَادُ الأعظم مذبذبون، منافقون، لائكيّون لادين لهم في الحقيقة. كالحرباء يَتَلَوَّنُونَ ويَتَشَكَّلُونَ من دين لآخر، ومن طائفة لأخرى وهؤلاء معظم حملة الثقافة الفرنسية وكبار الموظفين وهم من نصيب الكنيسة الأحظ الأوفى عند القسمة الفرنسية الضيزي لتركة الإستعمار.

الفصل السادس

دراسة حياة ومنجزات بعض الأعلام

الأول : **شيخ عمر الفوتي طال (1797-1864م)**

مولده : ولد شيخ عمر الفوتي طال سنة 1797م بقرية (حَلْوَارْ) الواقعة شرق (بُودُورْ) المجاورة لقرية (كِدِي) بإقليم فُوتَ طُورُو. وكان ينسب نفسه في كتاباته ومراسلاته نظمًا وشعرًا ونثرًا إلى قرية (كِدِي).

وهو أحد أبناء العلامة المقرئ الشيخ سعيد طال، الذي يعتبر عَالَمًا شامخا وطودًا راشخا من أعلام الجامعة الإسلامية (بِيرْ) حيث عاش ربع قرن في الدراسة والتدريس وحصل فيها على رتبة عميد الجامعة، قبل عودته نهائيا إلى طُورُو حيث كرّس حياته في تربية النشء ونشر قيم الدين.

كانت لوالدته آدم عائشة عشرة أولاد، وكان عمر أصغرهم، وهم : فاطمة، أمّ كـلّ، زينب، سيري آدم، مختار، أنتمان، ألفا أحمد، جيرن جُويْ، منير، وعمر وكان لهم إخوة لأب وهم : علي، وعثمان.

دراساته : قرأ شيخ عمر القرآن طفلا على أبيه، وكان يدير مدرسة فقهية قرآنية، وعلى علماء وَلاَتَه بموريطانيا، واستفسره بجامع (بِيرْ) العتيقة الإسلامية، حيث درس والده، وحيث توجد مجالس علمية متخصصة في فنّ التفسير. تنقل بين فحول العلماء في الأمصار والأقطار بحثًا عن ينابيع العلم. وفي هذا الصدد، إتّصل بالشيخ عبد الكريم بفوت جَلُونْ تلميذ الشيخ مولود فال، الذي أخذ عن الشيخ محمد الحافظ التيجاني الشنقيطي المتوفى سنة 1815م، ودفن بمسجد الديوان، داخل زاويته الخضراء. وبعد إتمام دراساته، فكر في السفر إلى الحجاز، وزيارة العالم العربي. ولم تكن ثمة حينئذ طرق معبدة، أو سيارات وبالأحرى وطائرات. وإنما هنالك مسالك وعرة ومليئة بالأخطار، وغابات كثيفة تعيش فيها الزواحف، والكواسر، والضواري، ومختلف الحيوانات المتوحشة.

ولكن همّة كبار النفوس تخضع لها كل الصعاب، تخر أمامها الجبال الشمّ، وهكذا عقد النية، وشدّ راحلته، وانتحى صوب نيجيريا سنة ؟ (1820م) قاصدا مكة المكرمة، لأداء فريضة الحجّ، ووصل سنة 1828م أرض الحجاز.

وقد مرّ أثناء سفره بمدينة (سُكُتُو بنيجريا) ونزل ضيفًا على أسرة الشيخ عثمـــان دان فودي (1752-1816م)، وهوالذي زوّجه ببنته مريم وأنجب منها الحبيب ومحمد نور، أبـــو سعيد نور طال الذي كان مقيمًا بدكار، حتى توفي بها سنة 1970م.

وكان الحبيب فيما بعد سلطانًا على مملكة (دِنْغَرَايْ) بينما كان أخوه لأبٍ، أحمد شيخ سلطانًا على مملكة (انْيُورُ، شِيكُو، بَنْجَكَرَى) بمال حاليًّا. وقد ولد بسُكُتُو) سنة 1833م عند عودة والده من الحجّ، وهو من زوجته عائشة بنت (أحمد شيخ نَيمَا بـــبلاد نيجيريـــا. أمّ الهادى والمنتقى، وحامد فهم أشقاء من زوجته (بَتَلّ حَو~سَا). ومن السيدة مرية، رابعـــة **زوجاته** : المكي، وسعيد، والعاقب والقريشي.

وللشيخ خمسون حفدة نصفهم ذكور والآخر إناث حسب الباحث : موسى سَالِفْ. وقد بقي شيخ عمر بالحجاز (4 سنوات) في خدمة الشيخ محمد الغالي، خليفة الـــشيخ أحمـــد التيجان بالشرق والذي كان مجاورًا بالمدينة المنوّرة، وهو الذي أعطاه كثيرًا مـــن أوراد وأسرار الطريقة التيجانيّة كما أعطاه إذنًا في تعيين المقدمين، وخليفة الشيخ في غـــرب قارة إفريقيا، نيابة عن الشيخ محمد الحافظ الذي توفي بسنتين قبل مغادرته أرض الحجاز سنة 1830م، ودفن بموريطانيا. ومرّ شيخ عمر أثناء عودته، بالقدس الشريف، وبدمشق، والقاهرة، ومنها إلى نيجيريا، عبر أراضي دولة السودان الواسعة، ووصل إلى (سُـكُتُو) سنة 1832 م ومكث فيها ستّ سنين، وغادرها سنة 1838 م، نحو مـــسقط رأســـه. وعلـــى طريقه مرّ بإمارة (مَاسِنَا) ونزل ضيفًا على شيخ أحمد (1775-1845) وكان ثمة إبنه يدرس لدى العلماء الفلانيين (بحمد الله) عاصمة الإمارة. وقد إِسْتَوْحَى أحمد شيخ من محاوراته مع الضيف الكبير عبارات حرب وكفاح وقتال وجهـــاد، ونـــضال، وفـــداء، فتخـــوّف، وانزعج بالعلامات المرتسمة على وجه الضيف العظيم، فأرسل بعـــض مخبريـــه إلـــى حليفه، وصديقه الملك (جِيلْفُو) ووشاه به، وحرضه لقتله. وبمجرد وصول شيخ عمر إلى (شِيكُو) ألقى القبض عليه ورماه في السجن حسب أوامر حليفه أحمد شيخ الماسيني.

ومن حسن الحظّ، أن تدخلتْ أختُ الملك التي رأت شخصية الشيخ المَهُوبِ وما بِهَـــا من بهاء، وجلال، وعظمة، ووقار، فنصحت أخاه الملك مرتعدةً وقالت له : لو كان فـــي قتل هذا الشيخ أو في سجنه نفع لفعلوه بأنفسهم. وطلبت منه إخلاء سبيله، فأطلق الملـــك

سراحه دون تريث. وهكذا غادر (شِيكُو) وتوجه صوب بلاده فُوتَ طُورُو، فوصله، لكنه لم يستقر بها، بل إِرتَدَّ، وذهب إلى فوت جَلُونْ ونزل ضيفًا على الأمير (أَلْمَامَ عمــرُو) الذي أكرمه واحتفى بمقدمه، وأعطاه ضيعة واسعةً بنى فيها زاوية للعبــاد، والــوعظ، والإرشاد، والدعوة، والتعليم، والْتفَّ حوله جمع غفير، وَأَتْبَاعٌ اَفْزَعَتْ حركاتُهم الأهالي، بالأخص سلطات الإستعمار، ومُمَثِلُوه بالسنغال. وكان شيخ عمر يستخرج الــذهب مــن مناجم (بُورُو) الذهبية (بَجَغَنْكُو) وجمع كميات هائلة من هذا المعدن الثمــين، وقايــضها بغَامْبِيَا بدل أسلحة، وعتادٍ عسكري، وكانت غامبيا آنئذ سُوقًا رائجًا تلجأ إليهــا الملــوك لشراء البارُودِ، والأسلحة من الإنجليز. وقد سافر مرّة ثانيةً إلى طــورو ســنة 1846م، وزار عدة مدنٍ بالسنغال منها : (بَدُونَي) حيث رحب به العقيد (كَــايْ) الفرنــسي كَمَــا استَقْبَلَهُ حَاكِمُ السنغال بسانتلويس (كَرَامُو)، وأعلمه شيخ عمر بأنه، ينــوي فــتح بــلاد السودان، وإعادة الأمن، وإصلاح التجارة، وحرية مرور القوافل، والأفراد، والمــصالح، وإزاحة الوثنية، وشوائبها، ولم يعارضه (كَرَامُو) حاكم البلاد، حينئــذ وأعلمــه، بأنــه لايحارب أهل الكتاب، لأنهم أهل دين سماوي كالمسلمين واليهود، وأنه يحــارب الكفــر والوثنية، والشرك فقط. ثم قام بزيارة حَلْوَارْ، مسقط رأسه، وزار مدينة (انْجُمْ) مقرّ أَلْمَامِ أحمد أمير فوت طورو الذي إستقبله بحفاوة بالغة، وزار مدينة (مَاتَمْ) واحتفــل بمقدمــه (هَكّارْ) رئيس الجهة العسكرية. وكانت نيته في هذه الرحلة السياحية تعبئة الجمــاهير، وانتفاضتهم واستقطاب أكبر عدد منهم لإنشاء جيش قوى من فرنسا من أبنــاء طــورو المعروفين بالشجاعة، والإقدام، والصبر والتفاني. وهكذا أتبعه جمع كبير، واحتشد حوله خلق تتموج، وترتعد الأرض، بمسيرتهم.

كانت رسل قوات الإستعمار سبقته إلى فوت جَلُونْ قبل عودته، إليها ووشــوه لــدى الملك (أَلْفَا يَحْيَى) الذي أبى لشيخ عمر أن يدخل بلاده مع هذا الجيش العرمــرم، مــن أهالي طورو، وكان أَلْفَا يحيى يعاني من الضغوط والإضطهاد، والتهديد، مالايُتَحَمَّلُ من طرف قوات فرنسا المتربصة. واضطر لإعلامه بأن وجوده بجلــون يُعــرض بــلاده بأخطار لاقبل لهم بها، فتوكل الشيخ على الله كعادته، وغادر (جَغَنْكُ) مهاجِرًا إلى منطقة (دينْغَرَايْ) سنة 1848م. وهنالك بنى قلعته إستعدادا لإعلان الجهاد، وشنّ حرب طاحنــةٍ

ضدّ الوثنية، وحلفائها. وقد جمع أسلحة ودخيرة، وسبعمئة بندقية وكميات كبيــرة مــن البارود في حصنه، ودرّب جيشه تدريبًا جيدًا، دون إثــارة أنظــار الملــوك، أو إلفــات انتباههم بشيئ. وقد عقد مع الملك (يَبْمَا سَاغُ) معاهدة حسن جوار، تعاهد بموجبه علـــى دفع جزية وضرائب، ورسوم، مقابل استغلال أراضيه مقابل حمايتــه، وإعترافًــا منــه بسيادته، ومساهمة من شيخ عمر في نفقات خزانة الملك فقبل الشيخ الــشروط الــواردة على المعاهدة وأوفى بها كما وردت مدة سنة كاملة. وفي السنة الثانيــة، إعتنــق جُبَــاةُ الضرائب، مُوسى جَالُو، الذي تأثر بمواعظ الشيخ كَفُلاَنِيٍ لَهْجَةً، واعتنق الإسلام وخاف من بطش الملك الذي حذرهم من تطبيق شعائر الإسلام، وأوعد المخالفين بالقتل، ولــذا إلتجأ موسى جالو لدى حِصْنِ شيخ عمر، فلما علم الملك بــأمره، أرســل وفــدًا إلــى (دِينْغِرايْ) يطلب من شيخ عمر المثول لديه، ومعــه المخــالف، مقيــدًا بــالأغلال وإلا فسيكون مصيره الطرد والتشريد من الأرض. فكان جواب الشيخ نصّ الحديث النبــوي المأثور في هذا الصدد حيث قال : "المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يدٌ على من ســواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم " وقال للوفد : إنّ المسلم لايُسَلَّمْ لكافر، وأن موسى أصــبح فــي حماية الإسلام. ولما رجع الوفد إلى (تَمْبَاكُنْدَا) عاصمة الملك مع هذه الإجابــة الــسالبة عزم الملك على إعطاء هذا المتمرّد درسًا لاينسى.

والواقع هو أنه لم يكن متوفرة لديه معلومات صحيحة عن عبقرية هــذا المــستوطن الغريب، ولا عن برامجه، ومالديه من نوايا، ومرامي تجاوزت حــدود ملكــه البــسيط المتواضع، واستعد (يَمْبَاسَاغُ) لمحاصرة حصن الشيخ ولكنه لم ينتظر قيام جيــشه مــن العاصمة. وإنّما فاجاه بغتة بجيش عظيم، وانقض عليه، وشــتّت جموعــه، وانهزمــوا فارّين كالفيران، وفتح الشيخ مدينة (لَبَتْ) والعاصمة (تَمْبَاكُنْدَا) بعد حــصار دام ســتة أشهر. وقتل الملك، ثم واصل الزحف نحو مدينة (كَفُودِي) عاصمة الملك (بَنْجَغُوكِيتَــا) المنحدر من سلالة ملوك دولة مالي، وفتحها، وقتل الملك. ثم ضــمّ المملكتــين وعــين عليهما إبنه العاقبُ سلطانًا عليها، سنة 1852م، وأصبحت مملكة (دِنْغَرَايْ) تــشمل علـــى تَنْبَاكُنْدَا وكُفُودِي وتمّ تأسيس هذه المملكة في ثلاث سنين من جهاد مرير، خلف ضــحايا كثيرة. بعد أن نظّم شؤون المملكة الجديدة الواسعة الأطراف وتعيين القواد والأعيان على

مختلف نواحيها. إتجه نحو مملكتيْ (بَامْبُكْ وبَلْدَغْ) وفتحهما دون جهدٍ أو عرارٍ شديدٍ ثـم انقض بعنف شديد، إلى مملكة (كَهَرْتَا) المَسَاسِيَّة وقتل الملك (كَنْجَا) واستولى علـيهم، وفتح بلاد (أَنْيَورُ) سنة 1854م وأجبر الوثنيين على إعتناق الإسـلام. إسـتوقف مـسيرة الجيش لإراحة المجاهدين، والرفع من مقدراتهم ومعنوياتهم إستعدادًا لمواجهـة قـوات فرنسا المتربصة بالمدينة، على حدود ممالكه.

وهكذا قام بعض قواده سنة 1857م بمحاصرة حصنِ فرنسا العسكري بالمدينـة كـان النقيب (بُولْ هُولْ) يدافع عنه، لمدة ثلاثة أشهر، أرسل إثرها حـاكم، الـسنغال الجديـد الملعون (فِيدرِبْهْ) إمدادات، وجنودًا وعبر النهر لإنقاذ المرتزقة من نقمة قواد شيخ عمر. ولما وصلوا مع الدبابات وأطلقوا قذائفهم، إضطر المجاهـدون للإنـسحاب، دون تنفيـذ هدفهم لأوّل مرة منذ بدء الجهاد. وكان أول فشل وهزيمةٍ مُنِيَتْ بها جيش الإسلام الفاتح. ويقول علماء تاريخ جهاد عمر، أنّه كان مُعارضًا لهذا الحصار، لكنه خوفًا من النـزاع وحدوث شقاق في قيادة الجيش وافق عليه، لكنه أصلاً، إمتنع عن محاربـة النـصارى واليهود، كَأَهْلِ كتاب وديانة سماوية. علاوة علىهذا، تفوقهم في الأسلحة.

إرتد الشيخ نحو (دِنْغَرَاي) ووضع خطة جديدة، تحتاج إلى جـيش أضـخم لـضرب أوكار الشرك، ونسف الأزلام والنصب، والأوثان، وتأهبّ وسافر مرة أخرى إلى فـوت لإستقطاب الجماهير وتعبئة الشعب، وانتفاضة الهمـم، مـن سـنة (1859 إلـى1857م)، واستطاع ان يجمع، وينشئ جيشا قِوامُه (40) ألفا من شجعان أهل طُورُو، وفي بعـض الأحيان، إضطروا إلى إشعال النار في أكواخ القرى لإجبـارهم علـى الـسَّيْرِ معـه، والإستيلاء على مخزون القرى، من مواد غذائية ومواشي وغيرها لينخرطوا في صُفُوفِ الجيش وهكذا جمع من الشباب، والكهول، والشيوخ عددًا لايحـصى. وكـان الخلاسـيُّ المرتزق (بُولْ هُولْ) يُطارده ويُراوغه ويتربص به الدوائر لإغتياله.

وبعد إتمام عمليات التعبئة إتجه محاذيًا حافّة النهر نحو مدينة (مَاتَمَ) وكان بها (بُولْ هُولْ) يدافع عنها، وبعد هجوم بسيط وتبادل وإطلاق بعض قـذائف، وطلقـات ناريـة، إنسحب الشيخ نحو (بَكِيلْ) ونزل (بغَمُو) على بعد (514) من (بَكَلْ) وبنى ثمّـة بـسرعة هائلة قلعة للجيش وهاجمها فورًا (بُولْ هُولْ) وهدم صرحها بقذائف الـدبابات الثقيلـة،

وفي هذه المعركة (بِغَمُو) إستشهد (سِيرِي آدم) أخو الشيخ الكبير. ولمّا تيقّن من فشله في توحيد أجزاء طورو، وإنشاء دولة بها، قفل راجعًا إلى (كَهَّرْتَــا) لتعميرهــا، بالحــشود البشرية التي تتجرُّ وراء ركبِهِ، وهكذا إنسحب منها وترك وطنه، تحت رحمة الإستعمار الفرنسي. وتجدر الإشارة هنا، بأن معظم جنود فرنسا المرتزقة، كانوا من قبيلة تُكْلُــورْ، والحراطين، والًجِدُّو، من الولوف، والخلاسيّين والغريب، أنه أثناء سير الجــيش، كــان يطلق النار على بعض المدن المتحالفة مع الغزاة وهكذا هاجم، على مدينة (كِرِنْ، وبَكِلْ، وانْجُمْ) واستولى على مدينة (أَيْتَلاَ) ، و(بَنْمَانَا)، و(سُنْسُنْدُنْغْ) وقتل (تَاتَا) إبن الملك الوثني (بِشِكُو) (على دامْنْزُو)، وقام عميد مدينة (سنسندنغ) كَرْمَانَا بتحريض وحثّ ملوك (مَاسِنَا وشِيكُو) للقتال ذَوْدًا على الوطن والكرامة ضدّ الغازي العنيف الجبَّار، الــذي يبــدو أن رياح النّصر تسير شهرًا أمامه، ولم تكن الأعداء في حاجة إلى إستقصاء أخبار تنقلاته، وَحَرَكَةِ جيشه حيث تصل غبار الجيش ودويُّ الفرسان وتشير غيومًا تتلبد فــي عنــان السماء، تتبعه الكواسر والضوارى والنسور تَقْتَاتُ ممّا يثيره من حشرات، وحيوانــات، وحيات، وفضلات بينما الأسود والفيل، والفهود، والنمور تفترس مــن الوحــوش التــي أرعبتها هديرُ حركة الركب المخيف وتتبارى أمامه طلبًــا للخــلاص والنجــاة، حتّــى لايحطمنهم الشيخ وجنوده وهم لايشعرون. تشاور الملك (على دَامْنْزُو وأحمــد أحمــد) وتحالفوا ووضعوا خطة موحدة وقيادة مشتركةً لمواجهة الخطر المحدق والقضاء علــى شيخ عمر، واستعدوا، وجهزوا، درّبوا فرسانهم، وتقرّبوا لأوثانهم، والتقــى الجمعــان، بشهر فبراير سنة 1861م، بقرية (تِبُو)، وانهزم القائدان أمام المجاهد، ولم يتوقف الزحف، بل واصل نحو قلب العاصمة (شِيكُو) واحتلَها عُنوةً، وفرّ منها الملك (علــى دَامَنْــزُو) والتجأ لدى الماسنيين الحلفاء. وقد أجبر أهالي (شِيكُو) على اعتناق الإسلام، وعيّن عليهم قائدهُ المقدّم (صَانْمْبَ انْجَايْ) مسئولا على الأمن ريثما يتخلص من الماسنيين ثمّ إلتقــى مرّة ثانية، مع القائد الفلاني (بَالَبّ وعلى دَامَنْزُو) بقرية (كُونُو) فهزمهما الــشيخ شــر هزيمة، وعند ذلك أرسل إليه أحمد أحمد رسالة تطالب فيها المصالحة، وكان قد رفضها لمَّا طلبها منه الشيخ من قبلُ، فأبَى الشيخ المصالحة معاملة لــه بالمثــل، وفــي هــذه المراسلات أبدع الشيخ من البراعة والبلاغة والفصاحة والخطابــة والدّقــة والخِبْــرَةَ،

والعبقرية، والفضل والكرم، مالايصفه القلم، ولاينطق به اللسان، أو يخطر ببال، وظهر تفوقه عليهم في مجال الحرب، والقلم. وفي محاولة ثالثة، يائسة، سلط الملك أحمد أحمد خاله، قائد جيش مَاسِنَا (بَالَبَّ) على الشيخ لإستعدادةِ مدينة (شِيكُو) من قبضته، فانهزموا وَوَلَوْا مدبرين. ولم يكتف الشيخ في هذه المرة بالنصر العسكري، ولكنه عزم على نسف أوكار الغش، والتآمر، والتواطؤ، وعشش قيادة الحلفاء، وانقضّ على العاصمة (أحمد الله) واستولى عليها، وفرّ أحمد أحمد عنها هاربًا جريحًا عبر مياه النهر، فأمر الشيخ القائد، أَلْفَا عمر بيلا، على رأس مئة فارس بمطاردته، فلحقوا به، وأعادوه إلى مدينة (مُوبْتِي) فأجهزوا عليه، قصاصا بما فعل، بالمجاهدين مع أهل الشرك. أما الملك (على دَامَنْزُو) فأمر بسجنه فقط رجاء توبته، واعتناقه الإسلام مع شعبه.

فهذه الإنتصارات المتوالية، والفتوحات المباركة، رفعت من مكانة الشيخ وتوجه بهالة من جلال، وجمال، وكمال، وعزّة، وبأوسمة شرف، ومزايا لم تنلها من قبله الأولياء.

دامت دولة الفلانيين الماسينيين من سنة (1815 - 1863م)، وعاقب على عرشها المؤسس شيخ أحمد، ثم إبنه أحمد شيخ، ثم أحمد أحمد، ثم حبي، ثم منير، ثم أحمد شيخ، العاقب ثم فرنسا سنة 1899م. دامت حروب مَاسِنَا، مع شيخ عمر، أربع سنين من سنة (1859 إلى 1863) وامتدت حدود المملكة الجديدة من تُخُومِ فوت طورو ومالي إلى ماوراء (تُمْبُكْتُو). ويمكن أن يقال للشيخ في هذه الظروف، وهو في أوج العزّة وقمة الشرف، بانتصاراته، ماقاله أبو الطيب المتنبئ يمدح سيف الدولة في انتصاراته العسكرية :

تَمُرُّ بَكَ الأبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً // وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمٌ

إستتبّ الأمن، وساد الهدوء أرجاء المملكة، وبدأ الشيخ يفكر في دعوة قبيلة (مَي) إلى الإسلام، لأن مهمته لم تنته بعد، وعزيمته لن تَفُكَّ أبدًا. وهو في ظُروف الإستعداد، لهذا الغرض، وصلت إلى عمله أخبار مؤامرة دبرتها أخوال أحمد أحمد، وحليفهما، وهم (بَالَبّ وعبد السلام وأحمد البكاي) أمير مدينة (تَمْبُكْتُو) وبالفور ألقى القبض عليهما، وعلى أهاليهما، وأمرّ إبنه أحمد شيخ على (مَاسِنَا)، ثم خرج قاصدًا (تَمْبُكْتُو) للقبض على المتآمر الثالث وعلى طريقه، إصطدم بالأعداء المتربصة في (غُنْدُمْ) فانهزم أمامهم فارْتَدَّ على عقبيه إلى (مَاسِنَا)، وأثناء غيبته إستطاع السجينان الإفلاتَ، والفرار من سجن

حمد الله، وبقي فيه الملك (على دَامَنْزُو) وعند وصول الشيخ، وعلمه بفرار (بّالَبّ وعَبْدُ السَّلاَمْ) أمر بقتل (على دَامَنْزُو) وجمع أهالي (بَالَبّ وعَبْدُ السَّلاَمْ) وهم وجهاء البلاد، وقتلهم جميعًا، وسبَّبَ هذا الإعدام الجماعي خروجًا عامًّا عن طاعته وعصيانًا شاملاً من الشعب، فتطاير الشَّرَرُ، وعمّ الشغب، والغضب، وثار ضده الجميع حتى البعض من أصحابه المخلصين، الأوفياء. وهكذا تمرّد الشعب واسْتَقَرَتْ قوى الشرّ، واستيقظت الفتن، وتفاقمت الويلات والفوضى من كل الجهات. وقام (بَالَبّ وعَبْدُ السَّلاَمْ) منتهزين هذه الفرصة المضطربة بالفوضى فقطعوا الطرق، ما بين العاصمتين (حمد الله وشيكو) وحاصروا على قواد شيخ عمر في (نمند) وهددوا عماله وأعوانه في الجهات كلّها.

وأرسل الشيخ القائد المفدى أَلْفَا عمر بَيلاَ ليغزو(تمبكتو) وينهب أهلها فاستطاع أن ينفذ هذه الأوامر، وفي طريق عودته إلتقى به (بَالَبَّ وسيدي بن أحمد البكاي) نحو مدينة (نمند) بسهل (منمن) وثمة انقضَّا عليه فأَرْدَوْهُ قتيلاً. وحينئذ كان القائد (عَلِيُ أَرْدُ) محاصرًا من الماسينيين، وانهزم القائد ألفا عثمان البطل. وبموت هذه الأعمدة من أركان قيادة الجيش الإسلامي الفاتح وهم : ألفا عمر بيلا، بسهل (منمن) و (علي أَرْدُ) ب(بنمند) وألفا عثمان بالميدان، توجه (بَالَبّ وسيدي) إلى حمد الله وحاصراها مدة ثمانية أشهر، لم تَصِلْ خلالها إمدادات التيجاني أحمد، لإنقاذ عمّه، فاضطر الشيخ إلى إحراق المدينة والإفلات من ألسنة اللهب، متسللاً نحو جبال (بَنْجَكَرَى) وثمّة إحتمى بكهف (دَينْغِمَبَرِيْ) فطاردته الأعداء، وتتبعوا آثاره، وحاصروا كهف ((دَينْغِمَبَرِيْ) واشعلوا النار عليه، وكان برفقة الشيخ، إبناه، المكي والهادي وأصحاب آخرون، إحتنقوا وتمزقت أجسامهم، لما انفجرت كميّات البَارُودِ التي كانت بحوزتهم، جراء شدة حرارة النار التي أشعلها عليهم الماسينييون. وكان التيجاني في هذه الآونة بباب حمد الله مع جيش لاقبل لأحد بها. وعند سماع الإنفجار تيقن الماسينيون من موتهم وارْتَدُّوا راجعين، وهم راضون من الغنيمة بالإياب، ما كانوا يتوقعون، أو يحتاطون، أو ينتظرون وصول إمدادات عسكرية من أعوان الشيخ، ولما وصلوا وواجهوا الأمر الواقع، إذ حاصرهم التيجاني وألقى القبض على (بَالَبّ وسيدي) وجمعهم مع ثلاثمئة من علماء ووجهاء حمد الله، وقيدهم، وأحرقهم ثم جمع رمادهم ورماد أصحاب عمّه ودفنهم جميعًا بسفوح جبال (بَنْجَكَرَى)،

واحتلَ حمد الله وبقي يحكمها حتى الوفاة، ثم جاء بعده بالوراثة، أبناء أعمامه : حبي منير، أحمد شيخ، العاقب ثم الإستعمار سنة 1893م، وعند إلتحاق الشيخ بالرفيق الأعلى، وقفت حركة الجهاد والغزوات والفتوحات، التي خلفت ضحايا كثيرة، ولكنها أنشأت دولة إسلامية تمتد من نهر السنغال إلى نهر نيجير، وتسع لأكثر من ثلاثين مملكةً في حينها.

قضى الشيخ (12 سنة) في الجهاد من سنة (1849 إلى 1864م) وتوفى عن عمر يناهز السبعين (70 سنة)، وشهد بنفسه على (74) أربع وسبعين معركةً حسب إحصاءات الأستاذ موسى سالف، وتحقيقات الشيخ موسى كَمَرَا، وذهب الأستاذ المبرز عامر صانمب هذا المنحى بإعتدال. وهؤلاء الثلاثة هم سند هذا البحث الوجيز المتواضع، والذي يستوعب الأهم من مآثر ومفاخر فتوحات شيخنا المجاهد الأكبر، ولي الله، شيخ الإسلام القطب، خليفة الله ورسوله (ص). وقد عُدّله (222) معركةً ضدّ الشّرك والكفر.

وأريد بالمناسبة أن أستورد وصفًا عنه، قالَهُ أحد الأعداء وهوالكاتب (سُلِيهْ) قال سُلِيهْ يصفه : " كان شيخ عمر مشارا إليه بالبنان، عيناه قويتا الدلالة، بشرته مذهبة، ملامح وجهه متناسقة، لحيته سوداء طويلة، حريرية، مفرقة، في ذقنه، دون شوارب، وفي رجليه ويديه تمام وكمال، كأنه لم يجاوز الثلاثين من عمره، ولم يُرَ قطُّ يتمخط، أو يبصق، أو يعرق، أو يضره الحرّ، او يصيبه البرد. ويبقى بلانهاية دون أكل أوشرب، ولا تبدو عليه علامات التعب في سير، أو ركوب، أو إتكاء على حصير". وقال عنه الشيخ موسى كمرا أنه : أبلغ وأفصح في الخطابة من كبار فحول فصحاء وبلغاء العرب، وكلامه يشد القلوب ويعصر الأعصاب، ويغلي الدّماء، ويستولى على العقول، ولايداني أو يقارن بأحد في شيئ من علماء عصره، ويسهل إثبات ذلك بالعودة إلى كتاباته الوفيرة نظمًا، ونثرًا، ومراسلةً. أمّا شخصيته فتتجلى من خلالها ومن مواقفه الحاسمة. يعتبر شيخ عمر بحق، أعظم شخصية وطنية إسلامية تاريخية في غرب إفريقيا، وأكبر مجاهد لنصرة العقيدة وتبليغ الدعوة، ونشر مبادئ الدين الصحيحة. أخطر عدو على الكفر والشرك والوثنية والنفاق وحلفاء الباطل. إليه يعود فضل انتشار الإسلام في غرب القارة دون غلو أو تفريط أو إفراط.

أمّا الإنتقادلات التي وجهت على نسبه، وشخصيته، وشرفه، وشرعية جهـاده، فتلـك معقولة عقلاً ونقلاً (إنّ الرسول بقدر المرسل إحتكم) وقوله تعالى في التفـصيل : {مـا يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك}. أمّا إذا قارنا الإنتقادات بالأمداح أنسانا الطـرب والنشوة مرارة وقع سهام الناقدين :{ولله العزّة ولرسوله وللمـومنين ولكـن المنـافقين لايعلمون}.

مراسلات شيخ عمر الفوتي رضي الله عنه

تتعلق أهم مراسلاته بالمفاوضات، والوساطة لإصلاح ذات البين، وتحرير المعاهدات والإتفاقيات عقدًا وإبرامًا ونقضًا بين جانبين، أو أطرافٍ شتّى، والشيخ خبير، عبقـري، في هذه المجاملات ومشار بالبنان. بالنظر إلى ثقافته، وواسع إطلاعه، وعمق إدراكـه، وتمكنه، وفهمه الدقيق لمشاكل عصره، لم يكن ليقارن بأهل زمانه فـي أي مجـال، أو يداني بأحد في ميدان من ميادين العلم، والفن، والخبرة، والسياسة، والإجتمـاع، وقيـادة الجماهير، وإستقطابهم، وتحريضهم، وحثهم، وتبئتهم، وتحريك هممهم، وحملهم على قبول أو رفض شيئٍ بالجملة.

كان ماسكا بناصية البيان، والبلاغة، وسيدًا كريمًا متصرفًا بالمعاني والبـديع، كمـا يشاء، فيما يشاء، ولايباري أو يُواجه في مِرَاسٍ، وله فنه الخاصّ، وأسلوب متميز بالدقة والوضوح، والشمول يؤدي المقاصد ويوصل المهنى، دون إسهاب أو إسراف أو إطناب، ويمكن ملاحظة هذه الدّقة في جميع مراسلاته وفي مختلف المجالات.

وكان يرسل وفُودًا يحملون إلى الشخصيات والجهات رسائله وكان يختارهم، ويعتني بهم، من حيث العلم، والحلم، والهندام، واللياقة، والأدب والشجاعة والـسماحة والإقـدام والإقبال، والسهامة، وحسن المجاملة، وسرعة الحركـة، وتفهـم الظـروف، ومعرفـة انتهازها بالكيفية الأمثل. وقد بعث بالشيخ أَلْفَا خَالِدُ، إلى أمير دولة مَاسِنَا، أحمد أحمـد، سنة 1861م الموافق 1277 هـ، برسالة يدعوه فيها إلى الحـوار والمـصالحة والتـآخي والتناصر والتآزر، والتعاون، والتكافل حسب مبادئ الدين. فرفض أحمد أحمـد جميـع مقترحات الشيخ، رفضًا باتًا، غير ملائم، وبعيد عن المجاملات الديبلوماسية. الشيئ الدال على قلّة خِبْرَتِهِ في السياسة، وفنون قيادة الجماهير، والمداهنة، والتحـصّن، والتحـرز

لحماية الأمن، وإثبات السكينة والإستقرار. قال شيخ عمر في رسالته لأحمد أحمد : " إننا لانقاتل المسلمين ولاالمومنين، بل، المشركين وعبدة الطاغوت والأصنام فقط".

ويعني بالمومنين اليهود والنصارى، الذين يقبلون دفع الجزية والرسوم، ويخضعون للسلطة الإسلامية، ويحترمون النظام العام السائد في المجتمع. ويقصد بالمسلمين، أهل الحقيقة المحمدية الإبراهيمة التوحيدية وكان ردّ أحمد أحمد عنيفًا، راجفًا، مشوبًا بالسّباب، والشتائم، والتهديدات والعتاب، وبعباراتٍ لاتليق بمثله، وبالأحرى أن ترسل إلى مِثْلِ شيخ عمر الفوتي.

وقد بعث برسالة أخرى إليه، على رأس وفد هامّ، قال له فيها : " إعلم أنّك خالفتَ فينا أمرَ الله ورسوله، وتركتَ نهج السلف الصالح، وتآخيتَ المجوسَ وحالفتهم في محاربتنا" وكانت العبارات موجزة، محددة، واضحة، ودقيقة، وفي منتهى الرزانة، ولاتمسّ الشرف أو تهين الكرامة أو تُذِّلُ لأنها تُخاطب العقول، ومُوجهةٌ إليها فقط.

إنّ شخصية شيخ عمر، وعلومه وثقافته وخبرته جاوزتْ بقرون وأجيال، شذاجة هؤلاء البدائيين الذين لم يُمارسوا قطّ معني القيادة، ولم يخوضوا غمار حربٍ ضروس، بالمعنى الفني، وما كانوا مطّلعين بما يجري في العالم لإنعدام الصلة والمواصلات ووسائل الإعلام. بينما كان شيخ عمرمَجْمَعًا لعلوم العصر محيطًا بما يجري ملمًا، مستوعبًا للخبرات، حديث عهد بالمشرق حيث بقي أربع سنين، وحيث قام بجولات عَبْرَ أقليم الإمبراطورية العثمانية0 إنّ المدة التي مكثها شيخ عمر بالحجاز أكسبتها خبرةً ومهارةً قَلَّبَتْ حياتَه ورُؤيتَه وبرنامجَ تطبيقاته، رأسا على عقبٍ، وكانت لديه من المكاسب، والخبرات، والفنون، والمعارف، والتجارب، مالم تكن بحسبان. ولم يكن معاصروه قادرين على فهمه ومجاراته قطّ. وهكذ، قد أرسل إلى أهالي مدينة سانتلويس عاصمة البلاد حينئذ، برسالة يحرضهم فيها ويعظهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقال : " في مضمون رسالته المؤرخة سنة 1847م : "يا أهل المدينة إنّ الله تعالى قد نهاكم عن موالاة أهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث قال : {ياأيها الذين آومنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم إلى بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إنّ الله لايهدي القوم الظالمين} (المائدة، الآية :50). ويلاحظ هنا، للأهمية، أن قتال أهل الكتاب

بأسباب دينية أو عقيدية تختلف مع قتال المستعمر وأهل الكتاب المقصودين أمثال (فيدربه) ليسوا إلامستعمرين، مستغلين، باعة الشرف والكرامة الإنسانية وطغاة بغاة.

هذا النداء لم يلاقِ قبولاً منهم لأن المستعمرين كانوا متمكينين منهم وأعوانهم من السنغاليين كانوا أقوياء ماهرين نشطين وضدّ الشيخ. وقد وجهوا إليه إنتقادات وطغاة فتّاكة وسهامًا نفّاذة، ساهمت في تخريب ومنع قيام دولة إسلامية عمرية في البلاد. وفي نفس السنة، قابل شيخ عمر بحصن مدينة (بَكِلْ) السيد (كَرَامُو) حاكم مستعمرة السنغال، معه معاونه العسكري النقيب (بُولْ هُولْ) والمسؤول عن شؤون خارجية المستعمرة السيد (كَايْ) وجرى الحوار والنقاش في جوّ يسوده الوضُوحُ والصراحة والتفاهم. وقد أعلمهم الشيخ عن نيته في إقامة دولة إسلامية تمتد من المحيط الأطلسي إلى ما وراء تمبكتو، وأنه يمنح حرية المرور لقوافل التجارة والأشخاص وحرية البيع والشراء، وتأمين حياة الشعوب كما يمنح لأوربا حقّ بناء منشآت تجارية هذا ضمن إتفاقيات مبرمة معهم بموجبها يدفعون الجزية والرسوم للدولة كأجانب ورعيا في حمايتها، وتكون العلاقات ودية. وأعلن لهم أن أوربا يمكن أن تعتبره صديقًا، إذا نجحت الأهداف التي يرمي إليها.

هذا غاية الوضوح والصراحة، وقد وافقوا على مقترحاته جملة وتفصيلاً ولم يعارضوه. والواقع أنهم كانو يضمرون العكس، ولكنهم أمهلوه ولم يقدموا بمحاربته فورًا، بل إنتظروا فرصة هوان جيشه وضعف بعض مقومات دولته فانقضوا عليها، واغتنموا مكاسب جهاده بضم جميع الأقطار التي حررها إلى مستعمرة السنغال ومالي قسرًا كعادة الإستعمار في جميع أرجاء العالم.

وبعد هذه المقابلة وجه رسائل إلى أئمة ووجهاء فوت طورو، دعاهم فيها، وحرضهم للجهاد، وحثهم للتعبئة والهجرة إلى الله، وأعلمهم أنهم من طور سيناء، وأنهم من بقايا نسل إبراهيم أبي إسماعيل، وأنهم ورثوا الكتاب والحكمة، والجهاد في سبيل الله، وأنهم أحقّ الناس وأولاهم من أن تكونوا جند الله، وأنصار رسله وأتباع أوليائه. وكانت الرسالة أو الدعوة نثراً ونظمًا ومنها هذه الأبيات التي نوردها كسند، وهي من كتاب أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة شيخ عمر للشيخ موسى كمرا. يقول في مطلعها :

بنى فوت جيئوا مسرعين لسعدكم** تنالوا الذي قد نال قتلا من الخلّ

بنى طور سينا فيه كان أصولكم لأجل جهاد جئتموا فوت بالذأل بنى طور أصـــحابي خيار وسادة وهجرتهم لله خالقنا الـــعـــــــدل وهم جند مولانـــا وحـــزب نَبيِّنَـــــــا فاسعد بهم والكهل في ذلك كالسخل

أجيبوا تنالوا فوق ما نال كل من اجاب سليـــمان الذي قـــام بالـــنبل

أجيبوا بإخلاص وحسن طوية ولايصرفنكم شدة الأمر والشكـــل

ليست الأبيات مرتبة كما كانت في الأصل، وإنما هذه مختارة من القصيدة للإستدلال فقط. وقد اتّبع الشيخ، وأجاب لدعوته جمع غفير قُدِّرَ (40) باربعين ألف فارس من أبناء فوت الباسلين، وامتنع جمع غفير أيضا عن إتّباعه وانقسموا بين متنصّلين، ومُتـــسكعين، مُتبرّرين، ومُتقاعسين، ومُعارضين، وناقدين، مُهاجرين، ومُتآمرين، محاربين وهلم جرا.

المهمة كانت صعبة وشاقة والمستعمرون وممثلوهم كانوا عـــارفين، واعـــين بهـــذه الحقيقة، ومدركين أهميّتها من نواحٍ شتىً، ولذلك أمهلوه ريثما تثمر، وتيْنَـــعُ، لينقـــضوا عليها خطفًا، وغصبًا، وسلبًا ونهبًا، وكان ذلك سنة 1893م، لمّا أســـقطوا دولـــة مَاسَـــينَا وضمّوا أراضي دولة مالي كلّها إلى أراضي المستعمرات الفرنسية. وكان الأمير (عاقب 1838- 1908م) ابن شيخ عمر من زوجته البرنية آخر ملك بها.

وصارت مالي مستعمرة فرنسيةً حتى استقلت سنة 1960 مع باقي المستعمرات.

وفي مجال الوساطة والتوفيق وإصلاح ذات البين كتب قصيدة طويلة جمع فيها مبادئ السلوك والأخلاق وأقيم والمثل وسماها بتذكرة المسترشدين، ويمكن تعداد أبياتهـــا بعـــدّ حروف آيتين مدينتين من سورة المنافقين وهما قوله تعالى : {يا ايها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولائك هم الخاسرون. وانفقـــوا ممّـــا رزقناكم ا من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصـــدق وأكن من الصالحين} (المنافقين، الاية : 9 - 10).

ويقول في مطلعها :

يقول فوتي وذاك الأفقر الكدوى إبن سعيد عمر

الحمد لله الذي توحدا في ملكه كفّر من تجحدا

وقد كتب هذه القصيدة قبل سفره إلى الحجاز، فلما وصل المدينة المنوّرة أعاد نظمها ثم أضاف وحذف بعضًا منها حسب مقتضى الحال والظروف ويبدو أنه كان متأثرًا نفسيًا بالحروب التي كانَتْ تجري بين الحوس والبُرْنُ بنيجيريا، وكـــان متزوجًـــا بـــالقبيلتين، بالسيدة عائشة من اسرة الشيخ عثمان دان فودي، وبالسيدة مرية من شيخ أحمد البرنـــي والدتا أحمد شيخ والعاقب. وقد ذكر عدة آيات وآحاديث منهـــا : { وإنّ طائفتـــان مـــن المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيـــئ إلى أمر الله} (الحجرات : الآية 8).

وحديث أبي الدرداء رضي الله عنه : " ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة قلنا بلى يا رسول الله. قال : إصلاح ذات البين". والقصد منها التوفيـــق بـــين المحاربين المسلمين وقد بقي حوالي ثمان سنين يسعى للإصلاح بينهم، وتقريب وجهات نظرهم، ولم يوفق ثم إنه عزم على تركهم وسافر توًّا مع أهاليه إلى الحجاز ولم يعد إليهم إلا بعد مضي أربع سنين من سنة (1828 - 1832). وكتب قصيدة أخرى في هذا الخصوص سمّاها بالنصح المبين ومستهلها :

وقال باسم ربه الفوتي عمر　　الكدوى إبن سعيد مافتخر

الحمد لله الذي قد أوجـــبا　　إصلاح ذات البين ثم هذبا

نفس الذي يصلح بين الناس　　وصار طاهرا من الأدناس

طهارة تهديه للأنصـــــاف　　في ذلك الإصلاح للأرجاف

عدد أبياتها (197) بيتًا، حسب حروف آيتي سورة الحجـــرات : { وإن الطائفتـــان مـــن المومنين إقتتلوا فأصلحوا بينهما إلى قوله لعلكم ترحمون }(الآية:).

ويبدوا أن محاولات شيخ عمر باءت كلها بالفشل، ومع ذلك فقد انتهت هذه الحـــروب بما انتهت بها جميع الحروب القبلية، وهي إستعمار القبائل المتحاربة مـــن قبـــل عـــدُوٍّ خارجيٍ، أقل رحمة، وأكثر عنفاً وهمجية وسراشة وهكـــذا داهمـــتهم قـــوات إنجليزيـــة واستعمرت البلاد حتى سنة 1952 حيث حصلت نيجيريا على إســـتقلالها تحـــت نظـــام فيدرالي وظلت حتى الآن تترنح في نزاعات قبَلَيّة، دينية، زرعتها قوات الإستعمار فـــي

البلاد لتعطي سلبيات ثمارها، وقد تدوم طويلا في ذلك الجزء من غرب قارة إفريقيا، حيث لم تلُحْ بعدُ في الأفق إِرْهَاصَاتٌ الأمن والسلام والإستقرار.

وقد حصلت أسوأ من هذا المصير، عندما سقطت دولة مَاسِنَا سنة 1893 م على يد قوات فرنسا الغازية المستعمرة وبقيت بيدها حتى سنة 1960م ومهما يكن من أمر فإن الجميع يقرّ بعظمة شيخ عمر المجاهد الأكبر ويثنى عليه، فالإسلام والمسلمون مدينون له بالشكر الجزيل لما قدم لهم من جزيل خدمات، وجسيم أعمال، وعظيم منجزات لم يقم بها أحد قبله أو بعده في القطر. وشهد الأصدقاء والأعداء بها كل حسب رؤيته وتقديره لمواقفه.

ونورد بعض هذه الشهادات لعلنا نقف على بينة من شرعية جهاده أو العكس لأن المؤيدين والمعاندين كانوا متفرقين، متشتتين، منهم المسلمون ومنهم المشركون والماجوس، ومنهم علماء، ومنهم جهلاء. وكان ممثلو الإستعمار من جهة طائفة المعارضين كما سنرى في السطور الآتية :

الشهادات حول جهاد شيخ عمر وشخصيته

قال الكاتب الفرنسي والمؤرخ المشهور سُلِيهْ : Soleillet في كتابه ، عن تاريخ غرب قارة إفريقيا : إن شيخ عمر الفوتي لم يحارب من أجل ثروة، أو جاه، أو ملك لأنه لو أراد السلطة، والغنى، لكفته منَاجِمُ ذهب (تَمَّبَا، وكُفُنْدَي، وبُورِي) لبناء صرح مُمَرَّدٍ من قوارير ولكنه كان سيفًا سلّه الله ليذّلَّ به الكفر ويرفع به الإيمان.

وقال الجنرال فيدربه، طاعون إفريقيا : إنه كان ظالمًا طمّاعًا مخربًّا، لايبقى ولا يذرحيًّا أمامه، وأنه كان ينوي إنشاء دولة تمتدّ من المحيط الأطلسي إلى تُخوم مدينة تَمْبُكْتُو بمالي.

" ويجاريه الشيخ العلامة قاضي القضاة محمد سك بن مقداد، ويساطره الرأي، ويذهب إلى أقصى من هذه التمويهات قائلاً : إنّه كان مجهولا في حلوار، ومطرودًا من أهله، وقد أكسبه سفره إلى الحجاز بعض معلومات تافهة، وتبعه الجهلة، واعتبروه نصفَ إله، وقد طمع في السلطة وحارب من أجلها، وطردته فرنسا من كل حدبٍ وصوبٍ".

ويعتبر هذا النقد العنيف من هذه الشخصية معقولا غير مقبول، وعليه فلا يُعْتَدُّ به، إذ ليس على مكره إِلْزَامٌ، وقوله الحق : {إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان} (النحل، الآية :). ودافع عنه الشيخ محمد الحافظ التيجاني المصري في كتابه المسمًى :(الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التيجانية بغرب إفريقيا) وقال : إنّ أمير مَاسِنَا حفر بئـرًا لأخيه ووقع فيه، وسلّ سيفً البغى وقتل به، وأنه مارق من الدين".

وبهذا أقرّ شرعية جهاد شيخ عمر، دون إطناب وسردٍ أو أَخْذٍ وردٍ.

ولهذا أثنى عليه العلامة المقرئ أبو الفداء، الشيخ الحاج أحمد باه وقال عنه قصيدة لم يقل بمثلها أحدٌ بعدُ، من حيث الجمال والكمال والجلال، والصدق، والحسن، والبلاغة، والبيان، والفصاحة، وأورد بعض أبيات منها غير مرتبة للإستدلال والإِيناسِ :

سلام للديّار الخـــالـــيـــات	وأيام مضيْن مسوّمـــــــات
أجبناكم أيا فاروقُ عـــمــر	بدعواتٍ لكم متــتــالــيات
لقد اسمعت لو ناديت حــيًّا	لقد سمعوا عدا المتغافلات
أيا فاروق عمر الوقت جئنا	بنيَّاتٍ ثقات صـــــــادقات
دعوت لفوت جفلى في أمان	ومن يأبى النَّصَائِحَ خالصات
سوى غمر دنيّ الطبع نـــادٍ	وعن الحور الحسان القاصرات
متى ماقال مشتاق هـــياما	ســلام للـــديار الخــاليات

ولد العلامة الحاج محمود باه بفوت طورو سنة 1919م وكان مُدَرِّسًا ومفتــشًا للتعلــيم بجمهورية موريطانيا الإسلامية. ولما بعثَ بوفد من تلاميذ مدرسته إلى القــاهرة، فــي بداية الخمسينات، إتّهمته سلطات فرنسا، بأنّه باع هؤلاء التلاميذ للعرب، بهذا أعيدوا إلى البلاد، واستطاع بعضهم أو يعودوا إلى القاهرة وأكملوا بها دراساتهم. وأعــرفُ بعــضَ هؤلاء التلاميذ حيث درستُ معهم بالقاهرة، أمثال الأستاذ حسن جالُو، الذي عمل بإذاعة القاهرة كمذيع مترجم، و الأستاذ علي فوتي، وكان الأخير معنا بالإذاعة وصار فيما بعد سفيراًً. والمؤسف هو ضياع كثير من مؤلفات شيخ عمر، وكان معظمه في العقائد مثل : سيوف السعيد، سفينة السعادة، تذكرة المسترشدين، تذكرة الغافلين، وأرجوزة في العقائد. والقصد من النظم هو تسهيل حفظ القواعد لاغير؛ ومنها في الفقه : أجوبــة المــسائل،

الفتاوى، المقاصد السنية، والتقيد في خواص الحــزب الــشافعي. ويلاحــظ أن فرنــسا صادرت مكتبته عند سقوط شِيكُو سنة 1890 م ؛ ومنها التصوف : الفلاح المبين، والنصح المبين، والرسالة، والأجوبة في التيجانية، ورماح حزب الرحيم علــى نحــور حــزب الرجيم. وهذا الأخير كتاب جامع للتصوف والعقيدة، والفقه في خمسة وخمسين فــصلاً، على هامش كتاب جواهر المعاني، وبلوغ الأماني في مزايا الشيخ أحمد التيجاني، وقــد ألفه الشيخ سنة 1265 هــ أي بعد وفاة أسوته ب (35 سنة) وهو أهمّ مكتوباته.

ومن خلاله فقط يمكن معرفة شيخ عمر من جميع الوجوه معرفة يقينية.

أساس شرعية جهاد شيخ عمر الفوتي ض

الحرب شرعًا آخر وسيلة يلجأ إليها الخلق، بعد فشل المفاوضات والحوار، والشورى والمهادنات. وتلجأ إليها الجماعات مضطرة، دفاعًا عن النفوس، والأموال، أو ما يسمّى في مصطلحات القه الإسلامي بالجواهر الخمس ، وهي : الــنفس، والنــسل، والعقــل، والدين، والمال.

تسبق الحروب إرهاصات، ومناوشات، ومناورات ومناقشات، وإنذارات أو تهديدات، أو تحرشات، واستفزازات تنبئ بأن الخطر يوشك أن يقع، فيقوم أصحاب النيات الحسنة بمداركة الموقف وإصلاح الأوضاع، أو ذات البينن بإعادة الأمــور، والعلاقــات إلــى نصابها، وما كانت عليها، بإزالة أسباب، وعوامل التّوتر، وموجبات النزاعات، والقلــق، والخوف، والرعب فإذا لم تكن هنالك جهات، أو شخصيات ذات نفوذ وجيهة، وصــوت مسموع، أوسلطة قاهرة، فإن الخطر ولا محالة يقع ويحدث خللاً كبيرًا في المجتمع، لأن التوازن، والإستقرار، والطمأنينة يرتفع ويسود الفوضى والبلبلــة، والفــساد والخــراب والإخلال في نظام المجتمع العام، ويتعطل الإنتاج.

درءًا عن النظام العام، وحماية القيم والجواهر، شرع الإسلام الحرب دفاعًــا عنهــا، لأنها قوام الحياة ومصداقها.

والمعروف تاريخيًا هو أن الظروف الزمكانية التي كانت سائدة في غرب إفريقيا، في الحقبة الأخيرة من حياة شيخ عمر، كانت حالكة مضطربة، وسيئة؛ تسودها الفوضــى، وهتك الحرمات، والتعدى على النفس والأموال بالنهب، والغصب، والسلب، والاسترقاق،

واستنزاف جهد الإنسان عبثًا. وكذلك نزعُ الحريات ظلمًا وعدوانًا، وأسوأ من كل هــذا، إنتشار الهمجية والجحود، والكفر بنعم الله وآلائه، وماكان القطب ليرضى بهذه الأوضاع المُتَرَدِّية، المخافة لرضى المولى وسنة نبيّه ص. يقول تعالى : {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها إسم الله كثيرًا، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} (الحج ، الاية : 38-39).

وقال :{ قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولاتعتـــدوا، إن الله لا يحـــب المعتـــدين، واقتلوهم حيث ثقفتموهم، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتـــل. ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام، حتّى يقاتلوكم فيه، فإن قاتلوكم فاقتلوهم، كـــذلك جـــزاء الكافرين، فإن انتهوا فإن الله الله غفور رحيم. وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله، فإن انتهوا فلاعدوان إلا على الظالمين} (البقرة ، الآية : 189-192).

وقال في سورة التوبة : {قاتلوا الذين لايومنون بالله ولاباليوم الآخرة ولايحرمون مـــا حرم الله ورسوله ولايدينون بدين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهُمْ صاغرون} (الاية 28) وقال أيضا في نفس الـــسورة : { يا أيها الذين آمنوا قـــاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين} (الآية: 122)

وقال عليه السلام في جوامع كلامه :"من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطه فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان". هذه هي الأصول الشرعية التـــي حرضت وحثت المومنين على الجهاد ضمانا ودفاعًا عن النفـــوس، والأمـــوال، والقـــيم العليا، وإقامة العدل والطمأنينة، لسيادة الفضائل، ومحامد الأخلاق. وإليها يشير في قوله ض بكتابه : تذكرة المسترشدين :

أما جهاد الحرب فأعلم أنهفرض كفاية وعظم شأنه

تبًّا لمن مكَّن في البـــــلاد ولـــم يغيـــر منكر العباد

القرآن دستور المسلمين، وسندهم، ومرجعهم، والحديث فقه القرآن وشـــريعته، بهمـــا يتمسك، ويَهْتَدِى، ويستنير المجتمعُ الإسلامي، وهما يحثان الخلق ببذل الجهد، والـــنفس،

والمال دفاعًا عن القيم،، والمثل العليا. يقول تعالى :{ ياايها النبى جاهد الكفـــار والمنـــافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير} (التحريم، الاية : 8).

بالرجوع إلى القرآن والحديث وإلى الواقع التي حدثت بـــين شـــيخ عمـــر والملـــك الماجوس (يِمْبَاسَاغُ) ملك (تَمْبَاكُنْدَا) والملك (جِلْفُو) ملك (شِيكُو) وحليف شيخ أحمد وهكذا الملك (علي دَامَنْزُو) حليف أحمد أحمد ملك مَاسِنَا، واستنادا على ورقة العمل المنبثقة من مقابلة شيخ عمر بحض (بَكِلْ) مع حاكم مستعمرة سنغال (كَرَامُو) بحضور (بُولْ هُـــولْ وكَايْ) سنة 1847م وبالعودة إلى المراسالات التي جرت بينه وبـــين الملـــوك والأئمـــة، والمستعمرين، والوجهاء، وعامة الشعب، وبالإستقصاء، والبحث النزيه من مؤلفاته نظًـــا ونثرً في مختلف مجالات العلم والعمل يَسْهُلُ فهم مواقف شيخ عمر الفزتي، والوقـــوف على سند شرعي للحكم على جهاده سلبًا أو إيجابًا. أضف إلى ما سبق شهادات الأصدقاء والأعداء له أو عليه.

فلو جمعنا كل ما قيل عنه، وعن جهاده، من بداية حياته إلى لحوقه بالرفيق الأعلـــى نجد حصيلتها في قوله تعالى : {ما يُقَالُ لك إلاّ ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليمٍ} (الفصيل، الآية : 42).

المومنون المخلصون، والعلماء المنصفون، وحتى الأعداء المقسطون، أثنوا بإســـهاب عليه، وأثبتوا شرعية جهاده وقال العالم الفرنسي سُلِيهْ عنه : "إن شيخ عمر سيف ســـلّه الله ليُذِّلَ به الكفر" وما بعد الحق إلا الضلال. ولا أعلم أحدًا من بـــين علمـــاء الإســـلام النزهاء الذين يُعتَدُّ بهم من أنكر وقال بعدم شرعية جهاده. أمّا العكس، فإنهم بالغوا فـــي مدحه والثناء عليه، وأطنبوا في شخصه مدحًا وطربًا وغناءً.

ويحسن بدءًا أن أشير إلى أنه ض. كان أعلم أهل زمانه بمقاصد الشريعة، وأكثـــرهم خبرة وأوسعهم إطّلاعًا بما كان يجري في العالم، وأعمقهم فهمًا، لمجامع كلم رسول الله ص، وأصدقهم تقيُّدًا بالسنة، وعملاً بالقرآن وإيمانًا بالله، معرفـــة بأســـمائه، وصـــفاته، ورضى بقضائه وقدره. والحق هو أنه كان شمس زمان العصر، ومن العبـــث إســـتنكار تأثير الشمس على ما تحيط بها. ويعتبر ضربًا من المجازفة، محاولة القدح من شـــرفه، والنيل من مرتبته، ومقامه، والمسّ بولايته البينة كالشمس ضحًى. فالقيل والقال، ينتهـــي

دائمًا بأنه عظيم من عظماء التاريخ، ووليّ من كبار أولياء الله، وعبقريٌ مـــن عبـــاقرة العلم والعمل والجهاد، ولايداني بسابق أو بلاحق في عصره رضي الله عنه.

مجال جهاده رضي الله عنه

إنّ جهاد شيخ عمر الفوتي إمتداد طبيعي، معقول، ومقبول شرعًا لجهاد رســـول ص. هو أُسوتُه، وقدوتُه، إذ كان خليفة من خلفائه صلى الله عليه وسلم. وقد جاهد بالعلم تعلّمًا وتعليمًا، وتنقَّل بين فحول العلماء في شتّى أقطار قارة إفريقيا، وحلّ وارتحل بين القارات حتّى نال من العلم قسطًا وافرًا وصار بحقّ بحرًا هائجًا لايدرك غوره :

وجاهد بالقلم كتابة وتأليفًا، نظمًا ونثرًا وشعرًا وشرحًا وتهميشًا حتى صار في المجال فريد عصره، وأقرّ بالعمادة ورئاسة القلم الكتّاب البيض والسود،

وجاهد بالسيف مضطرا دفاعًا عن نفسه، ودينه، وقيم الحياة والمثل العليـــا، عنـــدما اعتبره الملك (أَلْفَا يحيى بغينيا) شخصية غير مرغوبة فيه بإيعاز من فرنـــسا، وهـــدده بالطرد الملك يِمْبَاسَاغُ من أراضي دَينْغَرَايْ حيث بنى قلعته ،

وجاهد بالسبحة تربية وتزكية وترقية بالهمة، والحال. وكان رضي الله عنه خليفـــة الشيخ أحمد التيجاني بعد وفاة الشيخ محمد الحافظ في غرب إفريقيا، وكانت لديه السندات والوثائق المؤيدة لشرعية خلافته زيادة على مكانته وولايته، وسلطانه العلمية، والدينيـــة ولم يبق إلآ الإعتراف به سياسيًا. ومـــن المـــستبعد أن يقـــرَ أو يعتـــرف المجـــوس، والمشركون، وحلفاؤهم بمثل شيخ عمر الفوتي سياسيًا والمعلوم هو أن السلطة الـــسياسية هي المكملة، والركن الأساسي لقيام صرح دولة إسلامية في غرب القارة، وقد بذل جهدًا جهيدًا في سبيل إقامتها، ممتدة من المحيط إلى ما وراء رمال صحراء غرب القارة. وقد استطاع في ظرف إثنتي عشر سنة من تحقيق ذلك، وتمّ محو الشرك، وإبادة الأوثـــان، والأصنام، وطرد المنافقين وإقامة العدل، والدين الصحيح، في أراضي غـــرب القـــارة بالمعنى الحقيقي ولو لا جهاده لشكلّ المجوس أغلبيةَ سكان غرب إفريقيـــا. وقـــد جمـــع الوسائل المناسبة، واستخدمها كما يليق لإستتباب الأمن، ونشر العدل والحق وكان للسيف الدور البارز والطليعي في هذا المجال، ولذا نضطر لشرح إستعمالاته السيف والـــرمح، والبنادق، والبارود، والرصاص لنصرة الحق والعدل والدين.

هل الشيخ عمر يشارك في عمليات الحرب ضربًا ورسقًا بالسهام وطعنًا بالرماح؟ أم يقود العمليات وهو في خيمته، وبيده الخطة وكيفيات تنفيذها؟ كرئيس أركان الجيش، كان يقود، ويوجه ويرشد، وينفذ العمليات نفسه وبحضوره في ساحة الوغى محاطًا بكبار أعضاء قيادة الجيش، كما كان بالضبط أثناء حياة الرسول ص. وكان ض، يشرف بنفسه على تنفيذ الأوامر حسب خطَّةٍ مرسومة منه، وكانت له ثكنة حربية ثرية فيها أنواع الأسلحة التي كانت متوفرة في السوق مثل السيوف، والرماح، والسهام، والبنادق، والبارود، والرصاصات. وقد اكْتَسَبَ بسوق غامبيًا كمية كبيرة جدًا من دخيرة الحرب، وبالأخص البارود والبنادق، وكانت غامبيا سوقًا رائجًا للأسلحة، يرتادها الملُوك لشراء حاجاتهم منها. وكاان الشيخ قد جمع كميات هائلة من مناجم (تَامْبَا، وكُفُونْدِي وبُورِي) الذهبية بغرض شراء أسلحة فقط. بهذه الأسلحة التي كانت لدى خصومه أيضان حارب الشرك والكفر والرجس ومحا آثارها من غرب القارة، وبنى للإسلام ديارا لم يسبق لأحد أن قَامَ بمثله، ولم يُرْزَقْ للاحقٍ أن يقوم او ينجز بشبهه. وسنده في إِعْدَادِ قوته، وشراء عدته، وعتاده هو قوله تعالى بسورة الأنفال :

{ وأعدوهلم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيئ في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لاتظلمون} (الآية :59).

لو كانت ثمة أسلحة ذرية، ودعت الضرورة لإقتنائها واستخدامها لفعل دفاعًا عن النفس، وتأمينًا للحياة، وضمانًا لسير برامج مقر قيادته، وقد بالغ المادحون حتى قالوا في شخصه أساطير وملاحم لاداعي لها ولكن ذلك لاتقدح من عظمة دوره وقيادته ورئاسته وولايته وعظمته التاريخية، والدينية. أما القول بأنه لم يكن يملك سيفًا، أو رمحًا أو بندقيةً أو سلاحًا، ففيه تجاوز وتسامح، فوجه التحقيق هو أنه كان يملك ثكنة عسكرية ثرية جاهد بها العدو، وما كان قطّ يجاهد بالسبحة وخوارق العادة كما يتصور كثير من الناس.

لو كانت السبحة سلاحًا فعّالاً للحرب لأستعمالها الصحابة ض، وما ورد في نصّ من القرآن والحديث، إستعمال خوارق العادة لقتل الأعداء، وقوله تعالى بسورة الأنفال :{وما

رميت إذ رميت ولكن الله هو رمى} (الآية : 17) تصوير لقولته ص، بحرب بدر عندما شاهد حشود جموع الكفار المشركين، فقبض قبضة تراب، ورماهـا قـائلا : " شـاهت الوجوه". تأويل هذه التصرفات غير سهل لغير المتبحرين في علم الشريعة والحقيقة، لما فيه من إحتمالات الوقوع في الحرام، واستدراج ضعاف العقول والإيمان إلى معتقـدات غير مبنية على أصول من الكتاب والسنة.

الأنبياء والرسل، ما كانوا يملكون سبحات، وما استعملواها قطّ، ومـا أمـروا بهـا. فالسبحة أصلاً من البوذية الهندية، والكنفوشـيوش الـصينية، والماجوسـية الفارسـية، والنصارى، وليس لِلسُّبْحَةِ أصلٌ في دين الإسلام الحنيف، فهي دخيلة فيه. وقال ابن عمر ض : {رأيتُ رسولَ الله ص. يعقد التسبيح بيمينه" ولو كان يملك سبحةً لأستعملها. مـا كان هو وصحابته يملكون سبحات، وبالأحرى يُفكرون مواجهة الأعداء بها، هذه الدعوى إستخفاف كبير بمهمته وجهل عن السبحة كوسيلة يمكن الإستغناء عنها ولا دور لها فـي الوغى، وساحات الحرب. لو كانت السبحة وسيلة للحرب ما كان محمد ص وصـحابته يخوضون عشرات المعارك بالسيف والرماح وما جرح بسهم في معركـة أُحُـدْ. أمـا السيوف والأسلحة التي إغتنمها الغزاة الفرنسيون لما أسقطوا شِيكُو سنة 1890م، وأسقطوا بعدها حمد الله سنة 1893م وغنموا من جملة الغنائم، مكتبة شيخ عمر الفـوتي ونقلـوا سبطه عبد الله طال، وسفّروه إلى فرنسا. لا يدلّ أن شيئًا من الشيخ بنفسه وقـع فـيءًا بيدهم لأن الشيخ توَفّى برُبْعِ قرن كامل قبل سقوط هاتين المدينتين، سنة 1864م، وما يقال عن أمير عبد الله طال الذي كان طفلاً صغيرًا حينئذ، لايُعتَدُّ به، ويعتبـر بعيـدًا عـن الحقيقة. الغزاة حاربوا بالتُّهَمِ والإفتراءات، ولا يزالون يحاربوننا بالخدع والمكر، ونشر الخزعبلات والأساطير.

إنّ للسيف تاريخًا حافلاً بالأمجاد والمكارم، وملكيته لايقدح من عظمة أحد، واستعماله كذلك في أغراض دفاعية مشروعة. فجميع الرسل والأنبياء وعظماء التـاريخ ، الـذين حاربه الإقامة الحق والعدل، كانوا يملكون سيوفًا للمحاربة، والقتال، وما ثبت أن أحـدا منهم ملك سبحة أو حارب بها. وهم أقربُ الخلق إلى الله، وأولاهم بالقبول والإسـتجابة عند الإستنجاد. وكان محمد ص. يملك سيوفًا بالوراثة، وبالإبتياع لأغراض الحـرب و

الدفاع عن النفس، ومن المأثور من جوامع كلمه قوله : " أنا نبـــيّ الحـــرب والرحمـــة المهداة". وشيخ عمر الفوتي، خليفة الله ورسوله سيفٌ سلّه الله ليذِلَّ به الكفر، وهو فـــي حياته لم يترك منها دقيقة سُدًى، بل عَمَّرها بالمفيد، وفيما أمر الله ورسوله.

وهو كما قال أبو الطيب المتنبى (303هــ/ 354 هــ) بكندة بلاد كوفة.

الخيل والليل، والبيداء تعرفني***والسيف، والرمح، والقرطاس والقلم

وأذكر هنا بعض أعضاء أركان قيادتـــه الـــذين لعبـــوا دورًا هامًّـــا فـــي غزواتـــه، ومراسلاته، حتّى تحقق بيده وبمعاونتهم ما أنجز من نصر وجسام أعمال، ومنجـــزات، بهرت العقول، حتى ظنوا أنه مرسل من عند الله. وهؤلاء هم : أَلْفَا عمر بيلا، أَلْفَا جيرن عباس آجَّ، أَلْفَا أحمد بوبو، أَلْفَا عمر مولى، أَلْفَا محمد علي تشام، أَلْفَا جيرن أحمد علي، أَلْفَاجيرن خالد، حامل الرسائل بينه وبين الملك أحمد وكل واحد منهم يعتبر حجـــة فـــي الشريعة والحقيقة وما كانوا يحاربون معه، لو لم يكن يطبق مراد الله في خلقه، ويبتَغِـــي رضاه في سعيه، عملا بنصوص القرآن وهدى السنة، مجتهدًا بما وهب الله له من فهـــم وحكمة رضى الله عنه. وأشير هنا إلى ان رفات الأمير عبد الله طال قد أعيـــدت إلـــى السنغال سنة 1995م من فرنسا. ومع الجثمان (518) مؤلفات منهوبة عند ســـقوط مملكـــة شِيكُو سنة 1890م بيد (الكولونيل أرشينارد) والفضل في ذلك يعود إلى الخليفـــة جِيـــرْنُ منتقى أحمد منتقى سبط شيخ عمر الفوتي المقيم بدكار حليًا. والحمد للّه ربّ العالمين.

شيخ عمر الفوتي سلطان الدولة الإسلامية

حاول شيخ عمر الفوتي مُجاهدًا أن يقيم دولةً إسلاميةً كبرى تضم معظم أقطار غرب قارة إفريقيا، تمتد من المحيط الأطلسي إلى تُخُوم دول وسط وشرق القارة، خلافًا لما يقول كثير من المؤرخين المفرنسيين. لو عمّر، بعض سنين إضافية، لضم إلى الممالك التي أقامها أقطارًا أخرى، وما كان لتوقف سَيْلَ تياره الجارف، إلا أمواج المحيط الهادر. فقد ضمّ مملكة (تَمْبَاكُنْدَا وكُفُنْدِي وبَامْبُكْ، وشِيكُو، ومَاسِنَا، وتَمْبُكْتُو وبعض أجزاء من غينيا وفُوتَ طورُ)، تحت إمرة دولة إسلامية موحدة. وعين على رأس كل منها أمير يحكم عليها حسب نصوص الشريعة الإسلامية. وهذه ثاني محاولة يقوم بها أحد عظماء فوت طورو، إذ سبقه في المجال الإمام المقتدر، سليمان بَالْ، باني دولة الإمامية التي دامت من سنة 1776م إلى 1891م، عنما غزتها فرنسا واحتلتها عنوة وضمتها بالقوة إلى باقي أقاليم مستعمرات السنغال في السنة المذكورة أعلاها.

ويلاحظ أنّ الأجزاء التي حررها شيخ عمر ووحدها، وأخضعها لسلطة إسلامية موحدة أوسع بعشرين مرة على الأقل من رقعة دولة الإمامية، وقد أعلن هذه النية، وأطلع خطته على الحاكم (كَرَامُو) قبل شروعه في وَضْعٍ لبنات الدولة، وتعبئة الجماهير، واستقطابهم، لتعمير الأرض ووضعها تحت سيادة الإسلام. وقد سبقهم الملك (مَانْكَا موسى) أثناء قيام إبراطورية مالي، وقد قام هذا الملك بأداء فريضة الحج سنة 1324م ، وكانت دولته إسلامية بما في الكلمة من معنى، وقام المرابطون بتخريبها، والسعديون فيما بعد أجهزوها، في أواخر القرن 15م. هذا، وقام آخرون بمحاولات مماثلة باءت كلها بالفشل، أمثال الشيخ عثمان دان فودي، وسَامُورِي طُورِ، وأَلْفَا يحيى، والإمام مَبَهْ جَغُ بَاهْ، وشيخ أحمد، ولم يكن تفكير الشيخ البكي، والحاج مالك سه، والحاج عبد الله انياس، بعيدًا عن هذا النهج الإسلامي. لأن هؤلاء من معدن واحد، وكانوا يخدمون لهدف واحد. والمؤسف هو أن فرنسا نحجت في تدمير هذه المحاولات وفي إماتة كل أمل لقيام دولة إسلامية في غرب القارة لمحو آثار هذه الفكرة الإسلامية ودكّها وإزالتها من الوجود وضعت فرنسا خطة مبرمجةً طويلة المدى، القصد منها ربط المنطقة بالفكر والثقافة، والحضارة الفرنسية إلى الأَبدِ، وتقتضي تطبيق هذه الخطة إلىوضع برامج سياسي،

ثقافي، واسع، وهوما يسمى بسياسة الغز الفكري الثقافي، زيادة على الهيمنة الإقتصادية والعسكرية، واستصدر الملعون الجنرال فيدربه المستعمِرْ، وتحل محل اللغــة العربيــة. ولما صدر المرسوم قام بتمدمير جامعة (بِيرْ) الإسلامية ودمر معها أربعين الــف (40) مدرسة قرآنية، ومنع تعليم القرآن والعربية في المستعمر، دون رخصة خالصة تــصدر من سلطات الإستعمار. وبنيت مدارس فرنسية زجت فيها النشئة قسرًا، ومنحت لروادها مزايا، ونفوذ، وروواتب، جعلت ضعاف النفوس فيما بعد يتسابقون لتسجيل أبنــائهم فــي صفوفها، ولم تكن هنالك أي عامل مشجع أو مناضل ومقاوم، يدافع عن العربيــة لغــة الوحي، ووعاء القيم الدينية. هكذا تضاءلت، وبدأت تتقهقر، وتتردى إلــى أن صــارت الحالة كما هي، تمثل أحلامًا مرّطَيْفُها بجنح الليل، ولم تبق من ذكراها إلا أضغاث تافهة. ولو لا عامل العقيدة، وجهاد بعض النيات الصالحة، واستمات أهل الإيمان لكانت الحالة أسوأ، لأن الإيمان، والإسلام، والإحسان، كان يهجر ويرتحل نهائيا، من غرب القــارة. وبفضل بقايا جهاد أعلام الهدى، عظماء الإسلام، وقُرَّاء القرآن، وزعماء الطرق، وقوة تأثير العقيدة، ووضوح تعاليم الإسلام، وقابليتها، ومنطقيتها، ما بَقِيَتْ لَهُ آثار في ربــوع البلاد، رغم إصرار واستمرار الغزو الفكري والثقافي بعنف أشد وأخطر. إن الأمل فــي إقامة نظام إسلامي في إفريقيا الغربية قد ولى، لأن العوامل التي كانت تؤدي إليها ماتت، ولم تعد هناك دوافع، وحوافز، بل أماني، وتمنيات، في حقيقتها، سراب بقيعة، لايعكــس واقعًا ملموسًا.

وآخر محاولة بهذا الخصوص، صدرت من المفكر العصامى، الشيخ احمد التيجــاني سه، فلو نجح حزبه في انتخابات سنة 1959م الرئاسية لكان لإسلام حظا وافرًا في شؤون الدولة.

لما أحس المفرنسون بالخطر الداهم، وهو إنبعاث أفكار الموتى من القبــور، تكــالبوا وانكبوا عليه، واتهموه بكل إفتراء، وأخيرًا رموه في السجن، ريثما تهدأ الأفكار، وتعود الأمور إلى مجاريها الطبيعية، والواقع هو أن الطبقة المفرنــسة التــي ربتهــا فرنــسا، وكونتها، ومرّستْها، ودرّبتها في قيادة الجماهير، وكبح جماح الشعوب، ودسّ الــسموم، هي التي قامت باللعب على قصبة المسرح، ولكن المسرحية كُتب سنَارْيُوها من فرنــسا، وطبقت بأيدي عملائها عمدًا أو جهلاً. وهكذ، يلزم على رؤساء الأحزاب أن يعلنوا فور

الإعتراف بأحزابهم أنهم بريئون من آثار فكرة إقامة دولة إسلامية، وأنهم لايعترفون لــه بدور خارج الجوامع والمساجد، وأن حملة ثقافة الإسلام لايشاركون في تحمــل أعبــاء الدولة إداريًا وإقتصاديًا إلا بقدر ما يخدم مصالحنا فقط. هذه التصريحات ضــرورية، إذ بدونها يكون الحزب الجديد متهمًا بالنزعة الإسلامية، وبالإرهاب، والأصالة، والتطرف، ومحاولة التنصل من قبضة فرنسا.

وقد حدث لأستاذ إِبَّ دِيرْ تشام، والإداري المهندس عبد الله جِيِيْ اللَّذَيْنِ أبديا صراحة ولائهما، وانتمائهما، وثِقَتُهُمَا بالإسلام فالكل يصرخ، ويصوت ضدهما يُتهمان، وينعتــان بالإرهاب، والإسلامية، فمن أراد أن يكسب أصوات الناخبين وثقــة الطبقــة المفرنــسة ويفوز بتأييد، ودعم فرنسا، وبإعتماداتها، فعليه أن يراود الكنيــسة بــدءًا ورجالاتهــا، ومنظمات الفَرْمَسَةَ، ويصرح بعبارات مشينة إلى الإسلام، ويــستخف بــه، وبرجالــه، وزعمائه، وثقافته، ويعطى ضمانات كافية، أنه سيظل ضدّ كلما له صلة بالإسلام، إلا في حدود ما يصلح سياسة البلاد في الخارج هذه هي الخطــة الــسياسية العامــة الدائمــة الموضوعة تجاه الإسلام من أيام الملعون فِيدِرْبَهْ إلى الآن، وقد بالغوا في تطبيقها بعــد الإستقلال.

الثاني : **إبن مقداد سك (1826 - 1880م)**

ولد محمد سك بن مقداد سنة 1826م بمدينة سانتلويس، وفيها شبّ وترعرع وقرأ القرآن من أبيه الذي كان عالمًا، ومدرسًا مشهورًا بسعة إطلاعه وعلمه، وأجاد قراءة وكتابة اللغة العربية والفرنسية، وقرأ على أيدي علماء موريطانيين لتهذيب لسانه، وتعميق فهمه، وإدراكه لمعاني لغة العرب والحسانية معًا.

شارك إبن مقداد في (22) معركة مع الجيش الفرنسي ضدّ ملوك المقاومة، ورؤساء القبائل، وأمراء موريطانيا. ويُحْتَمَلُ أنه كان من كبار ضباط الجيش أو عضوا في أركان قيادته، هذا بالنظر إلى أهمِّيته المهام التي كان يقوم بها أو يكلف بأدائها. وهي وظائف تتما شى مع مهامّ كبار الضبّاط الذين يتمتعون بهذه المزايا والثقة التامّة. وقد نال على كثير من أوسمة الشرف الفرنسية والعثمانية إعترافًا له بجليل خدماته لفرنسا وجالياتها وإدارتها الغازية، وكان بالتأكيد موظفًا ساميًا في الإدارة.

كان بن مقداد موظفًا كبيرًا من أسمى موظفي الإدارة الفرنسية المستعمرة، وقد قضّى في الوظيفة (23 سنة). وترقّى في السُلَّمِ الإدارية إلى قمّة الهرم، إنه بدأ مترجمًا، ثمّ محرر رسائل، ومنه إلى القضاء حيث إحتلَّ منصب قاضي القضاة بالعاصمة، وكان مندوبًا ساميًا، ومَبْعُوثًا مفاوضًا، ووسيطًا موثوقًا به، وسفيرًا مفوضًا فوق العادة، كانت الإدارة تأخذ برأيه في كل ما يجري في المستعمرات وبالأخص فيما يتعلق بالوساطة والمفاوضة والمراسلة، مع ملوك كَجُورْ ووجهاء السنغال، وقبائل موريطانيا وأمرائها وسلطان شِيغُو لأن المراسلات مع سلطات هذه الدول كانت فقط باللغة العربية، وساء منها، المعاهدات والإتفاقيات والصلح والهدنة، وتبادل المنافع التجارية وحرية مرور القوافل والأفراد والخبرات وتأمين الملاحة عبر النهر. كانت له يد الطولى في هذه الأمور الهامة ولا يبرم أو تُعقد دون علمه ورأيه ومشورته. وتؤخذ في الإعتبار، كلّ حكمٍ أو قرار يصدر عنه ويُنْفَّذُ فورًا. وهكذا هاجمت فرنسا سنة 1890م سلطان شيغو الذي تخلى عن عرشه ولجأ إلى البلاد المجاورة فارًّا مع بعض أهله ومؤيديه، بينما أسرت فرنسا بعضهم وقادتهم إلى العاصمة، وأرسلت أحد أولاده عبد الله طال إلى فرنسا، وأصبح ضابطًا في جيش فرنسا ومات بها ودفن ثمة، كغيره من أسارى فرنسا الأفارقة

السّود والبيض، وقد غنمت فرنسا مكتبة أحمد شيخ، واعتبرتها فيئًا تملكها شرعًا بحكم قوانين الحرب وبطرده تمّتْ السيطرة على السودان الفرنسي أي جمهورية مالي حاليًا. هكذا كان الأمر مع سائر ملوك السنغال، وزعماء الدين بها، بخلاف موريطانيا. فإنهم رغم جهود إبن مقداد وتفانيه في خدمة إدارتها لم يَهْدَأُوا ولم يستسلموا بل واصلوا النضال والكفاح والتمرد والعصيان وقتل كل فرنسي يطأ أرضهم حتّى الجلاء، ولم يكن الإحتلال تامًّا وشاملاً كما هو الحال في غيرها. وكا إبن مقداد يساطر حياته المهنية مع أولاده الذكور : عبد الله الذي قتل في بوالَ وكان برفقة الملازم مَينِتْ سنة 1887م، وتوفي سليمان سنة 1913م وتوفي عَيْنِينِهْ سنة 1941م ومات الإبن الرابع إبن مقداد الأصغر سنة 1943م وهذا الأخير لعب دورًا أهمّ من أدوار والده، وهو الذي ناب عنه في وظائفه وأثنى عليه قادةُ فرنسا، واعتبروا فعاليته، وخبرته، وتفانيه، حظًا كبيرا لهم. وكان لإبن مقداد الكبير ثلاث بناتهن : عائشة، أم كلثوم، ومريم، وهن كأشقائهم أَفْنَوا حياتهن في خدمة فرنسا، وإدارتها بالسنغال. وقد رافق عبد الله ومحمد سك وهو ابن مقداد الأصغر، أَباهم إلى فرنسا لحضور مَعْرَضٍ دولي أُقَيمَ هنالك. كما قام الوالد سنة 1860م بأداء فريضة الحج، حيث مرّ بالمغرب الأقصى، والجزائر وليبيا، في طريقه نحو مكة المكرمة. وقد قضّى عشر سنين يخدم الحكام : بُرُوتِيهْ، رُوبُو، مُوريلْ، والملعون فيدربه السفاك المجرم العقيم. ويعتبر إبن مقداد من معاصري شيخ عمر الفوتي، ولم تكن العلاقات بينهما ودية. وقد وجّه إليه إنتقادات عنيفة. وقال : إنه مجهول ومطرود، من أسرته، وقد إلتفّ الجهلة حوله بعد رجوعه من رحلته إلى الحرمين، حيث درس العربية وأحسنها، واكتسب خبرةً، واعتُبِرَ نصفُ إلهٍ، وقاتل المسلمين المعتدلين والوثنيين معًا. وصرح بأن كافة محاولاته لغزو فرنسا كانت تَّمْنَى بالفشل، وكانت فرنسا تهزمه وتُطَارِدُهُ من كل حدب وصوب، ولم يقل احد ولم يقدحْ في عرض شيخ عمر ض، بمثل هذه الإنتقادات الصارمة، وأعتقد أن وراءها أسبابًا وعللاً ومبررات مجهولاً عنها.

فتأثيرات البيئة، واختلاف المشارب، والطبائع، قد تؤدي إلى إختلاف في الرؤية ونمط الحياة وهلم جرا.

وأمّا إنتقادات الشيخ موسى كمرا، وهو مؤرخ نزيه، وكاتب معتدل وموضوعي فإنه يقول : إنّ الإدّعاء بانّ شيخ عمر الفوتي شريف ينتسب إلى البيت الهاشمي، فيه إطناب

وإسراف، وأنه لم يمت بل غاب عن الأنظار، وأنه يسكن حاليا بين مكة والمدينة فيه غلو وتعسف وتقوّلاتٍ وأساطير، واكتفى بهذا القدر. ووصف الشيخ بالغازي العنيد الحاسم، عندما أمر مئة فارس بمطاردة وتتبع أحمد بن أحمد، وإجهازه عند اللحوق به، كما فعلَ بالشيخ محمد البكاي الكنتي لمّا فرّ من وجهه عن طريق النهر. وكان على رأس الفوارس الملاحقة ألفا عمر بيلا الذي أجهزهم دون شفقة. كما وصف أحمد بن أحمد بالشجاع الصابر المدافع عن سلطانه وشرفه وكرامته. هذا الموقف من الشيخ موسى، أوسط، وأقوم، وأقسط، من موقف إبن مقداد المعادي. توفي ابن مقداد، عن عمر يناهز (64) سنة بساتنلويس، ودفن بها سنة 1880م وبَكَتْها فرنسا بدموع غزيرة، كما قام برثائه عدد من قادتها ورجالاتها، وبعثت وزارة المستعمرات رسائل تعزية، عبّرت فيها عن تحسرها وحزنها العميق، بفقدان هذا المعاون الكبير، الذي قدّم له كلّ عون وكرّس حياته في خدمتها.

الرابع : **إبن مقداد الإبن (1867 - 1943م)**

تربّى بترارزة لدى أولاد دَيْمَانْ الحسّانيين، حيث أرسله والده إبن مقداد الكبير. حفظ القرآن مبكرًا، وأجاد الحسانية، واللغة العربية، وله ديوان شعر بالحسانية، وبقي بموريطانيا للدراسة فقط (14 سنة). ولما رجع إلى سانتلويس، تفرغ واجتهد في تحصيل اللغة الفرنسية، وكان لأبيه وسام التعليم العامّ الفرنسي. وسرعان ما بلغ شأوا بعيدا في إجادتها، وأتقنها نطقًا وكتابةً وحوارًا. ويقال : إنه فاق والده فيها، وكان معروفا لدى الإدارة الفرنسية عند ما كان يتعاون معه في مُهَامّ وظيفته، لذلك عيّنته الإدارة نائبًا عن والده في الوظائف والمهامّ والمناصب ولعب دورًا أهمّ من دور أبيه في الوساطة والتفاوض، والرحلات، وتحرير المعاهدات، وترجمة الرسائل، وتحرير القرارات وقام برحلات عدة إلى أوربا، وآسيا، وزار الجزائر، والمغرب، ومن أهم معاهداته، تلك التي حررها مع الشيخ سيدي الباب بخصوص إخضاع القبائل الثائرة التي تُغِيرُ على مرافق ومصالح وقوافل فرنسا، وتنهب غصبًا كل شيئ وجدت في سبيلها. ورغم هذا الدور الذي لعبه بجانب الإدارة الفرنسية. فقد كانت علاقاته مع أمراء ورؤساء القبائل، وزعماء الدين عمومًا حسنة جدًّا، وكان محترمًا لدى الجميع. ويعزى ذالك إلى كرمه وسخائه، وحسن ضيافته إذ كان بيته مَلْجَأً للفقراء واليتامى والمساكين وأبناء السبيل، وشرفاء موريطانيا ومحطة أهل دِيْمَان الذين تربّى تحت خيامهم، وتغنّى بشعرهم، وكان حقًّا منهم. وربّما كانوا يحمونه على أيّ اعتداء أو محاولة مسٍّ به وبمصالحه، لما كان يَدُرُّ به إليهم من مواهبَ ومنافعَ، ووقايةٍ، ووساطةٍ لدى سلطات فرنسا الغازية المحتلة. وعندما ألقي القبض على الخديم أحمد بنمب أرسل إليه وِعَاءًا فيه تمرٌ وكتب عليه بالفرنسية ــ إسم المرسل ــ والمرسل إليه، فلما رأى الصوفيّ البكي ما كُتِبَ رفض قبوله وردّه. وربما كان يمتحن مدى صدقه وزهده وورعه وعدائه لفرنسا. ثم أرسل إليه كمية أخرى في ظرف كتب عليه هذين البيتين بالعربية :

هذا وعاء حوى تمر لحضرتكم عن ردّه حين يّهدى قد نهى الناهي
هدية أبتغى وجه الإله بها والفعل أفضله ما كان لّله

فلما قرأ الخديم العارف بالله هذه العبارات سُرَّ بِهَا، وقبِلَ الهدية ودعاله بالخير. ويبدو أن الشيخ نُفيَ أيّام كان مترجمًا وموظفًا لدى قصر الحاكم بسانتلويس. تجدر الإشارة في هذا الخصوص بعلاقات الصداقة وصلات القرْبَى بين هذه الأسرة وأسرة الحـــاج مالـــك سه، وكانت أخت ابن مقداد الأصغر الأمّ عائشة تعيش بعصمة الحاج منصور ســـه ض. كما كانت بنت الحاج أحمد باه تحت عصمة الحاج عبد العزيز سه الخليفة. هـــذه دلالات حسن الجوار والعلاقات بين أهالي الجزيرة والأسرة المالكية، وكان بسانتلويس الزاوية التيجانية المالكية حيث كان العلامة الشيخ إبرهيم جُوبْ يدرس النحو والفقـــه والـــسيرة ويفسر القرآن. وكانت الزاوية تعتبر بحق أكبر مدرسة، وأعلى مجلس علمـــيّ لتخـــريج أطر وأركان الدين، الذين نشروا العلم في البلاد، كما كان في سانتلويس الشيخ مـــاجور سيس وجَاخَ سيس والشيخ عثمان سه وغيرهم من كبار العلمـــاء والفقهـــاء الـــسنغاليين والموريطانيين.

الرابع : **الشيخ موسى كمرا (1864 -1945م)**

ولد بقرية كريكي صَنْمْبَهْ جُمْ الواقعة قرب مَاتَمْ سنة 1864م وهو ابـــن الــشيخ أحمــد الحبيب والسيدة دادة. شبّ، وترعرع وتربى بفوت طورو. وقرأ القرآن عن عدة شــيوخ فُوتيِّين ولم يكمل حفظه. ثم شرع في دراسة علوم القرآن والفقه والتوحيــد، والعبــر أو القصص، وتنقل بين المجالس والمدارس وأخذ ينهل من معين لآخر، وينبوع تلو أعمق. وارتحل إلى شيوخ وعلماء موريطانيا، وقضى في دراسة العلم ثلاثين سنة. وقد إلتقــى بالولي الشيخ سعد أبيه، فأَعْجَبَ كلٌّ واحد منهما الآخر وتبادلا معاني التقدير والإحترام، وهوالذي سماه بالشيخ موسى. وقد أخذ عنه الورد القادري، وقام بزيارته، بنمساد، تلبية لرغبات الشيخ الفاضل، الذي بَشَّرَهُ بالفتح، والبركات، واستبشر بمواهبه، والمنن اللدنيــة والمزايا، والهبات التي يتمتع بها، وكان والده قبل وفاته يتنبأ لولــده موســى بمــستقبل عظيم. ولما أنهى رحلاته وجولاته الدراسية، رجع نهائيا إلى فوت طــورو، واســتوطن قرية كَنْكِيلْ قرب مَاتَمْ. وقد رزق من زيجاته العشر بثمانية وعشرين ولدًا (28) وكنَّ من جهات مختلفة ومن قبائل شتّى.

وفي مجال العلاقات : يعتبر الشيخ عملاقًا، وقبلة تحج إليها الوفــود، وكــان يــضع الصداقة فوق كل إعتبار، وكان دائم الترحال والتّجوال بينهم. ويقول : إن الصداقة رأس الفضائل، ولذا كان له أصدقاء من كلّ الأجناس وبالأخص الموريطانيين، الذين يــرتبط بهم بصلات عرق، وعلْمٍ، ودين أما الفرنسيون فقد قال عنهم : إنهم مجبولون عن حبــه، وأنهم يتفرسون مَآرِبَهُ، وحاجاته، ويقومون بقضائها، دون طلب منه، وقد أبدى محبتــه لهم، وصرح بأنه يحبهم، ويحب لغتهم، وأخلاقهم وينصح أهله بمحبتهم، وقد أفرط فــي علاقاته مع القادة والحكام والإداريين الفرنسيين بالسنغال، وكانت المراســلات عديــدة ومستمرة مع جميع أصدقائه، وهو في مجال المراسلة، لايقارن بأحد في عصره كثــرة وغزارة.

ومن مراسليه السيد الهمام الحاج مالك سه والشيخ سعد أبيه وذو النون لــي وجيــرن مختار ساغ الكيهيدى، وابن مقداد سك وعينين سك ومن الفرنسيين وأعــوانهم : بُــولْ

مَارْتِ، مُورِيسْ دَلاَفُوسْ، بِلِيسْ جَاجْ، وكِلِدُو جُوفْ، وتِسِعُ رَسَائِلُهُ مجلدات ضخمة وتتناول كل مجالات الحياة.

صفاته وامتيازاته : كان كثير الحياء، سمحا كريمًا متواضعًا، خفيف الدّم، لطيف الديباج، كثير الصمت، ودائم الذِّكْرِ والصلاة على الحبيب. ويحبّ التّحدث مع الضيوف، ويقابل الأصدقاء والزوار بالابتسام والترحاب، وكان صادقا في أقواله وأفعاله، وموضوعيا واقعيا في كتاباته الجمة، ومحايدًا غير منحاز في أفكاره وقراراته، ويعبّر عنها بصدق وأمان وصراحة. وتبدو هذه الصفات السامية كسمات بارزة في حياته كلها وبالأخص في علاقاته ومراسلاته ومؤلفاته العديدة.

وفي مجال التأليف والكتابة، يبدو فريدًا في عصره، لايبارز فيهما، ولايداني، لافي الأسلوب، ولا في اللغة، والأدب، والبلاغة، والمعاني. وقد ألّف في فنون شتّى، وترك إثنتي عشر مخطوطًا توجد مكدسة بخزانَةِ المعهد الفرنسي بإفريقيا (I. F. A.N). وقد ألّف في الفنون الآتية : في التاريخ، في الجهاد، في الأديان السماوية، في الذكر والصلاة على النبي ص، في التّصوف وطرق القوم، في الفقه، في الطب، في اللغة والأدب، حيث شرح ألفية إبن مالك والشعراء الستّ، وألّف كتابًا في علم العروض : الكافي في علم العروض بل حاز مرتبة الإمامة العظمى في ميدان العلم، والرياسة، والتّقوى، ولذا أقرّ بفضله وزعامته، وإمامته، وأولويته أو أسبقيّته القاصي والداني، ولم ينازعه أحدٌ كرسيَّ العلم، والتعليم، والتأليف، والإخلاص فيه، وقد حاول بجرأة وإقدام، أن ينزح الأساطير، والخرافات العالقة بشخصية شيخ عمر الفوتي، الذي إلتقى بأحمد بن أحمد الماسيني بِسَيُولْ فتقاتلاَ وانهزم أحمد أحمد ثم لجأ إلى الفرار عن طريق النهر فلحق به أَلْفَا عُمَرْ بِيلاَ مع مئة فارس فقتله، وكان مجروحًا بطعنات نافذة فأجهزه وهكذا مع الشيخ محمد البكاي الكنتي لما ولّى مدبرًا عن الميدان هو الآخر.

شهادات أهل العصر من علمه ومقامه

قال عنه الشيخ سعد أبيه : أنه من كبار شيوخ القوم، ومن هنا تسميته بالشيخ موسى، وهو الذي لقنّه أوراد القادرية وأعطاه إذنا فيها، وقام الشيخ بزيارته، وحمل إليه ض. من

الهَدَايَا ما لا يعدُّ ولايحصى. والسعد أخو الشيخ ماء العينين، وهما إبنـــا الـــشيخ محمـــد الفاضل الشنقيطي. وقد توفى ماء العينين بَتِرْنِيتْ سنة 1910م رحمة الله عليهم أجمعـــين. وقال عنه ذو النون الذي نُبِذَ بالعراء وهم سقيم، لما طالع كتابه المسمّى : بِالْعِزِّ الأَسْمَى والحرز الأحمى، إنه بَحْرٌ عميق لايعبر، ويحق لجباه العقول ان تسجد له، وأنـــه أفحـــم خطباء عكازة، فصاحةً وبلاغةً، وبداهةً وقد توفي سنة 1927م، وكتب تقريظا بديعًا عـــن كتابه، دليل السالك على معاني ألفية ابن مالك، الشَّيْخُ عينين سك أخو دود سك بن مقداد سك يمدحه ويثنى عليه، ولما قرأ موريس دَلاَفُوسْ كتابه المسمى : إنتصار الموقور فـــي ذكر قبائل فوت طورو أعقب عليه وقال : إنه كتاب هامّ ومفيد، لن يكتب أحد بعدُ مثله، من أهل فُوتَ وإنه سيجتهد في ترجمته وطبعه ونشره.

وطلب منه الحاكم النقيب "جُولْيَار" لما طالع مؤلفاته في الفقه أن يتولى منصب القضاء بمَاتَمْ، فأعتذر وقال : إنه لايتقن إلا تعليم اللغة العربيـــة، فـــاهتم بتعينـــه مُدرّسًـــا لهـــا بسانتلويس فاعتذر أيضا بحجة كثرة عياله وأنه لايستطيع مغادرة قريـــة كَنْكَيـــلْ إلـــى العاصمة مع زيجاته وأولاده. ويبدو في هذه المواقـــف، تواضـــع، وصـــدق، ونزاهـــةٌ، وإخلاص، وتسامٍ بعيد المدى : كما قال عنه النقيب "مارْتِي" إنه أرسخهم قَدَمًا، وأعلاهم كعبة، وأعمقهم فكرًا، وأشدهم أصالةً، وأفصحهم لغةً ونطقًا، وأفورهم حظًا، وأغـــزرهم تأليفًا، وأكثرهم كتابةً، وقد جمع ما أعجز عصره من فقه، وطبّ، وتاريخ، وأدب، ولـــم يكتف بنظم قصائد، وعلاج موضوعات فقهية صوفية، وإنه : مؤرخ ثابت القدَمِ إنـــسانِيٌّ متفتح، واسع الإطلاع، فَيْلَسُوفٌ في الإجتماع، حكيم في الطبّ، وعارف بالله يقينًا والحق ماشهدت به الأعداء.

أما الشعراء، والأدباء، فقد قالوا عنه شعرا جميلا وأطنبوا في مدحه، ورفعوا قـــدره، ومقامه، وبوّأُوهُ مكانةً مرموقةً وقلّدوه أوسمة، ومزايا لم تنلها الأولياء، والراسخون فـــي العلم، من أهل عصره، ناهيك عن شهادات الحكام والإداريين الفرنـــسيين، وأعـــوانهم، ومترجميهم، وسفرائهم، أمثال بليس جاج المتوفى بدكار سنة 1934م وكـــان مـــن كبـــار مراسليه، وكذلك محمد كلدو جوف المتوفى سنة ??? 19 وغيرهم من كبار علماء العصر

أمثال القاضي جيرن مختار ساغ الكيهيدي. وقال عنه محمد سك الملقب بدود سك بـــن مقداد : هذاين البيتين :

من كان جار االموسى أو غدا موسى* جارًا له فهو في أمن من البؤسى
من قاوم الشيخ بالشياخ كان كـــمن* يُقــاوم الصــــارمَ البتَّار بالموسى

وأردف الشيخ محمد كَاوْ بيتين تأكيدًا المقال بن مقداد وقال :

نعم وصاحبه يلقى النجاة غدًا * ويأمن اليومَ من أخذٍ بِجرْ سيسَى
ومن يصاحبه فليصحبْ بلا فَنَدٍ * نَجْلاً لأحمدَ شيخًا إسمـــه موسَى

وقال عنه العاقب بن شيخ عمر الفوتي : إن الفرق بين هذا الفتى وشيخ عمر هو حمل السلاح، ولايفضله إلا بذلك. وكما أقرّ، بولايته الشيخ الإمام إبراهيم أمير دولـــة فـــوت جلوف بقرية (دقل فيلا) عاصمة الإمارة : وقال : إن ولايته تبدو لكل ناظر بعين. ونال منهما عطاءًا جزيلاً أعطاه هدية للشيخ الفاضل سعد أبيه، وكان مسافرًا نحـــو بيـــت الله الحرام لكنه قفل ورجع إلى فوت طورو، لأسباب مجهول عنها. وقال عنه العلامة جيرن محمد عبد ل راب الكيلي، قارظًا كتابه "بلوغ القصد".

هلْ جَنَّةُ الخلد والفردوس قد فتحًـــا* أم ان أترابها لاحت مع الحـــــلل
أم هل بروق جبين المصطفى برقت* جهرا فظلت شموسُ الجوّ في خجل
أم هل إله تعالى جل عن مثـــل * بـدأ فـأدهـش عنه نـاظـر الـمثـل
لا بل كتاب بلوغ القصد حين بـدا* في سرّ موسى فأضحى البدر كالزُّحل
الشيخ موسى فلازالت منـاقـبـه * تسدّ عن كلّ ما في الدين من خلل

وهذا من أروع ماقيل عنه وعن كتاباته، رضي الله عنه وعنا به وعن الإسلام خيرًا.

إن المؤلفات التي بقيت مخطوطة ومكدسة في خزانات مكتبة إيفـــان بـــدكار، وهـــي مجموعها تراث قيم، جمع علوم العصر في شتّى فروعها يَحِقٌّ أن يفتح مراكز لدراستها، وتحليلها واستيعاب ما فيها من درر، ولآلي، يمكن للأجيال الإستفادة منها. وكل ما قيـــل عنه في مجال العلم، والدراية، والكتابة، والتَّصْحِيح، وقد جاوز الوصف حقيقـــة، ولـــو عاش في كبار المدن، قرب الإدارة والمرافق والمعاهد والجماعات والجوامع، ومجـــالس العلم، والزوايا، لكان علمًا، ومَقْصَدًا كبيرًا، ولإلتفّ حوله الجماهير. كما فعلـــوا بالـــسيد

الحاج مالك سه، والخديم أحمد البكاي وقد فاق عنهم، في كثيرٍ من مجالات الكتابة، وفي فروع، لم يقرعوا بابها قطّ. ولحاجة في نفس يعقــوب، كـــان يـــرفض كـــل الأوســـمة والمناصب، والوظائف التي عرضت عليه، وفضلّ العيشَ، بعيدًا عن مراكـــز العمـــران والمرافق الإدارية. وقد قُورِنَ مقامُه، ودرجاتُه العلميّة بمقامات شيخ عمر الفوتي وناهيك عن غيره من الأعلام، ولذا سُلِمَ له رايةُ العلم، واستسلم له فحول العلماء واقــرّ بفــضله ساداتُ المعرفة، ولم ينكر أحدٌ منهم تفوّقه وسيادتَهُ، ورئاسته، وقد إهتم مُفكرُوا فرنـــسا، نبغائها وكتابُها، بترجمته والتعريف بمقامه وبطبع كتبه، ونشرها، بينما القادة السنغاليين الجدد لم يعيروا له ولا لمؤلفاته أَدْنَى إهتمام، بل طُويتْ حياتـــهُ كغيـــره مـــن الأعـــلام المسلمين، في ذاكرة الماضي، فأصبح نسيًا مَنْسِيًا، لايدرس عن حياته، ولا عن منجزاته شيئٌ، كما لايذكر في أيّة مناسبة من المناسبات العلمية والثقافية والوطنية، كأنه لم يعشْ على ربوع هذا البلد، ولم يترك أثرًا، هذا مما يؤسف له، ويعاب مـــن مـــساوى النظـــام القائم، وبرامج الدراسات التاريخية عندنا في معاهدنا وجامعاتنا، والغريـــب هـــو كـــون فرنسا تعرف عنا وعن أبطالنا وأعلامنا، وكبار شخصياتنا، أكثر منا إلى متى نبقى عالةً لغيرنا عُرضةً للضياع هملاً؟

إن الشيخ موسى من كبار أعلام البلاد، وقد اعتلى كرسي رئاسة العلم واحتـــل فيـــه مرتبة السبق، والشرف ويستحق أن يحمل لقب أبي الأمة لما قدمه من أعمـــال جـــسيمة ومنجزات قيمة للوطن.

الخامس : **الحاج مالك سه (1853- 1922م)**

ولد العلامة السيد الحاج مالك سه رضي الله عنه بقرية (دَغَنَهْ) بمقاطعة (وَالُو) شمال بلاد السنغال، وهو سمي الشيخ العارف بالله، مالك صُوْ، دَفِين (دَغَنَهْ) أمام زاويته العتيقة. ولد يتيمًا، فآواه الله تحت كفالة الشيخ ألفا هم (مَايُورُو وِلِ) شقيق والدته السيدة (فاطمةَ وادَّ وِلِ). ترعرع، وشبّ في كفالة خاله، وقد توفي والده الشيخ عثمان سه قبل ولادته، وكان قد أوصى بتسمية مولوده بصديقه، مالك صُو إن كان ذكرًا، واستوصى به خيرًا.

تعلّم ببيت خاله الذي كان من أكبر مقدمي شيخ عمر الفوتي الكدوي بن سعيد تال، كما كان من فحول العلماء العاملين الدارسين الذين كرسوا حياتهم في الدعوة والتبليغ، خلفًا عن صاحب الدعوة صلّى الله عليه وسلم. حفظ القرآن يافعًا، وأجاد فنون القراءات، ثم وجه همّته إلى دراسة علوم الفقه، واللغة، وعلوم البلاغة، والأدب، والفلك، والرياضيات، والتاريخ، وسيرة المصطفى بالخصوص، وتبحّر في هذه الفنون كلها تقريبًا. بعد إنهاء هذه الدراسات، تنقل بين كبار علماء السنغال وموريطانيا لتلقي العلوم والأسرار، والأوراد، فحصل من الشهادات والإجازات مالم ينلها سابق أو لاحق في عصره، ويمكن العودة في هذا الخصوص إلى كتابه : إفحام المنكر الجاني، زوال الإلباس عن طريق القطب أبي العباس هذا، في مقدمة الكتاب حيث تفضل بذكر سنده وعرّف عن شيوخه شريعة وحقيقة. وقد ألف هذا الكتاب الهامّ سنة 1340 هـ ويتعبر مرجعًا جامعًا، شاملاً عامًّا مستوعبًا لعلوم الحقيقة، وبالأخص : الأحمدية المحمدية التي تسمىّ بالتجانية ويبدو أنه، قضى سنين بجامعة (بِرْ) الإسلامية وأخذ علوم الفقه واللغة عن علمائها، وهم غالبًا فُوتيون من طورو، كما أخذ العلم عن غيرهم جريًا على نمط الباحثين في عصره، وأخذ علم العروض عن الشيخ عبد الله سيس، شيخ مدرسة (جَامَلْ) وهذا الأخير درس بموريطانيا، وكان يدير مدرسة فقهية من أهم مدارس السنغال، أما الحاج مالك، فهو لم يدرس بتاتًا خارج السنغال.

حياته ومنجزاته رضي الله عنه

أسس مدرسة بقرية (جَارْدِهْ) بإقليم كَجُورْ لتعليم علوم القرآن والتفّ حوله جمع غفير من رواد العلم وباحثي المعرفة، وأثار إقبال الجماهير إلى هذا المورد إنتباه سلطات الإستعمار، وأنظار الحادقين الوثنيين وسَعَوْا بالوشاية والنميمة ضدّه ووضعوا الفخوخ على طريقه وبدأت المناوشات والمناورات لإلقاء القبض عليه، لنفيه، أو قتله، أو وضعه تحت إقامة جبرية، أو رقابة صارمة ودائمة. ولما إنتهت التحريات والتحقيقات بشأنه، دلّت النتائج أن تُهَمَ الإستعداد لشن حرب وإعلان جهاد ضدّ الحضور المسيحي والإستعمار الفرنسي على أرضه لإستنزاف الثروات غصبًا ونهبًا غَيْرُ صحيحةٍ، ولكنها تَسُدُّ نظره بشدة. وقد تدخل بعض النّيات الصالحة لإنقاذه من الوَرْطَةِ، قبل فوات الأوان، وحتى لاتتكرر المحنة على زعيم ديني آخر، فتسابقوا وتداركوا سراً، فنصرهم الله، ولم يُنْفَ من البلاد، ولكن اُسْتُدْعِيَ إلى العاصمة من طرف حاكم مُستعمرة السنغال للتحقيق في أمره، واستنطاقه للوقوف على بَيِّنَةٍ منه، وأرسل الحاكم فَيْلَقه إلى (جَارْدِهْ) لقبضه وإحضاره عنوةً ولكنها لم تعثر عليه لأن العيون والنّيات الحسنة من الأصدقاء عرفوا مسبقًا بالتدابير والإجراءات المتخذة، قبل تنفيذها، فأرسلوا إليه وفدًا يخبره وألّحوا عليه ان يقدم دون إنتظار إلى العاصمة فامتثل لنصائح هؤلاء. ومن جملتهم الشيخ المقرئ : مُورْ مَاصَمْبَ جَيرِ جَنْكْ الذي أجاره، وتبنّاه، وحماه، وقدمه للوجهاء واسْتَفْسَرَهُ القرآن لفقهاء سانتلويس، وعلماء الأمّة، كما قام بزيارة حاكم مستعمرةِ سنغال برفقته لرفع التُّهم عنه، وخلق جوٍّ من الثقة والأمان لصالحه، ونجحت هذه المساعي الخيّرة، وهذا أهمّ سبب لإستقراره بسانتلويس ولما إستتبت له الظروف شرع في تلقين الورد، ومنح الإجازات للراغبين في سلك أهل الله، فتسابق نحو بابه الْقَوْمُ، وبدات مبادئ التجانية تتضح، وتنتشر بين الأهالي بشكل لم يسبق له نظير، مع تناسق وانسجام ووئام دون مناوأةٍ ومشاغبة. وكانت العيون مسلطة على نشاطاته وترقبه، وتترصد حركاته وتتلقط كلماته وأنفاسه، وماستطاع بعد قدومه إلى سانتلويس أن يعيش بعيدا عن مناطق العمران والمراكز الإدارية حتى لايَنْفَلِتَ عن عيون المخبرين، وقبضة السلطاتِ الإستعمارية التي كانت تعتبره أشد الخصوم، والّد الأعداء، لما في تعاليمه، ومواقفه ومثل حياته المستنبطة

من القرآن ونهج المصطفى من أنوار وفيوضات وأسرار مضادة لمرامـــي، ومغـــازى الغزاة المسيحيين الصلبيين المستعمرين المحتلين.

إن المعركة التي خاضها ضدّ الدّجالين المغضوب عليهم والضالين من أشد المعـــارك التي جرت فكريًا، وعقليًا، وثقافيًا، ودينيًا، علميًا. ولولا دعوى القوم والغلواء، لسُلِمتْ له أوسمة النصر والقيادة والرئاسة في معركة النضال، والكفاح، والمقاومة الناجحة، بحكمة ضدّ الكفر والطغيان وقد بنى قواعد للهجوم في العواصم بدءًا بمقرّ حـــاكم المُـــستَعْمَرَةِ، سانتلويس ثم بنى زاوية (تِوَاوُنْ) على قلب البلاد لإستقطاب واســـتيعاب ولـــمّ الـــشعب والشمل، ورَمِّ صفوف الأمّة. وكانت عملية إسترتيجية عظيمة القيمة، لمن يتعقل مساعي أهل الله، ومقاصدهم، وبُعدِ نظرهم وتفانيهم في الله. وقد نجح القـــرمُ الـــصنديد، الحـــاج مالك، في نشر آرائه، وتعاليمه بطريقة عجيبة وساعدته أعداؤه بوضعه في مُقامٍ أمـــين بالعواصم والمراكز الآهلة لمراقبة حركاته وتنقلاته ولكن "تجري الرياح بمـــا لاتـــشتهي السفن" إلفت حوله الرّواد، والطلبةُ، والقومُ، بحراسة الإستعمار فأَدْلَى دَوْلَهُ، وأتى بنتـــائج ومنجزات لم يسبق لمثله الإتيان بها في مجال التربية والتعليم والتوجيه هذا، ومن المعلوم المسلم به أنه لم يُدْرَسْ بعدُ حقيقة شخصيته ومراميه. وقد نجح في تكـــوين جيـــل مـــن مدرّسين ومقدمين، ودعاة نبغاء، ووزعهم في مناطق نائية شتّى توزيعًا عسكريًا سياسيًا عجيبًا فيه من فنّ القيادة، والرياسة، والمهارة والخبرة وتدبير وتسيير شؤون المجتمعات، وتيارات الفكر، وفى الإنتاج ما ستبرزه الأجيال القادمة. لأن تاريخ أعلام الهدى سيُسجل وسيُدرس رغم أنف النظام الكافر الظالم في البلاد.

السيد الحاج مالك إنسان معتدل، متزن، صادق، نزيه، صالح، تقي ورع، زاهد، عالم، مدقِّق، مفكر عميق، باحث، مؤلف، كاتب، ثريّ، تربع على كرسي رئاسة العلـــم مـــدة طويلة، وتزعّم على مدارس القرّاء وتبوأ على مقعد عمادة الفقه، واللغة، والأدب، وعلوم السيرة مدة حياته ولم يبارزه فيها أحدٌ. وكان بحق عميد الفقهاء وعنوان الزوايا، وشـــيخ حلقات الذكر، ومرجعُ اهل الله، وبرهان علوم القرآن، وقد ترك في هذه المجالات تراثًا قيمًا، لايقوم بثمن، ولايوزَنُ بخالص الذَّهَبِ. لسان الوعاظ، والـــدعاة، والخطبـــاء ســـند الباحثين وقوله الفصل ورأْيُهُ الحكم، لايفترّ طرفة عين عن الشريعة ولايحيد عن الحقيقة

ذالكم شأنه وإليه تنتسب ثلثي زوايا وجوامع البلاد، وعلماؤها على ذيوله وآرائه ومنهجه متعلقون، وله فضل واسع في نشر روح ديموقراطية العلم ونشر حرية التفكير، والتعبير، والكتابة، والخطابة، والمحاضرة، والجمع بين الدين والدنيا بتوسط. فهو بحق من كبار مجتهدي الأمّة ومن أكثرهم جرأة في نصرة الحق، وتأييد أهله. وإلى هذه المواقف يعزى نجاحه في التوفيق بين القيادة الدينية ومعاشرة، ومناوئات، ومناوشات، ومحاولات إيقاع السلطات الإستعمارية لزجه في الفخوخ. أما المتخرجون من مجلس علمه فهم أئمة الهدى وأعلامه وإليهم يلجأ، وعليهم يعتمد، وهم أهل العقد والحلّ في حقل الدين، لأنهم رغم تضلعهم ورسوخ أقدامهم في الشريعة والحقيقة معتدلون عمومًا ومتوسطون. والأعلام المعروفون بالتعليم والتربية الجادة الصحيحة، والهداة التقاة، الثقاة، الذين لايحيدون عن الجادة في جميع تصرفاتهم ولا يخافون في الله لومة لائم، أولائك رواد مجالسه وزواياه، وحلقاته وهم مدير أهم وأكبر مجالس العلم وزوايا العبادة، وجوامع التوحيد والإرشاد ويكفيه فخرًا ونصرًا مجلس علم الشيخ إبراهيم جوب بمدينة سانتلويس وأحمد سيس بِدَغَنَهْ، ناهيك عن المجالس المنتشرة في كل منطقة من مناطق البلاد شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا. وقد وضع الشيخ إبراهيم كتاب تحفة الإخوان ذكر فيه معظم الأعلام الذين إِرْتَوُوا من ينابيع معارفه الصافية. وبخصوص المؤلفات : فأهمّ ما خلفه للجيل من مكتوبات هي الآتية :

أ ــ كفاية الراغبين، فيما يهدي إلى حضرة رب العالمين وإقماع المحدثين في الشريعة ماليس له أصل في الدين وقد ألفه سنة 1339 هــ.

ب : إفحام المنكر الجاني على طريق سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن محمد التجاني أو زوال الإلباس عن طريق القطب أبي العباس، وقد ألفه سنة 1340 هــ . والرجوع إلى هذين جدّ مفيد للباحث، لما فيهما من آراء جريئة وفتاوى دقيقة تتناول مسائل هامة يصعب الوقوف على حقيقتها.

ج : خلاص الذهب في سيرة خير العرب، ويعتبر سفرا كبيرًا مستوعبًا بإلمام واسع لحياة النبي الكريم، من قبل مبعثه إلى ما بعد وفاته ص. وقد أبدى ض. في هذه المنظومة من التمكن والعلم والمعرفة والدقة، والإدراك بأشياء كثيرة، ومن الصعب

العثور على وثيقة تتناول سيرة الرسول أهمّ، أو أشمل، أو أدقّ منها، ولها قيمة جامعية كمرجع للباحثين وتغنى عن الرجوع إلى ما أُلِفَ من كتب في هذا الموضوع لمدة قرون مضت.

د : فاكهة الطلاب، كتاب ألف للتدريس، ويستهدف اولائك الذين يرغبون سلوك نهج أهل الله وقد شرح فيه سند طريقة الأحمد المحمدية التجانية شرحًا وافيًا، نادر المثل، وهو عبارة عن خلاصة محتوى جواهر المعاني وبلوغ الأماني للشيخ أبي العباس أحمد التجاني، ورماح حزب الرحيم على نحو حزب الرجيم للشيخ المجاهد عمر الفوتي.

ودراسة مؤلفات الشيخ المالكي تغنى عن عنت وتعب البحث والإستقصاء في خضم تلك المؤلفات العتيقة الصعبة المنال في عباراتها ودلالاتها ومعانيها لأنها كتبت لعصر وجيل آخر.

ويعود إليه فضل بيان وفهم الطريقة التجانية، كما ينسب إلى الشيخ عمر الفوتي فضل إنتشرها، ونزح غيرها من الطرق في الساحة الدينية.

ونورد هنا إكمالا وتعميمًا للفائدة شرحًا موجزًا لإحدى الصلوات التي تخص بها التجانية وهي : جوهرة الكمال التي تقرأ في حلقات الذكر إثنا عشر مرةً جماعيًا، وتختم بها ما تسمّى بالوظيفة صباحًا ومساءً لدى الجماعة الأحمدية المحمدية التجانية وصيغتها :

"اللّهمّ صلّ وسلّم على عين الرّحمة الرّبانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني، ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الربّاني، البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني، ونورك الامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكان. اللّهمّ صلّ وسلّم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم. اللّهمّ صلّ وسلّم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم. صلّى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه".

التعريف بها

جوهرة الكمال صيغة من صيغ الصلاة على النبي وهي صلاةُ وصفٍ ومدح له صلّى الله عليه وسلّم. ويقول مؤسس التجانية أن هذه الصلاة من إملائه ص. وذكر لها خوّاصًا منها : أن المرة الواحدة منها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات وسبع مرات منه تُحضر روح النبي ص، وأكثر من سبع توجب محبّتَه وحصول ولاية، وسبعًا منها عند النوم مع طهارة البدن والمكان كافية لرؤية المصطفى ص، وهنالك خواص وأسرار أخرى للجوهرة تعرفها كبار القوم وفقراء وخدام الأحمدية المحمدية الحنفية الإبراهيمية التجانية.

ملخص معاني جوهرة الكمال

اللّهمّ صلّ وسلّم على عين الرّحمة الرّبّانية : صلاة الله، وصلاة الأكوان، والطيور. كيفيتها مجهولة، أمّا صلاة أهل الإيمان من الملائكة والجنّ والإنس، فإنّها معروفة وتكون بالصيغ التي علمها رسول الله ص. وقد أمر الله المومنين أن يصلوا عليه ويسلموا تسليمًا. عند قوله : {إنّ الله وملائكته يصلون على النبي. ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا}. وقال ص، لما نزلت هذه الاية : " إنّ صلاته تعالى أغنتني عن صلاتكم"، والأمر في الآية محمول على الوجوب مرة واحدة في العمر، والإكثار منها من باب التخيير، والتنفّل، والذكر، والاستئناس بالمذكور. ومن أحبّ شيئا أكثر من ذكره فكلّ الطرق مبنية على الذكر والصلاة على النبي ص.

ا : <u>عين الرحمة</u> : المنبع، الينبوع، المعين، المورد، محل فيضان الماء، وقد أضيفت إليها كلمة الرحمة، وهي إضافة معنوية. ومعنى الجملة هو : أنه تعالى : إقتطع قطعة من أصفى أنواره المتجوهرة فأبطن وأدرج فيها ماشاء من علم بصفاته، وأسمائه، وكمالات ألوهيته، وأحوال الكون، وأسراره، ومنافعه، ومضماره، وبالمقادير والأحكام الإلهية أمرًا ونهيًا. تلك القطعة النورانية هي محل انصباب الرحمة الربانية، ومنها تفيض الرحمة على الخلق، وبهذه المثابة وصف صلى الله عليه وسلم بعين الرحمة الربانية.

هذا النور المقتطع هي " الحقيقة المحمدية" والرحمة المُفاضة فيها تفيض ذاته ص. فذاته منبع العلوم وينبوع الأسرار، ومعين الأحكام ولذا سمى وصفًا " بعين الرحمة

الربانية" وقال : "أنا قاسم والله معط" وهوص، النموذج الجامع في إفاضة الوجود، فلكل موجود نسبة هو مرجعه، فهو كلية مراد الحق، الغاية من الوجود مناطه، وعلّة كل موجود، والواسطة لأنه مراد الحق لذاته، يقول تعالى في الحديث القدسي :" كنت كنزًا لم أعرف، فأحببت أن أعرف فخلقت خلقًا، فتعرفتُ إليهم فبي عرفوني" فهذه الصلاة من روح معاني هذا الحديث القدسي.

ولولا هذا المراد الكلي لبقي الكل في طي العدم. ولفهم الإدارة والمُراد ينبغي محاوَلة استفهام الفيض الأول، أو التنزل الإيجادي الأول القاضي بإيجاد النور المحمدي : وتسمى بإفاضة الوجود، ومنها إضافة الرحمات على الموجودات. وهذا مصداق قوله : أنّا الرحمة المهداة التي تسع كل شيئ.

الربّانية : صفة جامعة، شاملة منشئة، ولولا الربوبية لمَّا وُجِدَ موجود وبهذه الصفة يبرز الباري للخلق لما بها من معاني الرحمة والرأفة والربوبية وتختلف مع الألوهية التي تعني : توجّه الوجود له بالركوع والسجود والتسبيح طوعًا وكرهًا : نفوذ مشيئته في الكون، وانصياع الكون لها دون علل وأسباب وفق قوله : {وإن من شيئ إلا يسبح بحمده، ولكن لاتفقهون تسبيحه} (الإسراء،الآية 43). وقوله : {والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون} (النور، الآية :40).

ب : الياقوتة المتحققة : تشبيه بليغ في منتهى الروعة والجمال، شبه عين الرحمة في صفائها، وتجوهرها بالياقوتة، فاستعار الياقوتة للوصف والتمثيل، وإلا فعين الرحمة أصفى وأجمل، وأكمل من الياقوتة المتجوهرة المتحققة. لقوله تعالى :{ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دريّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة، لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار نور، على نور، يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيئ عليم}(النور، الاية :34)

فغاية ما يدرك المخلوقات من رحمة، ومدد، وفضل، فإنها منه ص، : فهو في حقيقته الأحمدية، لامطمع لأحد في دركه وفهمه ومحاولة الخوض في تلك المقامات الغيبية التي إستأثر المولى بعلمها، شرك وهلاك محقق.

ج : الحائطة بمركز الفهوم والمعاني : معرفة معاني كـــلام الله وأحكامـــه وأســـمائه وصفاته وفحوى الكتب المنزلة. هو المركز والمجمع المحيط بكل ذلك. وفيها إشارة إلى إحاطته علمًا بكل ما سجل في لوح المحفوظ، بفضل من الله تعالى.

د : ونور الأكوان المتكونة الآدمي : الأشياء المقدرة والمبرمجة في ســـباق علـــم الله الأزلي قسمان : القسم الأول : أعيان تخرج من العدم إلى الوجود القسم الثاني : أعيـــان تبقى في طيّ العدم. وهو ص : محيط بها علمًا لكون الأعيـــان مدرجـــة فـــي حقيقتـــه المحمدية.

هـــ : صاحب الحق الربّانيّ : ما قرر الله في شرعه من أدلة وأحكـــام، هـــو النبـــي المرسل، المبلغ، المنفذ عن المولى في خلقه، مصداقا لقوله :{ وأنزلنا إليك الذكر لتبـــين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون} (النحل، الآية : 43). النبى هنا مخاطب بالخـــصوص وغيره بالعموم. وهذا من أجل مراتبه ص.

و : البرق الأسطع بمزون الأرباح : هذا تشبيه تمثيلي يصور ملازمة البرق بالمزن، بملازمة الحقيقة المحمدية بالفيوضات الربانية واستعير للوصول إلى ذلك لفـــظ البـــرق والمزن : وتعنى فيوضات العلوم والمعارف والأسرار والتجليات والمـــنح، والمواهـــب، وصفاء الأحوال، والأسماء، والصِّفَاتُ القدسية المخزونة فـــي قلـــوب كبـــار العـــارفين والأقطاب والأولياء، كلها من ذاته ص. لذواتهم.

ز : المالئة لكل متعرض من البحور والأواني : تعني بـــالبحور : قلـــوب العـــارفين والأقطاب وبالأواني : قلوب الكرام الغُرّ من أولياء الله. وكلهم من رســـول الله، تـــستمد وتلتمس من فيضاته ص. واستعير لفظ التعرض بدل الإستمداد. وإلى هذا المعنى يـــشير محمد البصري بقوله :

وكلّهم من رسول الله ملتمس غرقًا من البحر اورشفًا من الدّيم
وواقفون لديه عند حدّهـــــم من مقطة العلم أو من شكلة الحِكَمِ

تمتلئ قلوبهم بالعلوم والمعارف والأسرار، والمواهب، والمنن الإلهية هذا، بعـــضهم بالمشيئة، بالإنابة، أو بالجهد، بواسطه ومن فيوضاته ص.

ح : ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائطة بأمكنة المكان : إن أنوار الحقيقة المحمدية محيطة بالزمان والمكان، ولايشذ عنها شاذّ. وما في طيّ العدم خارج الزمان والمكان ففي علم الله السابق الأزلي.

اللّهمّ صلّ وسلّم على عين الحقّ : الحقّ ذاتٌ ومرتبةٌ، له أسماء وصفات. ولعين الحق من حيث الذات العلية إطلاقان :

إطلاق يقابله الباطل من كلّ وجه. وهذا الإطلاق لاينسب إليه صلى الله عليه وسلّم. وفي هذا المعنى قوله :

ألا، كل شيئ ما خلا الله باطل وعنه عيون العالمين هواجع

ومن حيث الصفة، يقابله العدل المطلق القائم على الأعيان الساري المفعول في كل شيئ ويطلق عليه صلى الله عليه وسلّم، ولاتشذّ عنه شاذّ قطّ.

حقيقة الكون، عين الذات طلعته إفاضة الله، نور الله يالله

ك: الذي تتجلى منها عروش الحقائق : هذه إستعارة لطيفة بعديعيَّة تصوّر إحاطة العرش بما في جوفه، بإحاطة عين الحقّ بالكون مطلقًا. العين منطوية على مضمون الكون، ومحيطة به جملة وتفصيلا، ويطلق على كلّ حقيقة أو عيّنة من أعيان الوجود، إسم عرش لهذا الإعتبار فقط، والمولى أعلى من كلّ وصف.

ل: عين المعارف : المنبع الذي من معينه تفيض العلوم والمعارف والأسرار، والمفهوم، والمواهب في قلوب البحور الأواني.

م : الأقوم : العلوم والمعارف تجرى مجرى العدل الإلهي المطلق لاتحيد ولا يعوق ولاينحرف عنه شيئ قطّ.

م : الأقوم : صيغة التفضيل، ويعبر عن كمال أمر الله ونفوذ إرادته، وشمول فضله بعده فهو ص : مجمع آداب الحضرة الإلهية : علمًا وعملا وذوقًا، وحالا ومنازلة وتحققًا وتعلقًا ويقينًا من جميع الوجوه والجهات.

ص : صراطك التّام الأسقم : العبور إلى حضرة المولى بسلام وأمان، لايتم إلا بواسطته، وثمّ وسطاء، لكن الأتم، الأكمل، الأقوم، الأوسط، الذي من رام العبور بغيره سقط، وطرد من فجاج حضرة القدس هو ص.

ع : الأسقم : الكامل في الإستقامة، ويعني الأقوم، الوسط، الذي يزيل الجور، والأذى، والضرر، والسقم، والإنحراف ويوجه ويرشد إلى الله.

ف : اللهمّ صلّ وسلّم على طلعة الحق بالحق : ففي معناها الأول تعني، طلعة ذات الحق للحقيقة المحمدية دون غيرها. وفي معناها الثاني، طوالع الأسماء والصفات الإلهية التي مجموعها تعبّر بعين الحق الكلي بما تفرع عنها من أحكام، ومقادير، ولوازم وَمُقْتَضَيَات، فهو ص، المطلع الجامع لطلوعات من الذات للذات ومن الحقيقة المحمدية لسائر الموجودات.

ض : الكنز الأعظم : هو مجمع العلوم والمعارف، والأسرار، والأنوار، والمعارف والفيوضات والأحوال، والمواهب والمنح، واليقين، والإيمان، والرسوخ، والشهود، وآداب الحضرة، والمثل العليا، والمنافع والوصول والمدد، مَجْمَعُ كل المنن الألهية.

ق :إفاضتك منك إليك : لما تعلقت إدارة الحق بإيجاد الخلق، برزت الحقيقة المحمدية، بمجرد تجلى ذاته بذاته، فتنفذت إرادة الذات، فكانت، ووجدت الحقيقة المحمدية من حضرة ذات علمه السابق الأزلي.

الأكوان، والأعوان نسخ انبجست منها، واستمدت من فيوضاتها، وهو أول وأصل الموجودات، ولو لم يوجد لبقي الكل في طيّ العدم الأبدي. يقول العارف بالله سيدي الحاج مالك سه بهذا الخصوص في ميميته :

عيون الأرواح من نور الهدى انبسخت / / فإنه الجنس الأعلى معدن السطم.

ر : إحاطة النور المطلسم : تعبير عن سر الألوهية المكتوم في ذاته ص. وهو قسمان : قسم إستأثر المولى به لامطمع لأحد في علم مضمونه أو الإقتراب لتلك الجهات والجوانب : وهو مقامه الأحمدي قبل بروزه للخلق في مقامه المحمدي. وقسم يطلع عليه بالمشيئة من شاء من خلقه وهي الحقيقة المحمدية ومن هذه يفيض ص للخلق. وتعنى النور المطلسم الكمالات الإلهية، كما تعنى حجب الغيب المانعة من ظهور أسراره والإطلاع عليها.

س : صلى الله عليه وعلى آله : صلاة الله صفة قائمة بذاتـــه لايعقـــل، ولا يمثـــل، ولايكيف، وهكذا صلاة الجمادات والطيور بخلاف صلاة الجن والإنس فصيغ صـــلواتهم معلومة من الرسل وورثتهم.

ت : صلاة تعرّفنا بها إيّاه : تعرفنا بالمقامات والمراتب التي يجوز معرفتها بالمشيئة، وبالإنابة أو بالإجتهاد : بدوام الذكر والصلاة على النبى. والصلاة علـــى النبـــى أنجـــى للفاسق من تلاوة القرآن وأفضل له، لأن حامل القرآن يؤاخذ بالقليل، لأن القرآن حاملـــه يحتل إحدى مراتب النبوة، وتقتضي مداومة تلاوته ملازمة آداب الحضرة الإلهية.

وهنالك صلوات أخرى كصلاة الفاتح التي أخذها الشيخ التجاني من الـــشيخ محمـــود الكردي المصري، وهي من تلك اللواتي يقرأونها في الورد والوظيفة. والصلاة الغيبية، وأوراد، وأسرار، وخواص أخرى إعتنى رضي الله عنه بشرحها في كتبه مستندا فـــي كل ذلك من كتب علماء الأحمدية المحمدية، وقد ذكرتها في هذا البحث لكون السيد الحاج مالك سه من كبار خلفاء الشيخ التجاني الذين نشروا وبلغوا وخدموا وضحوا بحياتهم في رفع كلمة الجلالة ونصرة الدعوة المحمدية عن طريق الأحمدية المحمدية. جزاه الله عنا وعن الإسلام خير جزاء. وقد توفي بتواوون سنة 1922م ودفن بزاويته رحمة الله عليـــه وترك تراثًا قيمًا للأجيال فالمسلمون مدينون له بالشكر الجزيل والحمد لله رب العالمين.

السادس : **الإمام مَبَهْ جَغُ بَهْ (1809 - 1867م)**

وهو زعيم حرب بَاوُسْكُتُو، وقد خاض حروبًا شتّى ضد الوثنيين وغزاة فرنسا، وضدّ العقيد الفرنسي (بِينِ لاَبَرَاتْ) مدير بلدية غُورِي، ومؤسس بلدية دكـــار، وكـــان حاكمًـــا للسنغال بالنيابة، وساهم في حرب بَاوُسْكُتُو ضدّ الإمام مَبْ جَغُ والمقـــاومين الـــوطنيين الدينيين ومات هذا العقيد الملعون بالطاعون بمدينة سانتلويس سنة 1869م. أما الملعـــون (بُولْ هُولْ) فقد ولد بسانتلويس وكان نقيبًا في الجيش الفرنسي، وحارب هـــو والمـــلازم دّيسْبَلاَ ضدّ قوات شيخ عمر الفوتي لما حاصرت قواته قلعة فيدربه المشيدة بالمدينة سنة وأرسل إليهم فيدربه تعزيزات وإمدادات عسكرية عن طريق النهر لإنْقَاذِهِمْ من الهلاك، وكانت أفراد قوات فرنسا من المرتزقة السنغاليين من أصول سانتلويس وأبنائها.

وقد اسْتَشْهَدَ الإمام مَبَهْ جَغُ بمنطقة (سُومْ) أثناء غزوة ضدَّ السيرير بإقليم سِـــينْ إثـــر نزاع مرير مع الملك كُومْبَ انْدُوفِينْ جُوفْ الّذي كان حليف الفرنسيين محترمًـــا لـــديهم ومؤيدًا من طرفهم.

السابع : **القاضي مَجَخَتِ كَلاَ**

أحد كبار أعلام البلاد المتوفى سنة 1902م. ولشدة إرتباطه وصلاته وعلاقتـــه مـــع الملوك وزعماء الدين وهو منهم، إستدعاه الحاكم الفرنسي إلـــى عاصـــمة المـــستعمرة للتحقيق في أمره، وِفْقَ إجراءات الردع والإنذار والتَّعْزِيزِ ضدّ المقاومة. وأثبت الـــشيخ براءته وأعلن مهادنته، وقال فيه شعرا بالمناسبة : يخاطب فيه الحاكم الفرنسي، ويطلب منه إطلاق سراحه من الإقامة الجبرية، وقال :

يا من أَبَادَ مُلُوكَ الْقَوْمِ قَاطِبَـــــةً بِسِينِ رِشْيَهْ دِغُنْتِ تَنْيَهْ أَكَبُكَـــــيَهْ
هَلْ مِنْ سبِيلٍ إِلَى دَارِي وَمَسْكَنِي يَوْلاَيِء وَغَلْ وُيُمَ يَوْمِيْ فِلَتْ كَنُيِهْ

فأمر الحاكم بإطلاق سراحه، وكان من مستشاري لَتْجُورْ جُوبْ وغيره كما كان مـــن نُدامى الملوك وفُكُاهى الأعلام وأميرَ شعراء العصر. وقد ترك تُراثا قيّمًا مـــن الـــشعر والنثر في عدة مجالات كما ترك مؤلفًا في علم العَروض سمَّاه :(مُبَيِّنُ الأَشْكَالِ) وكـــان الأول من نوعه في هذا الفنّ، في الوقت الذي كتب وأصدر هذا الكتاب. ويبدو أنّه مـــن مدرسي الشيخ الخديم أحمد بنمب بكّ، لأنه من معاصري والد الخديم القاضي مُورْ أَنْـــتَ

سَلِ بَكِ الذي عزله الملك لَتْجُورْ جُوبْ من منصب القضاء وعَيَّن مكانه الشيخ القاضي مجخت كلا. وهذا دليل رَسُوخِ قَدَمِه في العلم، وسلطانه وصلاته وعلاقاته مع مختلف القوى الدينية، الوثنية، والإستعمارية، ويدل أيضا هذه العلاقات على أنه كان سياسيًّا مُحَنَكًا، إستطاع أن يحتلّ مكانةً مرموقةً بين هؤلاء وأولائك رغم النزاعات والحروب والفتن. وعندما أسلم لتجور قال فيه شعرًا يمدحه فيه ويشجّعه ويُباركه :

وقال :

بُشْرَى لَقَدْ شَادَ دِينَ الّهِ لِتْجُور   فَأُحْيِيَ الْيَوْمَ بالإِسْلاَمِ كَجُّورُو

بينما اشتاط غيظًا من عنف وشدّة الإمام مَبَهْ جَغُ بَهْ وتعنته وإصراره لمَّا منعه من التَّدخين، وأَلَحَّ عليه فيه فقال فيه بيتًا يهجوه :

فَدَوْلَةُ الْمَيمِ والْبَابا نفِتَاحِهُمَا   وَالْهَا مُسَكَّنُةٌ إِحْدَى البَلِيَّاتِ

وقام بمحاولات لتدارك المواقف والحيال دون وقوع كارثة النَّفْي للشيخ الخديم الذي لم يذعن لنصائحه، بل وَبَخَهُ بمواقفه ومُهادنته ورُكُونه مع المسيحيين الفرنسيين واسترضاه شعرً، فقال له :

يَا عَبرَةً صبَّهَا قولُ بـَمَ تْبُـم   هَلاَّ اكْتَفَيْتَ بِقَوْلَي إِنَّني مَرُمَ

لَوْ كَانَ عِنْدِي جوَادُ اْلخَيْلِ أَرْكَبُهَا   إِذًا لجِئْتُكَ لـكِنَ كُلُّ ذِي أَمُمَ

يعتبر الشيخ القاضي مَجَخَتَ كَلاَ، زعيمَ فحول القريض وأمير شعراء العصر، وأكبرهم سنًّا وأكثرهم خبرةً وأشدَّهم في السياسة والمداهنة مِرَاسًا، وأطولهم عمرًا وأقلّهم مرضًا وفتنًا في حياته، وكثرةُ أسفاره وعلاقاته وصلاته جعله أمهر علماء عصره ورَمْزًا للعلم والوقار والإحترام عند الخاصّ والعامّ، وبه يُضْرَبُ المثلُ في كثير من مجالات الحياة.

وفي المجال الصوفي كان قادريًّا في البداية، وعندما إلتقى بشيخ الزوايا سيدي الحاج مالك سه، أخذ عنه التيجانية وأصبح عَلَمًا من أعلامهم وقال شعرًا بَدِيعًا رائعًا يمدح فيه طريقة الأحمدية المحمدية الحنفية الإبراهمية التيجانية، والشيخ أحمد بن محمد التيجاني رضي الله عنهم.

وكان يحرّض العلماء ويحثّهم على نشر العلم، بالتّعليم والتّأليف والوعظ، والإرشاد، والفتوى، والإجتهاد، وعُرِفَ بمواقفه الحاسمة في مجال القضاء عند ما أفتى بأنّ أميـرَ المومنين أولى بجمع الزّكوات من جميع أئمة البلاد، لأنَه قمّة السّلطة وكان الأمرُ يتعلق بالملك لَتْجُورْ جُوبْ الذي كان حديثَ العهد بالإسلام وغَيْرَ مُتورّع لِقدَمِه فـي الوثنيـة، وجرأته في ارتكاب المحارم، وانشغاله بالحروب، وكان القاضي الشيخ مُورْ أَنْـتَ سَـلِ يرى عدم تولّى مِثْلِه بجمع الزّكوات سَدًّا للزّرائع فقط. وجرى حوارٌ لطيفٌ من هذا النوع بينه وبين الشيخ مُورْ قُجَّ كُمْبَ جُوبْ : صاحب كتاب مقدمة الكُوكِيِّ في النّحـو نظمًـا، وهذا الكتاب كتبه المختار بنُ بُونَ الموريطاني نثرًا، ونظمه الكوكي تـسهيلاً لحفظـه، وتعميمًا لفوائده حيث كان هذا الفنّ غَريبًا نادر الوجود غيرَ منتشر في القطر. ويقول له القاضي مُمُازِحَةً : إن في الأمثلة التي يستدل بها عباراتُ الملأْ، والجماعات، لـيس لـه أتباعٌ أو خدمةٌ، وليست له رئاسةٍ أو درجة دنيويةٌ. فأجاب الخديمُ عنه، وقـال لـه : إن استطعتَ أن تُؤَلِفَ في النّحو أحسن من كتابه، فلاتنقصنا الأوراق والمدادُ، وكان الـشيخ من كبار فحول فنّ اللغة، والنحو، والأدب، والقريض، والفقه، والإجتمـاع، والـسياسة. ولايُباري في الشعر، وكان فَكِهًا مَرِحًا خفيف الدَّمِ والرُّوح متـسامحًا، مُنْفَتِحًـا، سـليمَ الطويّة، والمزاج، قوي البنية، والروح، مقبولاً، آلفًا مألوفًا يستأنس بوجـوده وبأقوالـه ونُكته الجمهور بغض النظر عن هوايّتهم وطبائعهم وأنديتهم وإنتماءاتهم الدينية. ويعتقـد كثير من الناس أنه من طبقة الفلاسفة أمثال كُجِّ بَرْمَ ونْدَامَلْ كُسَاسْ والصحيح هـو أنـه فوق هؤلاء ويفوق كثيرًا من الكرام الغرّ الميامين.

وينتسب إلى أسرته بعض أفراد أسرة الشيخ الخديم وأتباعه أمثال سرج اَمْبَي جَخَـتِ والشيخ عبد الأحد وصالح وغيرهم، وهو الجدّ المباشر للشيخ الصوفي الفاضل، الشاعر المُفَوَّهِ، خادم الحضرة التيجانية المقرئ الورع، أحد قادة التصوف الأحمـدي المحمـدي وحماة الملة الإسلامية، ورمز حريّة التفكير والتعبير والعمل، أحد كبار مقـدّمي الحـاج مالك وصهره ومُربّي أولاده، الحاج هادي توري. يعتبر القاضي جدّه المباشر مـن الأمّ ويحمل الحفيدُ معظم طبائع الجدّ في الجدّ والشعر والنشروالهمّة والريّاسة. كـان الـشيخ الهادي من كبار الأعلام الذي يفتخر بهم الجيل الحاضر والذين ورثوا التـراث الأدبـي

والفقهي والقرآني من المدرسة المالكية بتواوون ولاتزال أنوار مدرسته القرآنية بمدينة فَاسْ تُورِي مَنَارًا وكعبةً تحجّ إليها وفود الطلبة للإرتواء بها من معين القرآن غير الآسن.

وتمتاز هذه المدرسة بجودة القراءة وسلامة النطق وحسن الترتيل وسرعة الحفظ، والجدّ في التربية والإلتزام بالسنة والمثل الرائع الأعلى الذي ضربته هو أحد خَرّيجيها، الشيخ الفاضل صوتٌ القرآن وحبيبُ الخلق الخليفةُ العامُ عبد العزيز سه دبَّاغ بن الحاج ملك سه. وللمدرسة حاليًّا نظامًا داخليًا يحتوى على مأوى للطلبة شبه مجانيٌّ. وتقوم المدرسة بتحفيظ القرآن للأطفال في أربع أو خمس سنين، دون صعوبات جمّة، وتدريس شؤون المدرسة وهم أساتذة نبغاء، علماء، حملة شهادات عليا من جامعات مصر والعالم الإسلامي، أمثال الأستاذ الكبير الحاج مالك تُورِي، والمدير عبد العزيز تُورِي وغيرهما. ولهذه المدرسة مثيلاتٌ، ولكنها تختلف عنها في المزايا المذكورة أعلاها. وتعتبر من آثار الشيخ القاضي كلّما ذكرنا، لقوله تعالى :

{ الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وماألتناهم من عملهم من شيئ كل إمرئ بما كسب رهين} (الطور، الآية).

ومما يروي كمثلٍ شُرودٍ في المجامع العلمية والفقهية عن الشيخ القاضي، في مجال الفطنة والذّكاء، والدّهاء، والخبرة ومعرفة مكائد وحيل الناس، وتطبيق قاعدة حكم الخلق بقدر ما يحدثون من فجور، أنّ رجلاً مُغَفَّلاً، طلّق زوجته ثَلاَثًا، وبعد مدة ندم وأصرّ على إستعادتها لعشرته، وأنكر الطلاق، واستدلّ بحجج واهية، واعتضل واعتصم لتبقى المسكينة في عصمته وقبضته مُعلقةً، فتقاضوا لدى الشيخ، وقدّمتِ الزوجة شكواها، وأبدتْ من البينات والبراهين ما أثبتت تضرّرها من الزّوج وتعدّيه السّافر ومُضايقتها في اللّبس والأكل والفراش، وتضافرت الحججُ، وأصرّ الرجل على موقفه، ويصرّ بأن الطلاق والعصمة بيده دون غيره، وأن القاضي لايملك دليلاً عليه، وذاع في الأوساط أن الرجل سَلِسُ اللّسان، مِهْزَارٌ مِكْثَارٌ يحب اللهو واللغو والعبث وينكر الحقّ ويزوّر ويسعى في الأرض فسادًا، هذا حسب التحقيقات والتقصيات، فعزم الشيخ القاضي على عقد جلسة خاصّة للفصل علنًا في القضية، فأعلن رسميًّا أن موعد الفصل يكون بعد صلاة الجمعة في الجامع الكبير أمام جمهور المصلين، فلمّا حان الوقت، صعد على المنبر وخطب الناس ووعد وأوعد، وأنذر وبشّر، فقال : إتّقوا الله في النساء، ثم نصح وأرشد وأضاف

أن ثلاثًا الجدّ والهزل فيه سواء : الطلاق والنكاح والعتاق، ثم أنهـــى الخطبـــة الأولـــى والثانية، وصلى بالناس وبمجرد التسليم، وقف وقال بصوتٍ جَهورٍ : أين الرجل الـــذي طلّق زوجته؟ فوقف الرجل، وقال : ها أنذا قائم بين يديك أيها القاضـــي، فقـــال لـــه : الإقرار سيّد القرائن. فلا زوجة لك بعد الآن لدى أهل فلان، لإنها بائنة بَيْنُونَةً كبـــرى، والملأ شاهد على إقرارك بالطلاق لأنك الوحيد الذي أقررتَ بالطلاق لما ناديت مجهولاً، فعرّفت نفسك، وبيّنتَ الحقّ للجمهور وزال المراء، ولله في خلقه شؤون.

الثامن ــ **الإمام لاي تشاو (1842 - 1909م)**

لمام لاَيْ شخصية وطنية دينية كبيرة، إدّعى النبوة 1885م وصرّح بأن الله أرسله، وأنّه ظهر بمظهر محمد ص، وأنه المهدي المنتظر، وتبدو في تصريحاته وادّعاءاته تناقضات كثيرة، تتنافى مع مبادئ وأصول الدين الإسلامي، ورغم تمسك جماعته الشديد بإقامة شرائع الدين ومداومتهم الذكر والصلاة على النبى، فإنهم هدموا رُكنًا هامًّا من أركان الإسلام، وهو إدّعاء النبوة بعد أن نصّ القرآن بأنّ مُحَمَّدًا خاتم الأنبياء والمرسلين عند قوله تعالى :{ ما محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبئين وكان الله بكل شيئ عليمً} (الأحزاب، الاية :).

إن الذين إدّعوا النبوة أثناء حياة الرسول ص. مسيلمة الكذّاب من اليمامة قتله الوحشي، قاتلُ حمزة بن عبد المطلب، في حرب طاحنة ضدّ دعوته ومؤيديه، والأسود العنسي وكلّ من إدّعى النبوة واصطدم مع نصوص القرآن وجوامع كلم الحبيب ص. وأعتقد أنّه لم يكن يعرف معنى الرسالة والنبوة ولم يكن عارفًا بمعاني الولاية، بلى! لأنه لم يكن قارئًا ولم يكن يكتب وما أَوْحَى الله إليه شيئًا، وما ثمّ دليل يؤيد صدق إدّعائاته. فلو ثبتت إدّعائاته لأنتفت كلٌّ مصداقية للقرآن والحديث. بل لكان الإسلامُ محضّ كذب وافتراء على الله سبحانه وتعالى علوًا كبيرًا. ولا شك أن الجهل حدا به إلى مثل هذه الإدّعاءات، وقد يكون مصابًا، ومن المحال محاولة الدفاع عن تقولاته بوجه من الوجوه، ولا يخطر ببال أحد في العالم حتى الغرب المسيحي إدّعاء النبوة، لأنه رمزُ التّخلف والجهل والبُعد من معاني، وقيم الدّين وركبِ الحصارة. فلو حاول الأتباع الرجوع إلى الصواب بالتمسك بنصوص القرآن والسنة، لكان أولى وأجْدى لأن الرجوع إلى الحق خير من التّمادي في الباطل. إنّ ابتعاد أهل العلم من هذه الطائفة وسكوت أهل الحقّ عنهم يعود فقط إلى عدم تقيّدهم بنصوص القرآن ومصادمة دعواهم مع جوامع كلم الحبيب ص. فلولا هذه المخالفات الصريحة المنافية لأركان الدين لكانوا من خيار المسلمين ولأيدهم جمعٌ غفيرٌ من الناس، كما أيّدوا سائر من ادّعوا الولايةَ، ولم يخالفوا نصاً أو سنةً، بغض النظر عن سائر الإعتبارات الأخرى بما فيها التبحّر في الشريعة والحقيقة أو الجهل عنها مطبقا مُشَبَعًا بالدّجلِ.

ولد الإمام بمدينة يُوفْ، سنة 1843م بها عاش وتوفي سنة 1909م. وقد إلتــفّ بعــض الناس حوله، وخافت سلطات فرنسا من تفاقم أمره، فألقوا عليه القبضَ للتحقيق، فوجدوه مسالمًا، بريئًا مما يتخوفون، فأطلقوا سراحه، وكان بمعقل جزيرة غُورِي قــرب دكــار العاصمة. ويقول الأتباع عن هذه الحادثة روايات شتّى ليست لها أهميّــة مــن الناحيــة العلمية والدّينية، ولم يترك أثرًا ذابال في ذاكرة الجيل.

وأعجب من كل ذلك إدّعاء إبنه عيسى بأنه روحُ الله عيسى بن مريم وأنه رجع إلــى الأرض لإعادة الناس إلى الصراط المستقيم، وكان هو قارئًا على الأقل، بخــلاف الأب، فهو كان صيّاد أسماك قبل إدّعاء النبوة. وهذا ممّا زاد الطين بَلَّةً، وزاد من هُجْرِ الناس وفرارهم منهم، ولذا أصبح الإنطواء والإنزواء قاعدة عامة عنــدهم، ولــيس بالإمكــان مخالطة أحد العلماء بهم للعلل والأسبَابِ المذكورة. وقام أخيرًا بعضُ شباب منهم بالسفر إلى العالم العربي بحثًا عن العلم، ورجعوا بشهادات في علوم الشريعة والإقتصاد أمثــال أحمد صغير غَايْ وسيدنا عيسى لاي تَشاوْ وغيرهما، لكن التزمــت والغلــوّ والإفــراط والخوف من النقد وفقدان المزايا الماديّة، والسلطة والجاه خــوّهم وقــذف فــي قلــوبهم الرعب، وما حاول أحدٌ منهم أم يعيد الحقَّ إلى نصابه، بل إلتزموا السكوت جَرْيًا علــى العادة، حيث توجد لدى جميع الطوائف منكرات لم يغيرها ابناء الزعماء بعد تخرّجهم من الجامعات، وذهب بعضهم إلى تأييدها. وأبتهل الولى باسمه العظيم الأعظم أن يــرزقهم ويمنّ عليهم الهداية بقوة إسم الجلالة الذي يرفعونه بالذكر الدّائم، إنّه وليّ ذلك والقــادر عليه، وهم نعم المولى ونعم النصير.

إن اتباع الإمام المهدي المرسل يروُونَ عنه أساطيرَ وأقاويلَ وخُزَعبلات وخرافــات يرفضها العقل السليم والمنطق البريئ، وكلها تتنافى مع روح نصوص القــرآن وهــدي المصطفى ص. ويقيمون حفلة سنويةً لإحياء ذكرى دعوته وزيارة كهف بجانب الساحل الأطلسي، قرب مدينة انْغُورْ، يعتقدون أن نور الإمام تخبّأ هنالك أكثر مــن ألــف ســنة ينتظر موعد الخروج، وأن جبريل أَعْلَمَه بنبوته، وكان يؤيّده في الإتيان بخوارق العادة. وكان له صحابة يتكلمون عنه ويدافعون عن دعوته أمثال الشيخ مالك امبي، الذي عاش مئةً وخمسَ سنين (1852 - 1957م) قضاها في إمتداح الإمام والرّفع مــن شــأنه، وتأييــد

إدّعاءاته وهو جدّ والدي من الأمّ، وكان يقول الشعر بلهجة وُلُوفْ، وما كان شعره ملتزمًا بالعروض أي مَوْزُونًا مقفّى إنما كان شبيهًا بالشعر الحديث في مقطوعاته المنشورة المبعثرة، وقد تنطوي على بعض حكَمٍ ومواعظَ وعَبَرٍ، ونُكَتٍ قد تستسيغُهَا ضعاف العقول والصبيان والجهلة وخصوصًا النسوان اللواتي يكرّسن معظم أوقاتهن في ترديد هذا الشعر جماعيًّا وفرادى، ولا يزالون يرددونه في حفلاتهم العديدة ومواسمهم. لقد عاش علماء أجلاء، وفقهاء أقرباء بجواره، أمثال العلامة الفقيه المفسر، المقرئ حجة العصر الشيخ تفسير مختار غَيْ، الذي ولد بِيُوفْ سنة 1828م ودرس بموريطنيا وامتهن التدريس والتربية طول حياته. وتوفي بِيُوفْ سنة 1910م، ومنه تعلَم الإبن الأكبر للإمام، القرآن الكريم. أما أبوبكر تشاو فإنه تعلّم الفقه من الشيخ جِيزْنُ يُورُ انْجَايْ بمدينة بَرْنِ، وتوفي مبكرًا، وهوالوحيد الذي يمكن ذكره في مصاف الفقهاء، ولم يبلغ أشده ولم يعمّر طويلا مع كامل الأسف. وكان هناك علماء آخرون لكنهم إستخفّوا دعوته وأعرضوا عنها. كما أنّ سلطات الإستعمار كانت تشجع مثل هذه االظواهر التي تسبب ضعفًا وهوانًا في جسم الأمّة الإسلامية وتجعله هدفًا لسهام الناقدين. والمعروف هو أن الإستعمار يؤيد الخرافات والشعوذة ويحارب الحق والحرية والعدالة والمساواة، فنحن أقارب الإمام وأولى الناس بالدفاع عنه لو لم تخالف دعوته نصوص القرآن والسنة.

التاسع : الحاج عبد الله انياس المتوفى سنة 1922م

وهوفوتي عاش بجلُوفْ وسَالُمْ وكان لاجئًا سياسيًّا بغامبيا عدّة سنين فرارًا من ضغوط وجور واستفزازات ومناورات وارهاب سلطات فرنسا، ضدّ مواقفه. وقد إتخذت فرنسا إجراءات رادعة للإنذار والتعزير والإرهاب ضد الأعلام، وزعماء الدين أمثال الحاج عبد الله انياس ض. وهوعالم، لغويّ، فقيه سنيّ، تجانيّ ممحمدي، مدرس عصاميّ، نادر المثل. بلغ في مجال التدريس شأوا ضليعًا، وفاق فيه أهل عصره، وإقيليمه بالخصوص.

والذكور من أبنائه الذين ناهزوا الأربعين كانوا هداةً، تقاةً، نجومًا وأعلامًا، بهروا أقرانهم في سائر فنون العلم، ويكفي للتعريف بهم ذكر الحاج محمد أَمِنَةَ، كبير أبنائه، وشيخ الإسلام الحاج إبراهيم انياس، دون العباقرة منهم الآخرين. يعتبر بيت الحاج عبد الله انياس بيت علم وتعليم وعمل بالكتاب والسنة ويعيشون بالسعي والجدّ والكدّ، وهو من أولى العزم في مجال الدين.

أَبِيٌّ مقدامٌ يحسم المواقف، ويصرح بالرأي، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولايخاف في الله لومة لائم، وهوحليف الحقّ ويدور معه حيث دار. وهكذا أهله وذرياته، ولايزال بيته منارًا للعلم ومقصدًا لِوُفُودِ العلم والطلاب من داخل البلاد وخارجها، وخصوصًا من نيجيريا وغانا ومريطانيا وأخيرًا أمريكا.

إنّ مدرسة الحاج عبد الله انياس من أهمّ المدارس العلمية الفقهية الأدبية بالبلاد، ومن أكثرها إنتاجًا، وأنشطها في التبليغ ونشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد فاق الحاج محمد أمينة انياس في التأليف والقريض علماء عصره، كما فاق شيخ الإسلام في الدعوة والإرشاد والتبليغ جميع من قورن به في الزمان. ويمكن وصف جميع أبناء الحاج عبد الله انياس بما وصف به نجوم الهدى في كل مكان وزمان إلا أنهم يتفاوتون في الخبرة والجدارة والتخصص والكتابة وقول الشعر، والعلمُ قاسمٌ مشتركٌ بينهم، رجالهم ونساؤهم، كبارهم وصغارهم، ومن كبار علماء هذه الأسرة الشيخ الورع التقي الزاهد عميد المدرسين الحاج أحمد تشام الذي كرس أكثر من نصف قرن في تدريس جميع فروع علوم الدين وعلوم اللغة والأدب العربي إلى آخر نفس من حياته، كماعاش

في تقشف وزهد وقناعة، فقيرًا إلى الله. وأدخل بالتوبة النصوح إلى الله جمعًا غفيرًا من المجوس والوثنيين وإلى حظيرة الإسلام، وهم ألوف مؤلفة. وقد تخرج من مجلس علمه نخبةٌ ممتازةٌ من أساتذة العصر الذين يتباهى بهم الشعب والوطن في داخل البلاد وخارجها، أمثال الأستاذ إبراهيم محمود جوب وأولاد شيخ الإسلام دورًا إستثناء. كما مرّ بمدرسته بعض كبار المدرسين الأعلام أمثال الحاج تفسير باب جوف بِبَرْنِ، وأكثر علماء منطقة سَالُمْ وإليه كانت وفود الحوسَ يفدون، ومن معينه يَرْتَوُون، ومن حكمه يتزودون، ومن مواعظه وعبره يتقوّون، وآثاره تشهد بقدره وشرفه وولايته وسلطانه في الشرع والحقيقة، ويقوم خَلَفُهُ بمواصلة رسالته في مجال التدريس وعلى رأسهم القرم الصنديد المتفانى الحاج أبوبكر تشام وإخوته الأستاذ مرتضى تشام والهاشمي، وهم من خريجي جامع الأزهر بمصر وجامع القرويين بفاس (المغرب).

كما تجدر الإشارة إلى أن هذه المدرسة تعتنى بتربية البنات وتعليمها وتثقيفها حتى تفوق الرجال في كثير من فنون العلم. وتعتبر السيدة الحاجة مريم انياس مديرة أكبر مدرسة قرآنية في العاصمة، تتولى تربية الناشئة وتعلميها مبادئ الدين واللغة العربيّة من الأسرة.

ولهذه الأسرة علاقات وصلات دموية ودينية مع بعض كبار الأسر العلمية بموريطانيا ولذا تتميزّ مدرستهم بحسن النطق والترتيل والتجويد والحفظ والفصاحة والبداهة ودقة الإرتجال. يعتبر الحاج أمين انياس القنصل العام بجدة، العربية السعودية، وإبن أخته الأستاذ الحاج حسن سيس، إمام الجامع الكبير بمدينة شيخ الإسلام، رصيدً ضخمًا ومَعِينًا فيَّاضا وينابيع لاتغيرُ ولاتنضب، والأسرة تُعيرُ لهم إهتمامًا بالغًا والأمّة الإسلامية والنخبة المثقفة بالعربية في البلاد لذلك.

<u>آثار مدرسة الحاج عبد الله انياس</u> :

بغض النظر عن العلماء والفقهاء الذين كونهم أثناء حياته، فقد أنشأ أتباعه مدارس فقهية وأخرى لتحفيظ القرآن في مختلف أنحاء سَالُمْ، وغَامْبِيَا وموريطانيا ونيجيريا وغانا ناهيك عن تلك المعاهد التي ترسل إليها جامع الأزهر الشريف سنويًا عددًا من مدرسيه، يُعِيرُهم لها في إطار التعاون الثقافي الإسلامي مع معهد الأزهر بكولخ لمدة عام أو

عامين مجانًا. وهذا المستوى العالي من التعاون دليل على تقدم المدرسة في مجال التعليم والتكوين. ومن آثارها الجوامع الكبرى التي تعتبر مجالس علمية وَمُلْتَقَى للوعظ والإرشاد وتدريس علوم الدّين بالطرق التقليدية وإلقاء محاضرات وندوات وإدخال المجوس إلى الدين الإسلامي والمسيحيين كذلك.

الدين الإسلامي واللغة العربية والعالم العربي والأمّة الإسلامية مَدينةٌ لهذه الأسرة المسلمة العريقة بجميل الشكر والثناء لما تقوم بها من أعمال جسام لخير الإسلام ولغة الوحي والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. وبخصوص التربية والترقية والتصوف فلهم قصبة السبق فيها، ولهم في المجال صوتٌ، جهورٌ، مسموعٌ، مقدرٌ، وكان زعيم المدرسة، قد أخذ الإذن العامّ في تلقين أذكار وأوراد الطريقة الأحمدية المحمدية التيجانية من شيخ الزوايا العارف باللّه سيدي الحاج مالك سه، إثر عودته من فاس، حيث حصل على علمٍ بأن مطلوبه لدى بلاده عند الصنديد القرم إبن عثمان رضي الله عنه.

وفي هذا المجال لعب شيخ الإسلام دورًا أهمّ من دور جميع الخلفاء حيث لقن وأذن في ملازمة أذكار الطريقة عددًا يربو على سكان السنغال ثلاث مراتٍ، وهذا شرف لم يسبق لأحد مثله في الطريقة حسب معارفنا القصيرة. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تقاوم سلبيات النظم السياسية زمنًا طويلاً وتحدّتْ ظروف الزمان والمكان ونالت مرتبة الشرف وقصبة السبق في الذود والدفاع عن الإسلام ولغة الوحي، وهي اليوم كغيرها معرضة لرياح التغيير، وتيارات الغزو الفكري، الثقافي، السياسي الجارف التي تجتاح البلاد.

وللمدرسة مكاسب أخرى تتجلى في الجيش العرمرم من المثقفين الذين يرتادونها، بين أبناء يتنمون إليها، وأتباع تربوا وَارْتَوَوا من مشاربها، وأحباء يحبونهم في الله، لله، ويساندون خطاهم. وقد نجح أخيرًا أحد أبنائهم على إنشاء محطة إذاعية مدعمة بجريدة يومية تصدر في جميع أقاليم البلاد / سيدي الأمين انياس، سليل الحاج محمد أمينة انياس، الشاعر المفلق، والعالم المفتوح الذي لايباري في البيان ولغة العرب ولا يداني بأحد من البيض والسودان. وهذه المحطة الإذاعية أحدثت تغييرات هامة في البلاد وتطورًا هائلاً في الفكر والوعي والنضج والسياسة وحرية التعبير، أوضحت معالم،

وأزالت ظلمات كانت مخيمة في عقليات كثير من الجهلة المسلمين، وأوقفت أعداء الإسلام عند حدودهم وخوفت الفرمسة، وصدّت عن هجوماتهم و أسكتتهم تمامًا، كما شجعت المهمشين المستعربين على التعبير عن آرائهم وعلى الكتابة والنشر والوعظ والإرشاد وتبليغ الدعوة الإسلامية.

إنّ محطة إذاعة والفجر وجريدتها لتعتبر نعمة كبرى أنقذت البلاد من الغرق في خضم بحر الثقافة الفرنسية والدين المسيحي والمثقفين بهما، والمنظمات السرية، التي تغزو وتجرف كلما وجد على سبيل تيارها، ولكن قواها وأركانها وطاقاتها ومنابعها تبقى بالدوام هي العلم والتعلم والتعليم، وتلك ديدنهم وحياتهم وتراثهم وهم رغم سلبيات النظام القائم متمسكون بالعلم ولكن ملامح التغيير وعناصر التخريب من الساسة بدأت تتسرب في الأسرة وتحاول أن تؤصل وتقلع هذه المقومات الأصيلة من جذورها وتصير جثة هامدة لاحراكة فيها. وتلك من مهام النظام القائم المؤيد من فرنسا والكنيسة {ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} (الحج، الآية :).

أمّا المؤلفات التي تركتها الأسرة فلايسعها هذا الكتاب المتواضع، وهي بالجملة تراثٌ قيّمٌ ممتازٌ. وأذكر منها : كاشف الألباس والكبريت الأحمر، ومرآة الصفاء للحاج إبراهيم والخليفة محمد أمينة انياس ض.

العاشر ـ الشيخ حمى الله المتوفى سنة 1943م

ولد الشيخ حمى الله بمدينة نعمة، جمهورية موريطانيا الإسلامية، وثمّ تربـــى، ودرس ثمَّ قصد بلاد غرب القارة كعادة جميع الدعاة الموريطانيين. فاســتوطن مدينـــة (نُــورُ) العمرية المتأخمة على حدود مالي. وسرعان ما التفّ حوله جمهور من الرواد والأتباع، مما خوّف سلطات الإرهاب الفرنسية فألقوا القبض عليه، ونقلوه إلـــى بّـامَكُو عاصـــمة مالي، ومنها إلى دكار عاصمة السنغال، ومنها عن طريق البحر إلى الجزائـــر، ومنهـــا بحرًا إلى القاعدة العسكرية تُورِينْ حيث نفذ الحكم عليه بالإعدام بفرنسا سنة 1943م.

وقد حاول بعض أتباعه إنقاذه من الورطة، لكن المعارضين والخـــصوم التيجـــانيين كانوا أشد منهم، وأقرب إلى مسامع سلطات الإستعمار، ومن خصومه الألداء الحاج سعيد نور طال الذي يعتبر من كبار المعاونين الذين قدموا خدمات جلى لقوات الإحتلال وبقوا مخلصين لها طول حياتهم. ولما حاول أن يقنع الموريطاني بأن الله موجود في كل مكان : قال له مجيبًا، إنّ الله لايوجد في قلب هذا الفرنسي الكافر بالله. ويعزى الخـــلاف بـــين الشيخين إلى عدد ترتيل جوهرة الكمال عند الوظيفة وكان يقول بأحد عـــشر مـــرة. ولا يزال هذا الخلاف قائمًا بين الأخذ والردّ من الجبهتين، وما كان الأمر جـــديرًا بالـــشقاق والقتال والسعاية التي وصلت إلى حد نفي الشيخ الموريطاني واغتياله بالنكال والتعـــذيب والإرهاب بفرنسا في السنة المذكورة.

ومن كبار اتباع الشيخ حمى الله الحاج بوبكر به وجماعته، وهم تيجانيون متزمتـــون متشددون مع مخالفيهم، لكن هذه المخافات في الفروع كان الأولى من هؤلاء وأولائـــك نبذها، والإهتمام بالأهم حتى لايكونوا جميعاً عرضة وطعمة للإستعمار، وهو ما حصل لهم بالفعل، قتل الأول واستعمر الثاني وخسرهما الإسلام والمسلمون في نزاع لافائدة منه إطلاقًا.

ولو جمعوا قواهم ووحدوا صفوفهم وكلمتهم وتمسكوا بالأصول وتسامحوا في الفروع لأنتصرووا ولأرهبوا عدو الله وعدوهم فرنسا. يا حسرتا على ما فرطنا.

الحادي عشر : **الشيخ احمد بنمب بك ض (1853 - 1927 م)**

ولد الشيخ الخديم أحمد بنمب بك بمدينة بَكٍّ بَوَالْ سنة 1853 م حيث هاجر والده الشيخ مُورْ أَنْتَ سَلِ بَكٍّ، ومن بُرُوخَانْ بِسَالُمْ رفقة الملك لَتْجُورْ كُونِ لاَتِرْ جُوبْ الذي أسلم على يدى الإمام مَبَهْ جَغُ بَهْ، الذي أذن للشيخ القاضي بالرحيل معه وملازمته. وتولى القضاء له بإقليم كَجُورْ ولهذا السبب نقل بعض أفراد أسرته من بُرُوخَانْ إلى كَجُورْ وبقي بعضهم بسالم، وكان يتردد بين المنطقتين. وقد ولد الشيخ أحمد بنمب بمحل إقامته الجديدة، وسرعان ما أقاله الملك من منصبه وعين مكانه الشيخ القاضي مَجَخَتَ كَلاَ قاضيًّا للبلاد بدلا منه هذا، بعد حوار، وأخذ وردّ، ونقاش شيّق، يتعلق أهمّه بالجهات التي تتولى جِبايةَ الزكاة وتوزيعها لمستحقيها. وكان الملك يرى أن هذه المهمّة تعود إليه كأمير المومنين، وملك البلاد، ويرى الشيخ خلاف ذلك، لحداثة دخوله في الدين، وقلة ورعه، وانشغاله عن شؤون الفقراء، وكانت الغزاة الفرنسيون تضرب حصارًا عليه، وتترصد حركاته، وتنقلاته، للفتكّ به، واحتلال البلاد قسرًا ونهب ثرواتها، بكل راحة وطمأنينة، وكان الملك يصول، ويجول، ويكرّ، ويفرّ، والغزاة جادُّون في المطاردة.

في هذه الظروف الطاحنة، ولد الشيخ أحمد، وقد تأثرت مخيّلتُه بملاحم ومأساة المقاومين الذين أبادتهم مرتزقو فرنسا، وما استطاع أن ينسى هذه المساوئ. وكان أخوه من الأم مُورْ جَارَ بُصُ يعيش تحت كفالة والده، وقد سافر وتردد مع أفراد الأسرة بين سالم وبَوَالْ لزيارة أقاربه هنالك، وكان أكثر إقامته ببَوَالْ. تلك هي الظروف التي شهدت بولادته وتركت بصمات على تاريخ حياته الحافلة بالملاحم.

دراساته رضي الله عنه

درس القرآن عن أخيه الكبير تحت إشراف والده، وقيل أن هذا الأخ مُورْ جَارَ بُصُ كان من كبار حفَّاظ القرآن وقرَّائه، كما درس عن القاضي مَجَخَتَ كَلاَ، وعن الشيخ صَانَمبَ تكلور كَاهْ وغيرهم من أقربائه، ولم يكن الأمر صعبًا لكون أسرته بيت علم. وقد درس بعد ذلك علوم القرآن والتوحيد، والفقه، والقصص، واللغة، والأدب، وعلم التصوف. تضلع في هذه الفنون وبرع في اللغة، وخاض لجج التصوف، ومهر في صناعة القريض، وقول الشعر، ونظم العبر وقواعد الفقه والنحو والتصوف والعقيدة

وأتى شعرًا ونثرًا ونظمًا بكنوز، ونفائس، قل أن يـأتي بمثلها سابق وعجـز عنها اللاحقون.

نشأة المريدية وتطورها

كان الشيخ الخديم في مبدإ أمره شيخ تعليم، وتأليف، وكتابة. وقد إعتنى بتعليم وتدريس القرآن، وتربية النشيئة مدة يسيرة، ثم بعدها إهتمّ بالتربية الصوفية فقط. واستخدم بعض أتباعه في مهامّ التعليم، والتدريس، وكتابة المصاحف، وإدارة شؤون المدارس. وقد أَلْفَتَتْ طرق التربية ومناهجها لديه إنتباه سلطات الإستعمار، وأنظار الحاقدين من ملوك الوثنية وبعض الوجهاء من المسليمن المتآمرين. ومشى هؤلاء وأولائك بالوشاية والسعاية واستفحلت الأمور، وشاعت أخبار إستعداداته، وتدريبه جيشًا عرمرم من الأتباع لشنّ حرب ضدهم : (الإستعمار والوثنية) فحاربته السلطتان الوثنية والإستعمارية المسيحية. ولمنع قيام عدة ثورات في مختلف أقاليم البلاد، دُبِّرَتْ فكرةُ نفيه من البلاد، فَنُفِذَتْ الفكرة سنة 1895م فألقوا القبض عليه، ونقلوه من بَوَالْ إلى سانتلويس العاصمة، ومنها إلى دكار، ومنها إلى الغابون مارًّا بجميع دول غرب القارة المتأخمة لسواحل المحيط الأطلسي. وبقي ببلاد الغابون سبع سنين أي حتى سنة 1902م حيث أعيد إلى السنغال، وبفضل تدخلات المندوب السامي لفرنسا بدول المستعمرات، النائب لدى مجلس أمّتها، السيد بِلِيسْ جَاجْ، الذي كان ضابطًا في خدمة الجمارك الفرنسية بغابون، وتعارف بالشيخ البكي، وتعاون معه حتى أتم الله عودته إلى بلاد السنغال، بفضل هذا التعاون الخيّر، ولكنه مالبث أن أثار مرّة أخرى أنظار الحادقين فاتخذت سلطاتُ الإستعمار قرارًا آخر بموجبه يُنْفَى من البلاد نهائيًّا، ولما علم الشيخ عبد الله ولد الشيخ سيدي الموريطاني بالقرار ــ وكان يتمتع بحصانة، وثقة متبادلة مع الفرنسيين ــ تدخل لصالح الخديم البكي أحمد، وطلب منهم نَفْيَهُ إلى بُتْلِمَتْ، حيث عاش الشيخ سيين عديدة بجوار الأسرة السيدية لدى بئر الجرار حتى سنة 1912م. وقد أعيد مرة أخرى إلى السنغال إثر تدخل عدة شخصيات سنغالية لصالحه، أمثال الشيخ بن مقداد الذي إرتبط بعلاقات صداقة معه، وأعادوه بشروط قاسية، ووضعوه تحت نظام إقامة جبرية في منطقة جُلُوفْ، بقرية جِيِينْ التي مَحَتْهَا آثارُ وَبَاءٍ مَرّتْ بالمنطقة. ومن ثمّ نقل مرّةً

أخيرةً إلى مدينة (جُورْبَلْ) تحت إقامة جبرية ــ حتى يوم وفاته في 19 يوليو سنة 1927م، ودفن رحمة الله عليه بها، بعد تحرير محضر لإثبات الوفــاة، مــن حــاكم المقاطعــة الفرنسي، قصد إعلام فرنسا بنهاية الخطر.

وملحمة النفي هذه يكمن وراءها سرُّ قُوى المريدية التي صارت فيما بعــد طريقــة صوفيّة مستقلة عن غيرها، ولها أتباع كثيرة في السنغال، وشــعارها العمــل الكــادح، والتوكل عليه، والتضامن بين أعضاء الطائفة، وتنفيذ أوامر زعيم الطائفة دون تفكيــر، أونظرٍ أو رأيٍ، أو مُبالاةٍ، فيما تؤول أو تؤدي من عواقب!...

وقد نجحت هذه الطائفة الصوفية في تعبئة واستقطاب الجماهير إلى صفوفها لعوامــل عديدة منها : صدق النّية، وإخلاصها، وتفانيها في مبايعتها، وكونهــا تــستمد مناهجهــا وتطبيقاتها، وغاياتها من صميم البيئة الإفريقية، ولاتتطلب من الأتباع إلتزامات مُــضْنِيَة ولا تبعدهم عن عادات البيئة، علاوة على الألقاب، والدّرجات التي تعطيها لأتباع عنــد نهاية فترة الخدمة الازمة في مصالح الشيخ زعيم الطائفة. تمنح الطائفة لقب الشيخ الرائد الذي نال رضى الزعيم، فيصبح بذلك قادرًا على كسب أتباع خاصة به، ومزارع كبرى، وممتلكات شتّى، ويبقى وَسِيطًا بين الأتباع وزعيم الطائفة، ويعطى لــه الــزعيم مزايــا ونفوذا ويُخَوَّلُ له واسع سلطاتٍ، ويستقطب الجماهير نحوه، ما بقي مخلصًا وفيًّا للــشيخ زعيم الطائفة.

المريدية اليوم أكثر طوائف البلاد نشاطًا في المجال الإقتصادي والــسياسي، فهــي نشطةٌ، منتجةٌ، وجادّةٌ في التصدير والإستيراد، وتوجّه الراي السياسي أثنــاء حمــلات الإنتخابات، ويصوت لصالح الأتباع الذين يثقون بإخلاصهم للطائفــة. ولايعيــر زعــيم الطائفة أدنى إهتمام للمناصب السياسية، ولكنه يعين أتباعه للوصول إليها بكل الوســائل المادية والمعنوية ولهذا أصبحت المريدية قوة إجتماعية، إقتصادية، سياسيّة، دينيــة لهــا ثقل كبير، تؤخذ في الإعتبار رأيها في كل ما يجري في البلاد ولهــا كلمــة مــسموعة ومحترمة. وتكمن قوة المريدية بأتباعها لابأولاد زعيم الطائفة خلافًا عن غيرهــا مــن الطوائف الصوفية، وتلك عملية إستراتيجية ناجحة لم تستطع باقي الطوائف إنتهاجها لما لها من مخاطر توزيع السلطة والمزايا والنفوذ، واقتسامها مع الأتباع وكثيرًا مــا نــرى

شيخًا أقوى وأكثر نفوذا وجاهًا من أحد أسباط شيخ الطائفة لدى المريدية، ولاتوجد لـــدى غيرها بتاتًا.

لم يكن لزعيم الطائفة متسع من الوقت لتوضيح معالم وآفاق طريقته ووضـــع أســـس لها، وكان متمسكًا بالقادرية مثل والده الشيخ مُورْ أَنْتَ سَلِ بَكِّ، وقد أجيزَ، وأُذن، وقُـــدم في الطريقة الأحمدية المحمدية التيجانية وعمل بها ويبدو أنه عمل بعدة طرق أخـــرى. ومهما يكن من أمرــ وكعادة جميع مؤسس الطرق ــ فإنه صرح أخيرًا أنه تـــرك هـــذه الطرق، واعتصم بالقرآن والسنة، وتخلّى عن أصحاب الطرق، واقتدى بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلّم. وما أعلن فيما نعلم أنه أسس طريقة ما، كما يزعم كثير من الناس، وأصدقُ أتباعِه يتمسكون بالقادرية حتى الآن، وهم أهل دار مُعْطِي، أولاد الشيخ إبراهيم بَكِ أخو الشيخ احمد، نائبه وخليفته في الأهل خلفًا وسلفًا. يقول الشيخ أحمد بخـــصوص تخليه عن مشائخ الطرق، وعن الطرق كلها :

بان لكل من له معقول   أنّ وسيلتي هو الرسول

وقال ايضا

ظهر لي أن إعتصمًا بالكتاب   وبالنبى المصطفى هو الصواب

ولهذا وجه كلّ همّته في خدمة القرآن ونبى الله ص، حتى سُمّي بخادم الرسول أو سَمَّ نفسه بهذه التسمية. وأرى أن الرأي الأخير أصحّ لقوله في بعض مدائحه:

أنت الكريم، أنا الخديم   دهرًا أديم فيك ثناء

وقد حدثت تطورات وتحولات وتقولات، وتأويلات، وانحرافات، وتسربت في أفكـــار وآراء الشيخ، أقاويل، وأساطير، وخرافات، وإفتراءات جاوزت حدّ المعقـــول، ووصـــل بعض الأتباع إلى تأليهه، ومصادرة مقامات الرسول له. وبوّأُوه فـــوق عـــرش المـــولى سبحانه وتعالى حيث أصبح هو المتصرف الوحيد في ملك الله وملكوته. ومرد كل هـــذا هو تفشي الجهل في صفوف الأتباع وشدة الغلوّ والتفريط، والإفراط، وإهمـــال العلمـــاء منهم، وتخليهم عن مسؤولياتهم تجاه الأتباع، بخصوص الدعوة والتبليغ الصحيح، مستمدا من نصوص الكتاب والسنة. كما قال هو بنفسه : أن الإعتصام بالكتـــاب والـــسنة هـــو الصواب. وليست هذه الظاهرة قاصرة منحصرة لدى المريدية فقط، بل أصـــبح الـــداء

يعالج بالداء عند جميع أصحاب الطرق الصوفية، وتستعمل نفس الأساليب لربط أتباعهم بذيولهم. ولاشك أن الغبار سينجلى يومًا، وتعود المياه إلى مجاريها الطبيعيـــة، وتنتهـــي المسابقة، والمطاعنة، والمخاصمات بالعودة الحاسمة إلى الكتـــاب والـــسنة. فالحـــالات السائدة لدى زعماء الطرق عبارة عن نفوذ ومزايا وسلطات مادية دنوية صرفة تـــدّعى إنتمائها بالدين، وهم أعرف الناس بأنها ليست من الدين في شيئ. وحرصا منهـــا علـــى حماية مزاياها ونفوذها تتسامح مع حركة البايفالية المناقضة مع مبادئ الـــدين وفلـــسفة الشيخ أحمد في مواقفه ومناهجه وتعاليمه وكتاباته. ولا أدلّ من ذلك أوضح من مـــسجد جوربل، وجامع طوبى الأعظم. وما كان العارف بالله ليتسامح مع مثل هـــذه الحركـــات التي لايقبلها مجرّد الذّوق السّليم، وبالأحرى العقل والنقل ونصوص الكتاب والسنة. وأهم موسمٍ دينيٍّ لدى الطائفة المريدية هي مناسبة مغادرة الشيخ أحمـــد أرض الـــوطن إلـــى المنفى، أو عودته منه. وتجري نشاطاتها بمدينة طوبى مقر الزعيم، مرة فـــي الـــسنة، ويحضرها الأتباع من كل حدبٍ وصوبٍ، كما يحضرها غيـــرهم، لأنهـــا تمثـــل اليـــومَ معرضًا تجاريا إقتصاديًا تبادل خلالها أهم المنتوجات المحلية، والمستوردة مـــن أنحـــاء العالم وتدوم إستعداداتها حوالي شهر تقريباً، وترسل إليها الحكومة وفدًا سياسيًا هامًّا كما تحضرها التمثيليات السياسية المعتمدة في البلاد جميعًا.

أما الحفلات الغنائية، وحفلات ذكرى الأموات من زعمائهم، فإنها تدوم، وتعم جميـــع ليالي السنة، وخلالها يردّدون القصائد التي قالها الزعيم الأكبر في مدح النبى ص. وهذه القصائد تقرأ، وتحفظ في الصدور ولها مكانة أهمّ من القرآن لدى عوامّهم، ومن الصعب مساومة أي شيئ في أحد أسواقنا بهدوء من أجل شغب، وضجيج القصائد التي ترددهـــا الباعة المريد في محلات تجارتهم بآلات التسجيل، وأَصْوَاتٍ مزعجة ومرتفعة. زد على ذلك، ظاهرة البايفال الجوالة عبر أحياء المدينة وقلب العاصمة يتكـــسبون، ويتـــصدقون باسم الشيخ أحمد، ويحدثون أضرارا جسيمة على الجميع. وخصوصًا هذا الـــدين الـــذي يدعون الإنتماء إليه، دون صلاة وصوم أو حج.

أمّا ظاهرة مجاوزة الحد الشرعي لعدد الزيجات فهي عامّة فيهم، وقد أصبح زعمـــاء الطرق الأخرى يقتدون بهم في تعدّى هذا الحد الشرعي المتفق عليـــه. ويبـــدو أن هـــذا

التطور السريع المذهل والسلبي في جوانبه الدينية لم يكن متوقعا في البدء لأن الزهد والورع، والتقوى أساس الطرق كلها تقريبًا. والمعروف هو أن الجيل الذي رباهم شخصيات كانوا علماء أتقياء، هداة وسادة سُراة تقتدي بهم. ولما إختلطت الأجيال التالية بماسكي السلطة السياسية صاروا مثلهم، ويستوي، في هذه الحالة المريدية والتيجانية وغيرهما. وقد وصل بعضهم إلى الحضيض الأسفل، حيث يقومون بتبرير إعتداءات السلطة ضدّ المواطنين، ويضمنون بقاء الظلم والتعسف وهتك الحرمان والقمع والفوز في الإنتخابات، وغيرها من الجرائم الإجتماعية والسياسية والإقتصادية. فأضرار الساسة الظالمة أخف من أضرار المشيخة التي تبرر لها وجودها وجرائمها، وتبارك مشروعاتها، وتتعاضد معها في كل نشاطاتها. والشعب اليتيم يتفرج ويترقب نصرًا من عند الله، ينقذه من مخالب السباع والكواسر البشرية التي وقع فريسة بين أنيابها المسمومة. وهناك ظاهرة اللجوء إلى الطرق الصوفية والإحتماءِ بها، إما لنيل منصب إداري، سياسي، أو للإفلات من عقوبة بعد إرتكاب جرائم أو إختلاس أموال الدولة، وخرق قواعد النظام العام. الموظفون في هذه الحالات يلجئون إلى زعماء الطرق طلبًا للحماية مقابل الهدايا التي يقدمونها لهم قبل إرتكاب هذه الجرائم العمدية. كما يلجأ إليها الطلبة في الجامعة وخصوصًا أولائك الذين نبذوا فلسفة الشيوعية والإيديولوجيات المستوردة من الغرب، تحمي هؤلاء بالطرق وزعمائها، ويجعلون من الطرق وسيلة للمطاردة والملاحقة، والكفاح ضدّ تيارات الغزو الفكري الثقافي المسيحي. لكن هذه الفكرة أو الوسيلة الأخيرة وصلت بعد ان بلغ السيل الزبى لأن معتنقيها لايعرفون من الدين شيئا، ويعتقدون أن زعماء الطرق والتعلق بهم وبآرائهم، وأفكارهم، وحضور مواسمهم، والتردد لديهم مع الهدايا والتبرك بأدعيتهم. هذه الظواهر الفلكلورية العقيمة هي الدين كله. وتجاريهم السلطات، تشجعهم في هذا المنوال، وتحضر مواسمهم ومناسباتهم، وتضع الوسائل الازمة بأيديهم لتشتيت شمل المسلمين على مرأى ومسمع من الجميع. وهم في هذه الحالة يصدقون قول شيخ عمر الفوتي رضي الله عنه:

على كل ميت نائحات ينحنه وليس على دين المهيمن نائح

وبخصوص التصريحات، والدعايات، والإفتراءات على الله وعلى نبى الله ودينه فإنها ديدنهم الوحيد، وقد أصبحت شائعة لدى الزعماء، والأتباع، ولايقارن في هـذا المجـال دولة السنغال بإحدى دول العالم الإسلامي. ويبدو في هذا الشأن أن الإسلام الذي نـزل على قلب محمد ص.، يختلف مع إسلام هؤلاء، لأن آبائهم وأجدادهم، أعمـدة وأركـان دينهم، ولاَتصَوَّرُ الدين والعلم والعمل في حقل الدين على ملك الله وملكوته مـن غيـر الإعتماد والرجوع إليهم، وهم مجهولون خارج حدود إقليمهم، وجهـلاء دينيًـا وعلميًـا وفكريًا ويقوم بعض المذبذبين والمنافقين بمحاولة تبرير جهلهم، وغيابهم عن عالم الفكر والدّين بالأكاذيب والإفتراءات. ما كان دور الطرق أساسًا لتردي بالأتباع، وتُلْقيهم فـي جحيم التمزق ونار الجهل بل كان القصد إيصالهم إلى الله بأقرب الطرق وأصحها، وهو التمسك بالكتاب والسنة، أصلي الدين اللذين تركهما رسول الله ص. وهيهات! هيهات لما نرى اليوم ونشاهد من هؤلاء وأولائك. إن الطرق كان الأولـى أن تتطـور، وتـسعى، وتجاهد، وتكافح لخدمة الدين وحماية أهله من التمزق، والمعاناة، والتـشتت، والتنـافر والتحاسد، ولكنها بالعكس، فإنها هدمت وخرّبت كل أعمدة وأركان الدين عمدًا، للأشْـيَاءَ تافهة، لاقيمة لها في الميزان، وهي زخزف الحياة الـدنيا فقـط. إن رسـالة الأعـلام، مضمونها، لم تبلغها الطرق كما ينبغى، فلو تركنا الأمة ماسكة بكتابها وسنة نبيها لكـان خيرا لها وأقوم! هيهات!

<u>مؤلفاته وبعض منجزاته ض</u>

قيل إنها : (حِمْلُ جَمَلٍ قَوِّيٍ)، وقد ألفّ في الفقه والتوحيد والنحو كتبا كان القصد من تأليفها تسهيل حفظ قواعد هذه الفنون لتلاميذه، ومن هذه منظومة الأخضري للشيخ عبـد الرحمن (جواهر النفيس) وتزوّد الصغار، ومنظومة الأجرومية ومنظومة مسالك الجنان الجامع للفقه والتوحيد والتصوف، وكتاب الفلك المشحون. وأما كتب الأمداح النبوية فمن الصعب تعدادها، ونذكر منها على سبيل المثال، المواهب النافع فـي مـدائح الـشافع، ومقدمات الأمداح. وللشيخ دواوين شعر تعتبر قمّة في الأدب، وذروة في اللغة، والبلاغة وعلومها. أمّا ما كُتب عنه من السنغاليين والموريطانيين شعرًا ونثرًا، فإنه يشكل دواوين من أحسن ما قيل، وأجود ما كتب في اللغة والأدب العربي بغرب إفريقيا. وقد حاول إبنه

ورابع خلفائه، الشيخ عبد الأحد، أن يطبع جميع مكتوباته، وجمعها في خزانات مكتبة طوبى الكبيرة، ومعظمها منسخة فقط ومكتوبات الشيخ أحمد البكي في مجموعها قِمَّةٌ، رفيعة لاتُوزن ولاتُقوّم بذهب ولولا الأزمة التي تعانيها البلاد ثقافيًا ودينيا، ولولا العلمانية الكاذبة الملحدة، ولولا الذبذبة والنفاق، ولولا الحرب الصليبية المستمرة، ولولا النظام السياسي الظالم، ولولا تكالب قُوى الشرّ والضلال العالمي ضدّ الإسلام والمسلمين، ولولا سيطرة الكنيسة والمسيحيين على شؤون الدولة والإدارة العامّة والخاصّة، ولولا تيّار قوى الغزو الفكري، الثقافي الإستعماري المسيحي المتسلط على النظام والأوضاع، ولولا اليأس والقنوط المتمكّن في نفسية الشعب، لكانت كتابات الشيخ أحمد أَهَمّ مرجعٍ وسندٍ يعود الشباب إلى أصدافها ليجد ضالّته، ويهتدى به في دنياه وآخرته، وتوجد مراكز ثقافية لمن يعتبرون آباء السنغال أمثال : بِلِيسْ سِنْغُورْ، وَبِلِيسْ جَاجْ، ولوبولد سدار سنغور، ومُورِيسْ، ودُوطَ سِيكْ، وأشباههم.

ولي حق أن أتساءل عن العوامل والدوافع، والحوافز التي منعت من بناء مراكز ثقافية، أو على الأقل تسمية بعضها لأولائك الأعلام الذين هم الثقاة، التقاة، الهداة، وبيدهم ثقة الشعب وأمانيهم ولايعتمدون على غيرهم، ولايضعون مصيرهم ومستقبل وطنهم على عاتق غيرهم أمثال العارف بالله الشيخ البكي أحمد، والفوتي عمر، والقرم الحاج مالك سه، والحاج عبد الله انياس وأمثالهم.

والنظام السائد عاجز عن الإعتراف بفضل أعلامنا الأبرار ويسعى جاهدًا لطمس معالمهم ومفاخرهم ومنجزاتهم، ويستخف بمؤلفاتهم ويعتبرهم أميّين، وأن كتاباتهم عبارة عن شعوذة، وتمائم، وأساطير وخرافات رغم إقرار واعتراف منظمة إِنونِسْكُو بقيمة هذه الكتابات ومنح ألقابًا شرفية لهؤلاء، مثل موسى كَاهْ، الشاعر الأديب. وعلى كلٍّ، فأوان الإعتراف بشخصياتهم والإقرار بفضيلتهم ودورهم لم تَحِنْ بعدُ، ولهذا فَإِنَّا على موعد مع التاريخ والدهر وهو أحكم الحاكمين.

وبخصوص منجزات الشيخ، نذكر أولاً : المسجد العتيق بمدينة جُورْبَلْ، والجامع الأعظم بميدنة طوبى، أضف إليهما مئات المدارس القرآنية التي أسسها في مختلف أنحاء البلاد لدراسة وكتابة المصحف الشريف لنشره بين الطلبة في المدارس وغيرهم من

المحتاجين والمعوزين. وللشيخ منجزات أخرى فـــي مجـــال الإقتــصاد، وتتمثــل فـــي الإستغلالات الزراعية الكبرى التي تدر خيرًا كثيرًا للبلاد، وبها تتعلم الأطفال أســـاليب العمل الزراعي وكيفياته، وفنونه، وظروفه، وآلاته، وتسويق منتجاته داخليًا وخارجيًـــا، ومن هذا منطلق رُوّادِ المريدية نحو مزاولة النشاط التجـــاري والـــصناعي والتـــصدير والإستيراد. وقد فاقوا في هذه المجالات غيرهم من الجاليات وأصبحت زمام الأمور، زراعيًا، وتجاريًا، وإقتصاديًا في متناولهم. وهم أغنى المواطنين بفـــضل هـــذه التربيـــة الأصيلة في طائفتهم، وبفضل الطواعية، والتبعية، وحسن الإنقيَادِ، واحتـــرام الأســـبقية والأقدمية في السلم، وانعدام الكبرياء والعجب ورؤية الفضل في صفوف الأتباع وامتثال الأوامر دون رأي أو نظر أو تفكير كما لو كانوا عساكر مجندين، زدْ عليهـــا، التـــآلف، والتعاضد، والتضامن، والتعاون، والترابط والتفاهم، والتناصر فيما بينهم. ومهما يكن من أمر، فإن الشعب والوطن العزيز والدين والدولة تستطيع أن تثق بهم وبجهودهم ووحدتهم صفًّا وكلمةً وعملاً. ورضي الله عن الخديم، وجازاه عنا وعن الإسلام خيرًا، إنـــه نعـــم المولى ونعم النصير. ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

الثاني عشر ـ **الشيخ أحمد صغير امباي (1864-1945)**

ولد أحمد صغير امباي بقرية (بُكُولْ) قرب مدينة (كُوكِي) بمقاطعة (لُوغَا) وهو ابن العلامة المجاهد الشيخ أبوبكر امباي الذي كان من كبار ممثلي شيخ عمر الفوتي ومقدميه. وقد شارك شخصيًا في حرب (سَامْبَ سَاجُ) سنة 1875م مع شيخ احمد اَلّْـوُرُو مهديّ، ضدّ الغزاة الفرنسيين، وقد توفي بسنة بعد المعركة سنة 1875م. وكان أحمد صغير لم يتجاوز (12 سنة) من عمره. واعتنى بتربيته ورعايته وتعليمه وأخوه الأكبر، عبد الله امباي الذي إنتهى بتسليمه، وبعد حوار ونقاش للعارف بالله الشيخ أحمد بنمب بكّ سنة 1880م لمواصلة دراساته، واكمال تربيته، بقرية (بَكِّ كَجُورْ) حيث لقِّبَ باحمد الصغير. غادر بعد هذا (بَكِّ كَجُورْ) وارتحل إلى قرية (جَارْدِهْ) والتحق بمدرسة السيد الحاج مالك سه، وبقي تحت رعايته مدة يسيرة، ثم ارتحل إلى مدينة (سانتلويس) لدى آسْ كَمَرَا وغيره من فحول العلماء الذين كانوا يعيشون بالعاصمة حينئذ، وخصوصًا علماء موريطانيا. وتعتبر هذه المدينة مُلتقى الثقافات والحضارات وبها تعرّف على الشيخ سعد أبيه وعلى أخيه الشيخ ماء العينين، وأخذ الأسرار عن الشيخ آسْ كَمَرَا. وغادر العاصمة سنة 1888م ورجع إلىمدينة (لُوغَا). عيّنه الملك بُونَا اَلْبُرِي انْجَايْ مستشارًا له وقاضيًا بِجُلُوفْ، واستقر بجانبه (10 سنين) ولما وصل سنْ التقاعد، رجع إلى لُوغَا وبقى بها، يُعلّم الناس، ويربيهم ويرشدهم ويوجههم إلى الله حتى توفي رحمة الله عليه سنة 1945م، وخلف وراءه تراثًا دينيًا، علميًا، أَدَبِيًا، صوفيًا، إنسانيًا عظيمًا مُؤَيِدًا بموافق حاسمة وصارمة، أساسها القرآن والسنة، والتقوى، والعلم، والحلم، وقوة الشخصية، وحسن السلوك، والتوكل على الله، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي دون تفريط أو إفراط في شيئ. وقد خلّفه أبناؤه بداية من الشيخ إبراهيم امباي ثم الأستاذ الجامعي الدكتور سام امباي ثم الشيخ عبد السلام امباي الخليفة الحالي وهو آخر أبنائه الذكور، ولم يحظ الحاج امباي بالخلافة لوفاته قبل أخيه سام امباي لوفاته قبل أخيه سام امباي رضي الله عنهم.

وفي هذا المجال يحسن الإشارة إلى أن الحاج جِيلِ امْبَايْ المتوفى سنة 1991م كان من أغنى أغنياء بلاد السنغال، وأكرمهم وِفَاداً وأحسنهم أخلاقًا، وأكثرهم حياء، وأشدهم شوقًا ووجدًا ومحبةً للحبيب المصطفى ص.

أهمّ شيئ يميز هذه الأسرة الدينية العلمية هو كونها شديدة التعلــق بــالقرآن والـــسنة وعلومهما. وهي أسرة محمدية سنية، حاملة للقرآن، حافظة للسنة، زاهدة، تقية، ورعة، سيّدة كريمة. وكان الشيخ المؤسس مصلحًا إجتماعيًّا وعلمًا شامخًا، وطودًا راسخًا مــن أعلام الهدى، وقد عُرف بالحزم والعزم في مواقفه وآرائه السديدة الحاســمةن وتحديــه للزّيف والزّيغ والتحريف والباطل والبدع والخرافات. كما عُرف بالسعي والجــدّ والكــدّ والكسب الحلال. وكان من أكثر أهل عصره إِلْمَامًا وإستيعابًا بمــا يجــري فــي بيئتِــهِ ومحيطه. وكانت له إستراتيجيته الخاصّةُ، وفلسفته المستقلة في الحياة، ولم يكــن يتــأثر لابالحياد ولا بالإنحياز لمذهب أو طريقة أو زعيم، بل، اختار المحمديّة السّنية القرآنيــة مذهبًا وطريقةً للحياة. رغم هذه المواقف الصارمة، كانت علاقاته جيّدة ممتازة مع كبار الشخصيات الدّينيّة، والساسة، والوجهاء باختلاف مشاربهم ووجهات نظرهم. إنطلاقًا من هذه الفلسفة، إتّخذ بكل حريّة وسيادة مذهبه وبنى زاويته، ومَدَرســته، ونمــط حياتــه، ومنهجه وربّى أولاده وأتباعه حسب هذه الفلسفة المبنية على هدى القرآن والسنة فقــط. وقد قاوم، وكافح، وناضل بعنف ضدّ البدع والخرافت والشعوذة والدجل. وكان تحفــيظ القرآن ونشر علوم الدين، وبثّ مكارم الأخلاق من أنجع الوسائل التي إســتعملها تأييــدًا لروح نصّ القرآن وأنوار السنة، يَقِينًا منه على أنّ الطريقة المجردة عــن العلــم بهــذه الأصول تضرّ بالدين أكثر مما تنفعه. لهذا بقي طول حياته سنيًّا قرآنيًّا جديًّا وحاســمًا، همّته تبليغ الوحي إلى الخلق وعمارة الكون بمحاسن الأخلاق، وكان مثلا أعلى في العلم والتقوى رضي الله عنه.

<u>الإنسانيّة في مواقفه رضي الله عنه</u>

كفقيه، لغوي، وأديب، شاعر مرهف، عميق الفهم والإدراك، لم يترك مؤلفات كثيــرة نثرًا أو شعرًا ونظمًا لعلّة واحدة معقولة ومقبولة. هو كونه مــشغولاً بفــك الخلافــات، والنزاعات والخصومات في إقليم معروفة بكثرة الشقاق والشغب والعراك، وهــو إقلــيم

جُولُوفْ، حيث كان قاضيًا ومستشارًا حتى وصل سنّ التقاعد. ومع ذلك فقد عثرنا على قطاعات شعرية تتناول التوحيد، والمدح، والتصوف ومن خلالها نرى جليًا عناصر الإنسانية تنبعث من معاني الكلمات وتنهض منها القيم، ومحاسن الأخلاق، والمكارم والمعالي. لأن مفرداته مُشْتَقَاتٌ من القرآن وجوامع كلم الحبيب ص.

فإذا كانت الإنسانية مرادفة للأخلاق والمثل العليا، والقيم فإنّه أسوته الأوحد يقول : " إنّما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق".

إنّ الإنسانية التي تُقَدّسُ الفرد والمادة والخلق وتجعله مقياسًا ومعيارًا لكل شيئ، وسيدًا للكون، الإسلام والمسلمون لايعيرون لها كثير إهتمام.

إنّ فلسفة إنسانية تجعل من السيطرة والإرهاب والكذب ميزانًا للعلاقات بين الأفراد والشعوب والدول، فإن الإسلام الحق لايدين لها، ولالأخلاقياتها ومادياتها بالطاعة والإحترام.

إنّ فلسة الإسلام، وقيمه، وثقافته، ومثله، وأخلاقه، وإنسايته، لتنبعث من القرآن والسنة، وهما الأسس والمنطلقات، حيث تتراءى الإيمان والإسلام والإحسان والجواهر التي تكتنفها هذه المعاني يقول ص : المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم. تلك مبادئ الإنسانية في الإسلام، ولن يكون الفرد إنسانيا مالم يتمسك تربيةً، إيمانا وعملاً بهذه المبادئ الربانيّة المحمدية، وكان الشيخ أحمد الصغير ربانيًّا في حياته كلها. واستورد هذه الأبيات التي يخاطب بها نفسه لنستوحى منها بعض لمحات الإنسانية المستفاضة من منابع جوامع كلم الحبيب المصطفى ص.

يقول رضي الله عنه في بعض قصائده مخاطبا نفسه :

فكن صابرًا جلدًا حليمًا ألم تكن **من أبناء بكرذي العلى والمكارم
بنى بكر المعروف بالبأس والندى**غيوث لعافيهم ليوث لظالم
ولي همَّةٌ تعلو على كل همة** وقَدْ رِى وبيت الله فوق النعائم
وإني بالَإقلال لستُ بقانع** **ولم يروني شرب البُحُورِ الخَضَارِمِ**
أزيل دخيل الهم أولوم لائم** **عن الأهل والأوطان ماضي العزائم**
صبور على العلات لايشتكى أذى** أديب لبيب حازم غير هازم

هذه المفردات منتقاة، مشتقاة كلها من الذكر الحكيم ومن جوامع كلم المصطفى ص. وكل منها تعبر عن قيمة، أو عظة، أو حكمة، أو ذكرى ملئها العطف، والشوق، والحب، والذوبان، والفناء في بحور الإسلاميات سأل سائل لشيخ من شيوخ الإسلام. فقال له :

هل قرأت أدب النفس (لأرسطو) وبادره قائلا: لا! يابني، إنما قرأتُ أدب النفس لمحمد بن عبد الله ص. صل من قطعك وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، وأحسن

إلى من اساء إليك وقل الحق ولو على نفسك. هذه هي المواقف الإنسانية عنده رضي الله عنه وهي المعتبرة المعمول بها لدى أتباعه وذويه، والقاعدة في بلاد الإسلام ولدى جميع رجال الله في مشارق الأرض ومغاربها. يقول عليه السلام : " المرأ على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالله".

وفي الخلاصة أنبه القارئ بأن الجوانب الصوفية عنده هو العمل جزمًا بالكتاب والسنة، والتمسك بأهدابهما، والتَّنَهُّجُ بمنهجهما، والوقوف عند حدودهما. ولا أرى داعيًا للخوض في ترهات لافائدة منها. اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا إتباعه، وارنا الباطل باطلاً وارزقنا إجتنابه يا أرحم الراحمين، يا ربّ العالمين ولك العقبى إنّك على كل شيئ قدير.

الثالث عشر ـ **الشيخ أحمد صغير لوح (1903 - 1988م)**

ولد رحمة الله عليه بقرية أَنْجُمْرِي سنة 1903م وهذه القرية أسسها العلامة الشيخ مختار نار لوح جدُّه الأعبد، بإذن من الشيخ المقرئ مختار نُومْبِ جُوفْ (1701 - 1783م) مؤسس جامعة كُولِي العلمية. توفي والده الشيخ انجاي لُوحْ، وهو في عنفوان الشباب. إذ كان أحمد أصغر أبناء والده الذكور، وهم : أحمد المختار، مُورْ وسيري ثم أحمد. وأمّا الشقيقات فهنّ : فاطمة، والسيدة أنت سيلا. وهم أشقاء وقد توفيت والدتهم عن عمر يناهز المئة سنة ودفنت بمقابر أَنْجُكَّ بَكُوكِي بحضوري، وكنا نسمَيها بالجدة، دون ذكر إسمها الحقيقي، إحترامًا لها ورحمة، وكانت الجدّة فاطمة ضياء رحمة الله عليها رغم كبر سنّها، وسِيمَةً، فاتنةً، في خلقها الكمالُ والجمال والجلال، وفي أخلاقها الحسنُ، والألفةُ، والكرمُ، والمحبة. كانت ملجأ الجميع. ويناديها الشيخ بلفظ (سَانْدَيْ) : أمّي. وكانت تُكثر من الصلاة وكان أبناؤها الذكور من حملة القرآن، وقرّائه وبالأخص الشيخ مُورْ لُوحْ، وأحمد الصغير الذي نحن بصدد دراسة حياته ومنجزاته وآثاره.

أصول أسرة لوحْ من القرن (15- 20م)

ينحدر الجيلُ الأوّل لهذه الأسرة من إقليم وَالُ، وأعلى جدّ معروف لهم ثمّة، الشيخ لُغُمْ لُوحْ، وقد استوطن الجيلُ الثاني منها بإقليمي كَجُورْ وانْجَامْبُورْ. أمّا أوّل مقرئ للقــرآن وعلومه منها، فهو العلامة الشيخ المفدّى (دَامْ إِسَ لُوحْ) الذي درس بموريطانيا، وتزوج هنالك، ثم رجع إلى بلاد السنغال مع إبنه : مختار وعمر دون أختهما رُقِيَّــة ووالــدتهم فاطمة حيدرة. وقد تَمَانَعَ الأخوال عن سفرهن إلى السنغال لإنعدام الأمن فــي الطريــق حينئذ، وبعد وفاة الشيخ بكجور رجع الأولاد إلى أخوالهم، وأكملوا دراساتهم وعادوا بعد ذلك نهائيًا إلى مسقط رأس أجدادهم، واستوطن عمر منطقة لُوغَا وأبى المختار منــزلا أخر غير موطن والدهم، قرية أَنْمَبَّ بحدود كَجُورْ وانْجَامْبُورْ وشرعا فــور وصــولهما بإحياء سنة الوالد وهو تحفيظ القرآن ونشر علومه.

كان يدرس علوم القرآن في البلاد عمومًا، لأن الوثنية كانــت منتــشرة، ولــم تكــن الملوك، قد اعتنقوا بعدُ، الدين الإسلامي، ومن هنا نرى صعوبة المهمة الملقاة على عاتق شيوخ الإسلام وقرّاء القرآن.

ولم تعرف عادةُ تدريس علوم القرآن إنقطاعًا قطّ من هذه الأسرة لمدة أربعة قــرون ونصف أي من منتصف القرن 15م إلى الآن، لأن أكبر مركز بغــرب القــارة لتحفــيظ القرآن في كنف هذه الأسرة وتحت رعايتها دون منازع. ويمكــن الإثبــات أنّ معظــم دارسي القرآن وحملته وقرّائه، قد أخذوه عنها. وهم أكثر أسر البلاد حفَاظًا لكتــاب الله وعناية به. وتعود إليها صلات قربى أهمّ الأسر الدينية، وزعماء الطرق الصوفية، رغم أنها أسرة قرآنية محمديّة سلفيّة، مزاياها جمّة وفيرة غزيرة، وفضائلها عميمة، وهي منذ قرون تُسْدِى وتنشُرُ خيرات القرآن وأنواره، وبركاته، وتفيض أسراره ونمير علومه إلى القاصي والداني لوجه الله. فالمدارس التي تديرها في إقليم لُوغَ وغيرها، ومعهد أحمــد صغير لُوحْ بكُوكِي لتحفيظ القرآن ودراسة علوم الشريعة، طيلة هذه القرون لدليل ناهض يشهد على صحة الحكم الإيجابي لمنجزاتها الجسمية. لهذه الأسرة مواقف حاسمة صارمة تكتنفها وتَدعمها شخصية قوية، ثابتة أصيلة، تتحــدّى دون مُبــالاة. ظــروف الزمــان

والمكان، ولن تحيد عن أهدافها، ولم تتعرض ولم تتأثر بعواصف الإنحراف ولـــم تَـــرْتَمِ بأحضان زينة الدّنيا، وزخارفها لسلامة أصولها، والصدق والإخلاص فـــي فرواعهـــا. وشعار هذه الأسرة هو قوله عليه السلام في جوامه كلم :

"خيركم من تعلّم القرآن وعلمه لغيره". وكان الشيخ أحمد صغير لوح يقـــول " بعـــثُ حياتي للّه، وتركتُ كل تجارة غير تحفيظ كتابه رغبة في مرضاته". خوفًا من الإسهاب والإطناب أكتفي بهذا القدر، وأعتقد ان فيه كفاية لمعرفة هذه الأرومة العريقة الكريمـــة، التي جندت كل طاقة، وبذلت بكرم وسخاء النفس والنفيسة، وجاهدت في الله حقّ جهاده، وبايعت نبيّه بتبليغ الوحي عنه ص.

دراساته رضي الله عنه

درس الشيخ أحمد صغير لوح القرآن طفلاً، وحفظه مبكرًا، وأجـــاد فـــنّ القـــراءات وكتابة المصاحف، وبرع فيها، وشاع صيته في الآفاق، وقد تعلّم أوّلاً، من عمّه الـــشيخ علي فاط لوح (كرمد بنت لوح) ثم بالشيخ مور بنت فال جوب (كرما أنت جـــوب) ثـــم بالشيخ مدمام جوب (بُودِ) ثم بالشيخ ماكمب صانمب (كَنِينْ انْجُوبَّ)؛ وانتقل نحو قريتي (ججيِّينْ كَادَّ وجَمُّويْ كَايْ) قبل إنهاء جولاته عبر مدارس القـــرآن وشـــيوخ التجويـــد، والقراءات والرسم. وكان آية في الخط، لايضاهي بأحد، آخر مصحف بخطه، كان لدى الأستاذ الجامعي، الدكتور سام امباي الذي درس القرآن لديه، هو وأخوه الحـــاج جيـــل امباي. وهذه النسخة التي كانت تحفة نادرة لاتُقوَّم بثمن ضاعت عنهم مع كامل الأسف. وجَهَّ الشيخ همّته، بعد إنهاء دراساته القرآنية إلى فتح مدرسة بقريـــة (انْـــدَالاَ) لتعلـــيم القرآن، ومكث فيها أربع سنين أدرك خلالها ضرورة التشبع والتـــزود بعلـــوم القـــرآن، واللغة العربية لشدة حاجة الناس إلى هذه العلوم، في دينهم، ودنياهم، وآخـــرتهم، فـــسدّ أبواب المدرسة، وارتحل نحو مدارس الفقه واللغة، وقضى سنين عديدة في طلب العلـــم حتى نال منه قسطًا وافرًا. وفي هذه المدة إلتقى بمعظم الشخصيات العلميـــة، والفقهـــاء، والأدباء، والشعراء، وزعماء الطرق الصوفية والقرّاء وارتبط بـــصداقات وثيقـــة مـــع أكثرهم.

وقد درس بعض كتب الفقه بقرية (انْكُويْ بِييْ) لدى الشيخ مُورْ فَاجَانِ بِيْ وكتب اللغة والنحو والأدب بمدينة سان لويس لدى الشيخ إبراهيم جوب كما استمع إلـــى المفــسرين الكبار فيها وفي مدينة (رُوفِسْكَ) لدى الشيخ أحمد وَادّ سنة 1935م وكان حينئذ في آخـــر جولاته الدّراسية. وقد رجع أخيرًا إلى مدينة لُوغَ بعد إنهـــاء هـــذه الدّراســـات متـــأثرًا بالتجارب، والخبرات والثقافات، والعمران، والحضارة التي عاش فيها وبالأصدقاء الذين تعارف معهم، وبالعلوم التي ارتوى. من جراء هذه التأثيرات إفتتح متجرًا بمدينة لُـــوغَ لمزاولة التجارة لكنه ما لبث أن استدعاه سميّه وشيخه أحمد صغير امباي يـــوم 12 مـــن الربيع الأول 1939م للهجرة وأعطاه أمرًا حاسمًا بمغادرة لُـــوغَ فَـــوْرًا وعـــدم حـــضور نشاطات حفلة المولد والتّوجه إلى كُوكِي لإفتتاح المدرسة القرآنية التي تعتبر اليوم أكبـــر مدرسة لتحفيظ القرآن ودراسة علومه بغرب إفريقيا. وقام بـــصِدْقٍ وإخـــلاصٍ وتفـــانٍ، وإيمانٍ بتنفيذ هذه الأوامر. وهكذ باع نفسه لله، وترك كلّ تجارة في سبيل تبليغ الـــدّعوة، ونشر علوم الوحي لمرضاة الله تعالى. ووصل إلى كًوكِّي ليلاً، بات ليلتَه يُسامِرُ النُّجوم، والآمال والأحلام. فلما أصبح إتّصل بشيخ المدينة، مَدُ دِبٌّ جُوبْ الذي إقتطع له الضيعة التي عليها عمارات المدرسة الحالية، ولم تكن في البدء، إلاّ أكواخًا من خشب، وكانـــت الدراسة نهارًا بضوء الشمس وليلاً بضوء الحطب والأخشاب وانتقلت الأمور، بفـــضل الله، وبركات القرآن، وجهاد الشيخ، وأصبحت الدراسة بالضوء الكهربائي، والمرواحـــة داخل العمارات، والشرب لامن الابار، بل من المياه الجوفية اَلْمُسْتَخْرَجَةِ آليًا، والعـــلاج من المواد الطبية لامن جذور العشب والأشجار، كل هذا من بركـــات القـــرآن الكـــريم، وتضحيات هذا المبلغ الداعي إلى الله نيابة عن صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلّم. هذه نهاية دراساته، وجولاته، واتصالاته، لأنه لم يغادر بعد هذا التاريخ حُرُمَ المدرســـة، إلا لأداء فريضة الحجّ أو لحضور جنازة لاغير.

نشأة المدرسة وتطورها من (12 ربيع الأول 1939 إلى اليوم)

أنشئت في 12 من يبع الأول سنة 1939م بإذن من الشيخ أحمد صغير امبـــاي سِــمّي الشيخ احمد صغير لوح، وهو الذي أعطاه أمرًا بفتحها بكُوكِي وتعليم القرآن بها مجانًـــا، وعدم مغادرتها لأيّ سبب مالم يكن فرضًا عينيًا، وائتَمَرَ بهذا الإذن، وتفانى في تنفيـــذه بصدق وإخلاص وصمود. شرع عند وصوله، بإقامة أكواخ من خـــشب لإيـــواء مـــن يقصدون المدرسة وهكذا وصل أولاد الشيخ مبارك أنت بَجَّ لُوحْ ثم إلتحـــق بهـــم أولاد الشيخ الروحي للمدرسة، وكان بعض الناس متحفّظين عنها لأن منهج المدرســـة كـــان مغايرًا للأسلوب المتخذ من بعض شيوخ زعماء الطرق في البلاد.

وبعد أربع سنين، بدأ الأوائل يتخرجون حاملين الوحي، يرتلونه على مسمع ومـــشهد، ويكتبون المصاحف، فَلَفَتَتْ هذه النتائج أنظار القوم، فاقتنعوا، بدأت المسابقة في إرســـال الأولاد إليها. أوّل من حفظ القرآن في المدرسة هو أحمد مبارك لوح، وسام امباي وأخوه الحاج جَيلِ امْبَايْ، ومور تال لوح، وأولاد الشيخ امباي كِبِ فَالْ، وآخرون..

أمّا التّلميذ الأوّل الذي رافق الشيخ عند قدومه إلى كُوكِي، وهو ابن أختـــه الـــشقيقة، إبراهيم غِيْ، فقد توفي سنة 1942م إثر مرور وباء المنطقة رحمة الله عليه، وكـــان قـــد حفظ تقريبًا وناب عنه بالمدرسة شقيقه بَلَ لُوحْ.

ظروف نشأة المدرسة والعقبات التي واجهتها

إنهزمت الزعامات السياسية والتقليدية والدينية أمام قوات الإحتلال سنة 1891م، تاريخ سقوط الدولة الإمامية الإسلامية وكانت مدارس القرآن قد خُرِبَتْ، واندثرت في ربـــوع البلاد، إثرَ حملة ضدّها من قوات فرنسا الغازية المستعمرة، وكانت وزارة المستعمرات أمرت بحرقها واستبدال العربية بالفرنسية قهرًا. وتمّ تنفيذ هذا الأمر، ســـنة 1864م بـــدءًا بجامعة بَيرْ الإسلامية. كما تمّ حرق (40) ألف مدرسة قرآنية في حينها، ومُنِـــعَ تعلـــيمُ القرآن دون رخصة من سلطات الإحتلال المسيحية الغازية.

إندثرت كل مَعْلَمَةٍ أو أَثَرٍ لمدارس القرآن في نصف قرن تقريبًا وشـــاخت وتخاذلـــت وانتهت مُعْظَمُهَا بالإستسلام. فقامت على أطلالها، وأنقاضها مدرسة كُـــوكِّي لتحفـــيظ القرآن، وحملت الراية ورفعتها عالية خَفَّاقَةً، ترفرف في عنان السماء، ولم تكن سلطات

الإستعمار تعير لها كثيرً إهتمام لكونها في منطقة بعيدة عن منـــاطق العمـــران والإدارة والجهاز السياسي ولكون رُوَّادها وأسلوب التربية والتعليم بها، لاتُلْفِتُ أنظـــار الـــسلطة. أضف إليها كون فرنسا حينئذ تحت نيرات الإحتلال الألماني الذي قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين.

من جراء طغيان قوى الثقافة الفرنسية المادية ومغرياتها والدعاية الخادعة وضـــعف البشر، وهوان الإنسان الإفريقي، أمام هذه الدعاية إرْتَمَى الجميع إلى أحضان الحـــضارة الجديدة الغازية، وأصبح البلاد والشعب يعاني من التَّمَزُّق والحيرة من هـــذه الأوضـــاع المتردّية.

جراء هذه الأمراض والعقد النفسية، والتناقضات الحادة بين ضحيا الـــدّين والـــوطن، الذين أُلْصِقَتْ عليهم تُهَمُ الجهل، والدّجل، والتخلف من قبل حملة ثقافة جديدة تؤيد سلطة الإستعمار، وتهدم كلّ قيمة لاتُجَاري قيمه، وتسعى في تضخيم التناقضات، والتـــشكيك، لإدخال الشكّ والرّيب في قلوب الجميع. وقامت مدرسة كُوكِّي لإزالة التناقضات وعلاج الأمراض التي خلفتها أكاذيب وافتراءات الإستعمار بإيحاء وإلهام وعون وهدى ونور من معين القرآن وروافده.

ومن حسن حظّ جيل المدرسة، والذي مرّ بها فيما بعد أنه تمتّع بالحصانة والمناعـــة والقناعة اللازمة لمقاومة الظروف السيّئة المفروضة واستطاع إسترجاع كيـــان الأمّـــة ومقومات شخصيتها وصفاء عقيدتها بفضل نفحات القرآن ولمحات وتعليمات وجهاد شيخ الجيل، أحمد صغير لوح الذي أنقذ أرواح أجيال عديدة بتعاليمه التي تتدفّق مـــن معـــين كتاب الله. وشاء القدر أن كان من منقذي الأمّة من طغيان المادّة وسيطرة سلطة الجبابرة من السّياسيّين، والوجهاء والزعامات الدينية وغيرها، وقد تضافرت قوى الإلحاد، والبدع والخرافات، ورقى المادّة والمغريات والنشوات وقوى الباطل على شنّ حـــرب لنـــسف مقومات المَدْرَسَةِ وخلع جذورها فاندحرت، وأنحسرت امانيهم بمواقفه، واستماتته، وقوة توكله. وكانت مدرسته القرآنية دَرْعًا وَاقِيًّا للجيل من حِيَلِ الجبابرة وسدًا مَنيعًا يتحاشـــاه ويتّقيه دعاة الأحوال والمقامات وأنصار البدع والخرافات من مختلف النحل والملل.

<u>أسباب تطورها وازدياد روادها</u>

في السنوات العشر الأوائل، كان معدّل التخرج يتراوح ما بين 10% 15% سنويًّا. وكان عدد الطلبة لايتجاوز المئة في مجموعهم. وبفضل النتائج الجيدة الممتازة المشجعة، إزدادت ثقة الناس بالمدرسة، وأرسلوا أولادهم إليها رغم أنف سلطات الجهاز السياسي الإستعماري الحقود. فكانت نسب الزيادة سنويًا تُعَدَّلُ بمئة في المئة وكذلك نسبة التخرج. وكان روّاد المدرسة في هذه السنوات من سكان منطقة انْجَامْبُورْ وجُلُوفْ والمناطق المتأخمة، حتى وصلت وفود منطقة الرأس الأخضر بدءًا بطلبة مدينة (بَرْنَ) من قبل إقليم (دكار) العاصمة. توافدوا إليها بالمئات في أواخر الخمسينات وبداية الستينات، عندما حضروا حفلة تخرج أبناء الحاج تفسير باب جُوفْ، أحد أصدقاء الشيخ أحمد صغير ورفاقِه أثناء سنوات دراساته الفقهية كلها.

وكان عدد الطلبة يزيد على الألفين (2000) طالبًا سنة 1980م ولم تُلْفَتْ نظر سلطات الإستقلال إلا في وقت متأخر جدًّا، حيث كانت هذه في طمس وعَمَى عنها لِعِلَلٍ وأسباب وأسرار إلهية لاداعي لمحاولة سردها ومعرفتها، والجميل ما فعل الجليل.

ومعدّل التخرج كان يُقَدّر بالمئتين (200) أو أكثر سنويًا، وقد وصل عددُ الطلبة سنة 1983م عندما قام رئيس الجمهولرية بزياتها قصد بدء حملة إنتخابية في رحابها : (2800) طالبًا، وعدد الحفّظ (260) حافظًا. معدّل 10% من مجموع التلاميذ، وقد لُوحظَ أنّ عُمْرُ أحد من الحفاظ لم يتجاوز حينئذ (15 سنة)، وصرّحَ السيد الرئيس عبد جوف يومئذ، أنّه لم يكن يتصوّر وجُود مدرسة كهذه على أرض السنغال، وأنّ التقريرات التي وصلت إلى علمه والأَخْبَارَ كانت ناقصة، وأصدر فورًا أوامر فوريّةً بموجبها تتلقّى المدرسة معونات من الدولة كسائر المدارس الحرّة المسيحية المعترفة، وتمّ الإعتراف بالمدرسة كمنظمة غير حكومية تسعى لصالح النّاس، والتعليم المجاني، والتربية والتكوين وهلم جرا.

ومن الأسباب التي حثّت بالناس إلى بعث أولادهم للمدرسة، قلّةُ المدّة التي تُقْضَى بها للحفظ : وشدَّةُ عناية المسؤولين فيها بأمن الطلبة وراحتُهم وصحّتُهم ودراساتُهم، وحسن السّهر على سلامة سير الأمور بها، ومنها النّظام، والسلوك الأخلاقي الممتاز، وحيادُ المدرسة عما يحدث خارجها من تكتُلات، وطبقيّة، وتمزق، وطائفية وغيرها. فرسالة المدرسة هي تحفيظ القرآن وتدريس علومه ولاَتَعْنِيهَا سِوَاهُ. إن الإكتفاء الذّاتِي في

المعيشة وعدم إجهاز الأطفَالِ في أعمال الزراعة والأعمال الشّاقّة، ووجود مركز صحيّ لمراقبة صحّة الأولاد جسميًّا وعقليا وتوّفر الأدوية لدى مصحّتها، وكــون المــستوصف مجهزّ بالآلات وبالموّأد اللازمة، كلّ هذه من العوامل المشجعة لبعث الأطفال إليها دون خوف، أو فزع، أو تردّد. وهنالك فئات مسؤلة عن الأمن فقط، وأخــرى مــسؤلة عــن التّغذية والمطبخ تحت رقابة المقتصد الرّسميّ وثمّ مسؤلة عن الــصّحة وعــن التعلــيم ورقابة طرقه وجودته و... وحُرَّاسٌ عامُّون، ومسؤلون عن السكنى والضيافة والإستقبال والمرافقة، كما أدرجتْ الفرنسية في برنامج التّعليم الثانوي بها قصد تمكين المتخــرجين من الإنخراط بسهولة في سوق العمل، وتسهيل أعمال البحث إذا إلتحق أحدهم بالجامعة، في المراجع باللغة الأجنبية.

أمّا المجانيّة فهي الأصلُ الذي عليه أساس المدرسة بدءًا ونهايةً وكثيرًا ما يقوم شــيخ المدرسة بمساعدة بعض أولياء التلاميذ المعوزين لِيَسْتَغْنَوْا عن خدمة أولادهم في الموسم الزّراعي حتّى لاينقطعوا عن الدّراسة فيتقاعسوا عنها، وقد لايعودون إليها بعــد نهايــة الموسم. وهنالك أسباب أخرى وعوامل يمكن ذكرها. واعتقد أن المذكورة منها مقنعــة، وكافية. والهامّ هو أنه لم يبق هنالك جَدَلٌ حول جَدْوَى النّظام الدّاخلي والسّلوك المفروض بالمدرسة لأن النتائج اَكَدَتْ سلامته وجدارته، وشهدت بهــا الــسلطاتُ، والزعامــاتُ، والجماعاتُ والإتحاداتُ والجمعياتُ في الجهات المختلفة، ولم يعد في غرب القارة من لا يُنَوِّهْ بمزاياها الجمّةِ الغفيرةِ.

وقد وفدت إليها أبناءُ الدول المجاورة، العرب منهم والأفارقة، من بــلاد موريطانيــا الإسلامية، ومن دولة غامبيا، ودولة مالي وغينيا، ناهيك عن الــسنغال، مقــرّ وجــود المدرسة وفروعها ومراكزها. ومن أهمّ الأسباب التي قد لاتخطر ببال، بعث أبناء العلماء والوجهاء والخلفاء والمدرسين والمدراء والأئمة والساسة والقيادة. بعثتُ هؤلاء أولادهم، فمهّدوا السَّبِيلَ لغيرهم، وأعطوا الثّقة، والتّامين، والضّمان للمدرسة في ذاتها، ومنــاهج تعليمها، وطرق إدارتها وتسيير شؤونها. ومن هؤلاء المعنيين أولاد الشيوخ والزعمــاء الدّينيّين، البكيّين والتيجانيّين والفولانيّين وذوي قربى السيد رئيس الجمهوريــة، وعميــد

مدينة دكار العاصمة، والشيخ الإمام إبراهيم سَاغُ كبير دُعاةِ الإسلام، والحاج يَحْيَى جُوبْ، والحاج امباي جَاجْ عبدُ، وبعض مديري البنوك.

وأمّا الشيخ الخليفة الوالِدُ أَلْفَا أحمد سِكْ زعيم أهل جَنَبَهْ فقد أرسل معظم أبنائه، وقام شخصيًا بزيارة المدرسة مع ركب عظيم، في موكب تحيطه هالة من الهيبة والوقار والجلال، كلّ هذا تعظيمًا للقرآن وتشجيعًا لخادمه وتكريمًا واحتفاءا لرواد كتاب الله الكريم.

والواقع هو أنّ أوّل من أرسل أولاده وأولاد أقاربه إلى المدرسة فداءً وتأميناً وضمانًا وكفالة لها، هو الحاج تفسير باب جُوفْ وذلك في منتصف الأربعينات، وقام بحملة دعائيّة كبرى لتأييد المدرسة ماديًّا ومعنويًّا، واقنع آلافًا من الوجهاء ليرسلوا إليها أولادهم وأقاربهم. وممن أقنعهم ودلّهم على المدرسة (الحاج أتُ غُلْ) الذي صار علَمًا مُفْردًا من أعلام المدرسة للدور الذي لعبه فيما بعدُ في مساعدة المدرسة ومسؤليها. فجميع شخصيات الدولة، والوجهاء، وزعماء الطرق، والقيادة، والخلفاء أرسلوا أولادهم للمدرسة عن طريق الحاج تفسير باب جوف الموثوق به في علمه، وورعه، وزهده، وتقواه. وقد إعترف واقرّ شيخ المدرسة بهذه الميزة عدة مرات أمام الجماهير. وآثارُ علاقات صداقيته بالشيخ المؤسس واوضح من الشمس عند قدماء الطلبة الذين شهدوا السنوات الأولى من ميلاد المدرسة. ومن المؤسف أن المدرسة في السنوات المشار إليها لم تكن لديها سجلات لكتابة وتسجيل الوصولات، والخروجات، وأسماء الطلبة، وعنوانهم وهلم جرا.

فانعدام وثائق كهذه تجعل من الجدد المسؤولين في تِيهٍ بعيدٍ عما كان سائدا في المدرسة في بدايتها، ودور من كانوا سندًا ودعامةً لحياتها. ويجدر بالمسؤلين محاولة إسترجاع ذاكرة المدرسة، وكتابة تاريخها وكلما جرت فيها، وتسجيل كل المعلومات المتعلقة بهذا التاريخ بدقة ونزاهة وإخلاص حتى لاتذهب جهود هؤلاء لقدماء في سلة المهملات سُدًى وهَمْلاً. فعدم وجود وثائق تشمل على تاريخ المدرسة، وأسماء، وعناوين، ودور، وآثار أولائك الذين ارتبطوا بها من قريب أو بعيد، فقد تدفع بالمسؤلين

إلى هوة شاهقة، وارتكاب أخطاء شنيعة، والإستخفاف بمن كانوا بها أركانًا، ودعائم صامدة لاتجوز الإستهانة بهم.

الإعتراف، والإقرار بالفضل فضل، وهو بحد ذاته سبب كبير من الأسباب المشجعة لمراوده المدرسة، والسعي في تخليد رسالتها، وصدق الله في قوله :"إنّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده" حديث قدسي. وقوله :"لم يشكرني عبدي إذا لم يشكر من أجريتُ النعمة على يديه". إن الأسباب التي أوصلت الأمور إلى ما كانت عليه ينبغي الحفاظ عليها، ومراعاتها، وإحترامها، لأن حياة المدرسة وخلود رسالتها مرهوق بها.

إنّ كل محاولة تهدف إلى تحويل المدرسة عن أهدافها الأساسية قصد جعلها طائفة أسرية، أو فرعًا تابعًا لإحدى الطرق الصوفية أو المنظمات والأحزاب السياسية والنقابية، ستُمْنَى بالفشل عاجلاً أو آجلاً، وخير الأعمال أدومها. فما كان منها لله دام واتّصل، وما كان لغير زوال واضّمحل. اللّهم أرنا الحقّ حقًّا وارزقنا إتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا إجتنابه.

<u>مراحل الدراسة بالمدرسة</u>

لم تكن مهمة المدرسة ورسالتها أصلا تدريس علوم القرآن واللغة والآداب العربية، بل كانت تقتصر فقط، بتحفيظ القرآن وتحفيظ مبادئ وقواعد التوحيد، وأركان العقيدة، دون تعمق.

وقد دفعتها الضرورة إلى إدماج تغييرات عديدة خلال سنوات عملها الدؤوب، وقد اكْتَسَبَتْ خبرات وتجارب اوْحَتْ لها ضرورة إنشاء قسم خاص بإعطاء دروس باللغة الفرنسية، في المرحلة الثانوية فقط.

ونرى من خلال ستَّة التطور، كيف إحترمت متطلبات العصر ونواميس البيئة، أخذت في الإعتبار كل المستجدات، حتى يكون خريج المدرسة صالحًا للزمان والمكان، كُفْءًا لتحمل الأعباء، قادرًا على الإستجابة لمطالب الإدارة، وسوق العمل، إضافة على تشَبُّعه بعلوم الدين طِفْلاً.

المدرسة تُرافق روادها من البدء إلى الإنخراط في سوق العمل وخضم المجتمع، وتُراقبه، وتحرس بحرص على خطواته، وتقوم بزيارته، وتعزيته، وتسليته، أينما وجد،

داخل البلاد وخارجها، فالصّلة بأبنائها لاتنقطع بالتخرج والمغادرة، وقد تكون العُرى والصلات أقوى وأمتن بعد المغادرة حِرْصًا منها على الحفاظ بهذه الصلات والعلاقات، تقيمُ مُلْتَقَى سنوي بها، يحضره القدماء، وأولياء التلاميذ، والقادة والساسة، والأهالي، والصحافة، والإذاعة، والتلفزة، لعرض نتائج عمل المدرسة ومنجزاتها. وهذه مناسبة سنوية هامّة لجمع التبرعات من المحسنين وتجمّع القدماء للتّعارف مع الجدد، وتشجيع القائمين بالتعليم، حتى يطمئنوا ويدركوا أن الشعب، والعالم الإسلامي معهم في جهادهم وتضحياتهم الجسام، وأنّه تعالى في عون العبد مادام العبد في عون أخيه.

وفي السطور التالية، نحاول ذكر المراحل، والأقسام بالمدرسة حتّى تكون على بينة منها، ونعلم أن قد رسمنا لها رسمًا بيانيًا فصيحًا يوضح كل مرفق من مرافق المدرسة على حدة وكيفية تسييرها وإدارتها.

<u>أ ــ المرحلة الأولى لتعليم القرآن</u>

أشهر مدرسة متخصصة بتحفيظ القرآن بغرب القارة الإفريقية، تصدّرت لهذه المهمة، بداية من النصف الأوّل من قرن العشرين، وأعطت في المجال نتائج ومنجزات، كمّا وكيفًا، لم تكن بحسبان هي مدرسة كوكي ويُعْزَى تلك النتائج والنجاح الباهر إلى العوامل الآتية :

أ ــ **سلامة طرق التعليم المطبقة** : صحة نوعية القراءة، وجودة الحفظ، وحسن التمكن من النص القرآني، حفظ الأجزاء بتأّن، وصبر، وثبات، دون عناء وشقّ وجهد غير مطاق.

ب : صدق النّية، الإخلاص في العمل، والصبر والتفاني، والثقة بالله، وعلو الهمّة وحسن الإقتداء.

د : **خبرة وتجارب عالية** في فنّ تعليم الأولاد المسلمين غير العرب، لمعرفة الطرق البداغوجية المناسبة، وضبط وسائل ناجعة تزيح الصعوبات النفسية والعقبات بأنواعها، وتعيين الطفل العجمي على تمييز الحروف بأشكالها وصورها وتقلباتها، كما لو كان حقًّا من أطفال العرب.

الطفل غير العرب بالمدرسة، لايشعر مع الحروف الهجائية العربية بأية غرابـــة، لأن هذه الحروف تحمل أسماء متخذة من صميم بيئته الإفريقية العجمية وكـــذلك الحركـــات. هذه طريقة بداغوجية قد تجهل عنها العرب، وقد اتعملت لدى وصول الـــنّص القـــرآن العربي مع الدّين الجديد، وكان الهدف الأقصى من دراسته، معرفة الدين الذي يحملـــه، لامعرفته كلغة. لشدة الإلتحام والإلتئام بين اللغة والمضون لُزُومًا درسناهما.

بهذه الطريقة تميز الطفل غير العرب الحروف والحركات العربية الآتية :

الألف : صاحبة الرأس الكبير، تميزًا عنها بالأف دون همزة، وهنالك الألف الفاصلة والمتصلة، الحاء : المعوجة والمنحنية، العين : فم الذئب. الياء : المفتوحة والمنـــسرحة، التاء : المزيلة، الشين : المبللة والجافة، الميم : المرسلة والقاصرة، الهـــاء : الـــصغيرة والمغطاة أو الكبيرة، تُميّز الحروف والحركات كما لو كانت أفرادًا أو أشياء تعيش معنا في البيئة، ومن هنا نرفع ونزيح كلّ غرابة عنها تمنح لها جنسية وإسمًا، وصفقة، ولقب، سمات تميزها عن غيرها من أفراد الجنس. أمّا الحركات فهي ثلاثة : العصا، والمقوسة، والمُكَوَّخَةُ : كالخوخ الخشبي أو المدورة. تمثل التسميات أشياء معروفة، مألوفة، وقريبة من مخليه الطفل المرهق الحساس، ومأخوذة من صميم بيئته ولغة أمّه التي يُعبر عنهـــا سَلاَقَةً. الطفل بهذه الطريقة لايشعر مطلقًا بأنه يقرأ لغة أجنبية غريبة عن لغته الأصلية، بل يتعلم ويقرأ أشياء أو صورًا أو أشكالاً متخذة من بيئته ومتوفرة فيها يراها فـــي كـــل مكان.

مزايا هذه الطريقة جمّة، منها : إثراء عقلية الطفل، وإنماء مداركه بفتح آفاق واســـعة أمامه مليئة بصور وأشكال، ومثل وقيم مفيدة له في كلّ مراحل حياته، كما تخلق وشائج وروابط بين الطفل والمناخ والمحيط الذي يعيش في إطاره. ورواد هذه المدرســـة فـــي حياتهم الدّراسية، لايشعرون بتاتًا، وهم يقرأون لغة العرب أنهم أجانب عنها. هذه ميـــزة قيمة، ونجاح كبير حققته. والمدرسة تتمسك فعلاً بمنجزاتها البداغوجية ولكنهـــا ترحـــب بالمستجدات النافعة في المجال، ورغم نتائج هذه الطريقة التقليدية التي أتت بمالم تكـــن بحسبان، فقد أدخلت في مقررها تحسينات وإصلاحات تتعلق أساسًا بمخارج الحـــروف، وأخرى بالتجويد والرسم والقراءات عمومًا.

ء : **<u>كثرة الحفاظ</u>** : ونوعية الحفظ كمًّا وكيفًا، قلّدت المدرسة أوسمة وسمات بـــارزة، وبوّأتْهَا مكانةً عاليةً، إنفردت فوقها في العقد الأخير من قرن العشرين، ففي الثلاثينـــات عند تأسيسها سنة 1939م، كان عدد الحفاظ لايتجـــاوز العـــشرة طالـــب ســـنويًّا، وفـــي الأربعينات وبداية الخمسينات وصل العدد إلى عـــشرات فـــي العـــام وفـــي الـــستينات والسبعينات بلغ العدد مئات في السنة، أما في الثمانينات فقد بلغ السيل الزبى، وأصـــبح التيار جارفًا، ولم يستطيع مسؤلو إدارة المدرسة مواجهة الموقف واحتواء العدد الوافـــد إليها من حدب وصوب، واضطروا إلى ضرب حصار على تلك الألوف الوافـــدة مـــن السنغال ومن البلاد المجاورة للإرتواء من معين القرآن غير الآسن.

وقد أمكن تدارك الموقف بتدخل من بعض وجهاء وآباء التلاميذ وأعـــضاء جمعيـــة خريجي المدرسة الذين قاوموا الأزمة الطارئة على الـــبلاد والمدرســـة بـــسبب القحـــط والجفاف القاسية الغازية منذ حين من الدهر، أضف قلة المساعدات إليها مـــن الجهـــات الرسمية وخصوصًا حكومة السنغال المتفرجة غير العابئة.

على أن عدد الوافدين، رغم صعوبة الظروف وشدة الأزمة في تزايد مستمر ويُحسب عدد الحفاظ حاليًا بالمئات سنويًا، فالحكومة إضطرت للإعتراف بها وتقدم لهـــا معونـــة سنوية متواضعة لاتكفى غذاءا لطلبة لمدة شهر واحد.

ورابطة العالم الإسلامي عن طريق مقرّه الإقليمي بدكار الـــسنغال، تعتـــرف بـــدور المدرسة وبفعاليتها، وكذلك جامعة أم القرى بمكة المكرمة، والإسلامية بالمدينة المنورة، ويُقدمان منحًا دراسية لها، وهكذا جامعة الأزهر الشريف، ومظمة الدعوة الإسلامية بليبيا ومنظمة المؤتمر الإسلامي ومعظم جوامع الـــدول العربيـــة والإســـلامية فـــي العـــالم، والمنظات الدولية ذات الطبيعة الإنساينة والدينية والثقافية.

وبعض هذه الدول عن طريق بعثاتها الديبلوماسية، تقوم بزيارة المدرسة وتقـــدم لهـــا بعض مساعدات في شكل كتب ومواد غذائية أو مبـــالغ ماليـــة. أمّـــا دور المتبـــرعين والمحسنين من السنغال، فإنه فوق كل اعتبار لأهميته، فهم العمود الفقري لحياة المدرسة، أضف إليهم بالذكر جمعية قدماء الطلبة في المهجر ومن البلاد، فالفضل يعود إليهم، في تعبئة الجماهير، واستقطابهم وإيعازهم وجمع التبرعات والزكوات والقيام بتسيير وإدارة

ميزانية المدرسة بحكمة بالغة. المدرسة كمركز للوفاء والإخلاص، والجهاد في سبيل التبليغ، ونشر الدعوة الإسلامية أصبحت حياة المنطقة رهينة بها. هذه معجزة كبرى من معجزات القرآن ومفخرة عظيمة سجلها الشيخ أحمد صغير لوح، الذي كرس حياته في تلبية داعي الله وضحّى بنفسه فداء للأطفال وشباب أمّة الإسلام أهل الذكر الحكيم. رضوان الله وغفرانه عليه.

كيفية التعليم في المرحلة الأولى

يبدأ التّعليم برسم خمسة حروف أو أقلّ من الحروف الهجائية بالمداد السود المستخرج من أكسيد الكربون العالقة على القدور، تُكْتَبُ الحروف بشكل واضح على اللوحة الخشبية، ثم توضع على ركبتي الطفل. فيبدأ عملية التلقين حرفًا بعد حرف، مع مراعاة وضع أصبع الطفل أو عصا صغير على كل حرف عند نطقه. وتتكرر هذه العملية مرات عديدة حسب حالة الطفل، عند تمييز جميع الحروف الهجائة : (28 حرفًا).

تبدأ مرحلة التهجي، وتكون بنفس الطريقة، حتى يستطيع الطفل تهجي كل حرف على حدّة مشكّلة بالحركات المختلفة : الرفع والنصب والخفض والجزم : الضمّة، والفتحة، والكسرة، والسكون. وقد جمع الحركات بعضُ علماء القراءات في بيت وقال :

ضفكسٌ ياماللكُ الأصولُ   رنخجٌ فروعُها خليلُ

وبعد المرحلتين المذكورتين، تبدأ أهم المراحل وأصعبها وهي مرحلة جمع الحروف مشكلة في شكل كلمات، أو قراءتها بدءًا بكلمات فاتحة الكتاب القريبة لدى مسامعه، حيث تُرَتَّلُ في الصّلوات والأدعية وغيرها من المناسبات الرّسمية، وهكذا قصار السّور على اللّوحة الخشبية، سورةً تِلْوَ أخرى، حتى يصل الطفل إلى درجة الإكتفاء الذاتي أو مستوى يُمَكِّنُهُ من الإستقلال، حينئذ فقط يُسْمَحُ له بقراءة دروسه اليومية دون مُلَقِّنٍ ومُراقب يقف على صحة النطق، وجودة الترتيل واحترام قانون القراءات بأكملها.

في هذه المراحل الثلاثة، يتولى بعض الحفّاظ الممتازي الخطّ كتابة الدروس بالمداد، تحت رقابة كبار الحفّاظ المجازين في فنون الرّسم والقراءات والحفظ والتجويد وأثبتوا الجدارةَ، والتمكنَ في كلّ ماله صلة بالقراءات والتجويد والرسم حتى لاتُقرأ كلمةٌ ملحونةٌ او يُركب خطأ نحويٌّ وهكذ.

وطرق التّحفيظ والتّحصيل تعتمد أساسًا على التكرار المزمن، والترجيـــع المـــستمر بصوت مرتفع، وبالمذاكرة، والتسميع للأجزاء المحفوظة في أوقـــات محـــددة أفـــضلها الفجر، وبعد صلاة المغرب. وهذا معناه، ضرورة إحترام أوقات الرّاحة، والإبتعـــادعن القراءة ومالها علاقة بها. هذه طريقة تقليدية كُوكِّيّةٌ، أثبتت فعاليتها وجدارتها وأعطـــت ثمارًا ونتائجَ لم يسبق له مثيل في تاريخ مدارس القرآن بغرب القارة. وقد بانت مزاياها وتفوقها كمًّا وكيفًا على نطاق واسع. وتجاوز صداها وصيتها حدود الـــسنغال، واقـــرّت بفضلها وحسن نتائجها جامعات العالم الإسلاميّ، حيـــث يحظـــى خرّيجوهـــا بجـــوائز وامتيازات ومكانة مرموقة إعترافًا منها وتشجيعًا لقرّاء القرآن حملة الوحي، أهل الحـــلّ والترحال، ما أعظم فضلهم.

<u>وفي مجال تعليم القرآن</u> : هذه المدرسة هي التي تصدّت وتحدّت على مختلف عوامل الزمان، والمكان بما فيها عوامل الإغـــراء، والثـــروة، والمناصـــب والجـــاه والمكائـــد والدرجات والنزوات. واجتازت بمهارة ونجاح على الحبال ودوائـــر الـــسّوء، وقـــسوة السلطة السياسية وإعراضها، والغزو الفكري والثقافي الإســـتعماري المـــسيحي، قبـــل الإستقلال وبعده وهي التي تناضل وتقاوم حتّى الآن موجات الغزو عنـــف الهجمـــات، وانجراف تيارات الإلحاد من مختلف طبقات الأعداء الذين يكيدون ويتربصون بـــالقرآن وبالإسلام الدوائر. وقد أثبتت كونها فريدة العصر، وحجة الزمان بنجاحاتها شموخًا فـــلا غرو فالعلامة، شيخنا ومربينا من خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أهـــل الله المُتَوَاضِعِينَ الذين لايدّعون لأنفسهم فضلا وأحوالا ومقامات ولايَنْسُبُونَ إلـــى الحـــضرة القدسية بما لايليق لشدة حيائهم من الله، علمًا منهم يقينًا بان الحضرة الالهية أجلّ وأعـــزُّ من أن تتحتمّل الكذب والإفتراء. وهكذا فالقرآن حياته، مماته، وتركته لورثتـــه. فهـــذه المدرسة في الواقع قامت بحمل أعباء الخلافة المحمدية في تبليغ الرسالة والأمانة عـــن طريق نشر علوم القرآن بتحفيظه، وتدريسه على أجيال عديدةٍ، إستجابة لقولـــه عليـــه الصلاة والسلام :" بلغوا عنى ولو آية". وقوله : "خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه لغيره".

هذه المدرسة نموذج كامل، ومثل أعلى، وترجمان حيّ لكلّ مـــا ورد ومـــن مـــأمور ومحذور ومَقْدُورٍ. فقد يعجز عن وصف دورها الواصفون ! وكيف لا؟ وقد أعطت للعلم

والعرفان، والدين والحياة حقها كاملة، ورفعت بالإنسان عن طريق القرآن إلى قمّة المجد، والعزّة والكرامة، ومنحت الوجود لمدارس قرآنية متفرعة عنها في الأمصار والقرى في مختلف أنحاء غرب القارة الإفريقية. وأخذت هذه تربى وتعلم، وترسل وفود طلاب إلى جامعات العالم العربي والإسلامي. وتعود هذه البعثات مكللة بنجاح، موشاة بشهادات عالمية ينخرط بعضهم في سلك المدرسة لتخليد رسالتها، فدائًا وجهادًا ونصرةً للإسلام وأمّته.

المرحلة الثانوية والأخيرة

بعد تمام الحفظ يشرع الطفل في دراسة قواعد اللغة والأدب العربية لمدة سنتين أو يزيد، في فصول خاصة، من مدرسين أكفاء من جامعات العالم العربي الإسلامي، وهم غالبًا من قدماء تلاميذ المدرسة، وبعضهم متطوعون فيها، وآخرون موظفون، عيِنُوا رسميّا للتدريس فيها، ويدرسون في هذه المرحلة اللغة العربية والفرنسية، لأن المرحلة هذه مرحلة تكوين وإعداد اكثر منها مرحلة تربية وتعليم، ولأن المرحل الأولى لايُسْمَحُ فيها تدريس اللغات الأجنبية بتاتًا. ويحصل الطالب عند نهاية المرحلة على الشهادة الثانوية العامّة.

وبخصوص البرنامج والمواد التي تدرس خلال المرحلة فإن البرنامج مستورد من الأزهر الشريف مضافًا إليه بعض موادّ مكملة إستجابة لمقتضيات بيئتنا الثقافية الخاصّة حتى يكون الطالب مسلحة بالأدوات اللازمة لمواجهة سوق العمل عند تحرجه بعثات من جامعات المغرب والمشرق، وفرنسا، والغرب عمومًا. واهم بعثات المدرسة توفد إلى جامعات الخليج والسعودية خصوصا والسبب هو أن هذه الجامعات تتعاون مع المدرسة، وترسل إليها منحًا دراسية في مراحل الثانوية، والجامعية والعليا، زِدْ على ذلك توفّر وسائل الدراسة في هذه الجامعات والخدمات فيها والتسهيلات أكثر من جامعات المشرق والمغرب والغرب. وكذلك قلة تأثر هذه المنطقة وجامعاتها بتيّار الغزو الثقافي في اللغوي الأجنبي وكون اللغة العربية متداولة رسميًّا في إدارتها العامّة والخاصة، ناهيك عنها في مرافق التعليم والتكوين والشارع. ويغلب إستعمال العامية والدراجة في المشرق

والمغرب. ولهذه العوامل إعتبار وثقلٌ في كفة الميزان، بخصوص تعليم وتكوين الطلبة غير العرب المسلمين.

ومعظم تلاميذ المدرسة تنتهي دراساتهم نهائيًا بحفظ القرآن وبعده ينخرطون في سوق العمل، ولايدرسون أكثر من بعض قواعد التوحيد والفقه لمعرفة أداء شعائر الدين، وتكون جُهودُ سنوات الحفظ قد ذهبت سدى. ويعود السبب إلى قفر الاباء، وانعدام العون والمساعدة من قبل الجهات الرسمية والخاصة والعالمية وهلم جرا.

سكنى الطلبة : الطلبة والتلاميذ، منذ إنشاء المدرسة، يعيشون في نظام داخلي مجاني، وكانت السكنى في البداية أكْوَاخًا خشبيةً. وفي بداية الثمانينات قام أحد المحسنين الحاج مَغَرِغِيْ ببناء عدة عمارات ومستوصف ومطبخ على الضيعة التي وضعت بذمة المدرسة، وأنفقت في هذه العمليات أكثر من مئتي مليون في حينها، كما بنا في وسط ساحة المدرسة سقفًا، مرفوعًا يسع لعدة مئات، يستخدم لأغراض الدراسة، والمحاضرات والندوات، واستقبال الزوار، والضيوف، وقد أضيف عليه طوابق أخرى نظرًا للزيادة الهائلة على الطلبة، ووصول الوفود والزوار، والضيوف. وتستعمل بعض غرف المباني للسكنى، وبعضها فصول للمدرسة، وهنالك جزء مخصص لإيواء التلاميذ الذين يرتكبون جرائم أو أخطاء ذات ضرر جسيم ويسمى هذا القسم (بدار السلام)، ويبقى فيه التلاميذ المدة المحددة من اللجنة المسؤولة على الأمن في المدرسة وقلما تصل المدة إلى سنتين أو سنة، لن المحبوسين بدار السلام معفو عنهم جمعي الخدمات ولنشاطات التي يقوم بها الاخرون ويحفظون القرآن في مدة أقل من أولائك الذين يعيشون خارجه لأن شغلهم الوحيد هي الدراسة والترتيل وبعض الآباء يستعجلون حفظ القرآن لأولادهم ويطلبون من الشيخ وضع أبنائهم في نظام دار السلام ، دون سبب، ولكن الشيخ يمتنع عن مثل هذا الإجراء، خوفا منه أن يَتَأَثَّر الإبنُ الساذج البريئ من أخلاقيات المحبوسين فيه لأسباب أخلاقية، تحسبًّا ومراعاة للعدالة.

وفي المستوصف مُمرضون، بعضهم موظفون رسميون، وأُخَرُ طلبة تلقوْا تكوينًا بهذا الخصوص، يقومون بعلاج المرضى ومراقبتهم في كل الظروف. كما يقوم السيد المقتصد، رئيس المطبخ، وسيد المطعم، بمراقبة الخزانة والمواد الغذائية وتوزيع

الأطعمة واستعمال المياه وأخشاب الطهي وتوزيع المسؤوليات بين فئات الطباخين، ويمسك سجلاً عمّا يسجل فيه المدَخولات والمصاريف جملة وتفصيلا ليستطيع مراقبة حسن سير نظام التغذية في المدرسة وحسن تدبير المبالغ والمواد الغذائية بشكل مرض. ولكل قسم من أقسام سكنى الطلبة مسؤولون : مراقبون يقدمون تقارير للمارقب العامّ الذي يكون على اتصال دائم بالشيخ وبالمشرف العام لضمان الأمن والصحة والسكنى.

معدل سنوات الحفظ

يختلف معدل سنوات الحفظ باختلاف الأفراد نفسيًّا وعقليًّا وأسريًّا وبيئيًّا. وليس المجال مجال تحليل هذه العناصر، ولذا أكتفي بالقول بأن متوسطي الذكاء يحفظون القرآن بالمدرسة في ظرف خمس أو ستٍّ سنين، على الأكثر، إن لم تتدخل عناصر أجنبية طارئة. وأما قليلوا الذكاء، فهم متفوقون لكن الصابرين والحازمين منهم، يحفظون في مُدَدٍ أطول شيئًا ما من متوسطي الذكاء أي ما بين سبع أو ثمان سنين، حسب التجارب أوالإحصائيات وسلسلة النتائج المسجلة حتى الآن.

أمّا الأذكياء، فهم أيضًا متفوقون في الفطنة، والذكاء، والحساسية، ومهما يكن، فإن بعضهم، يحفظون في ثلاث سنين، ومتوسطوهم فيما بين الثلاث والأربع سنين، وقلّما يتجاوز معدل حفظهم هذه المدة. والمدرسة غنيّة بتجاربها في هذا الخصوص، وقد تحْدُث تارة بعضُ إرهاصاتٍ، أو خوارق عادة، فيحفظ طفلٌ المصحف في أقلّ من ثلاث سنين : في تسع سنين من عمره ولّله في خلقه شؤون.

وعلى كل ينبغى أن نَنْتَبِهَ، ونأخذ في الإعتبار، الظروف السائدة في المدرسة، وطرق التعليم، وسلوك الطلبة والمدرسين ومجموع العلاقات التي تُربط المُتدخّلين في إدارة وتسيير شؤون المدرسة، بما فيها موقف الاباء والأولياء، الذين لهم يدٌ طُولَى، في تسهيل وتيسير تنفيذ مَهَامّ المدرسة بتشجيعاتهم، وبتردُّداتهم وزياراتهم الدورية وعوامل أخرى ترفع من حماسة وإقدام الطلبة. كما ترفع من معنويات جميع الفئات المتدخلين فيها، ولكن ملاحظة هذه العوامل، وأخذها في الإعتبار نادرة، مع أنّ لها قيمة وثقل في الميزان. المعنيُّون بالتعليم وخصوصًا بتحفيظ القرآن بمجرّد نهاية المرحلة الأولى : مرحلة تلقين الحروف الهجائية، يستطيعون البتّ في نسبة الذكاء ومعدله لأي طفل تحت

مسؤوليتهم. فالصبر، والثبات، والإحتفال، والقصد، عناصر هامة في ميــزان الأمــور إيجابيًّا وسلبًا.

قد يلجأ الشيخ إلى اتخاذ قرارات جزائية قصوى، قد تصل إلى طــرد بعــض كبــار الطلبة الّذين يلحقون ضررًا جسيمًا بالمدرسة، مثل ضرب طفل ما ضــربًا مُبَّرحًــا، أو إدخال مخدرات، أو صور مُخِلّ للشرف والخلق أو أي شيئ يخلّ بنظام المدرسة كحَــرَمٍ للتربية الإسلامية قبل كلّ شيئ. ومَحَلًّ لخلق جيل يحمل الوحي الالهي إلى الناس كافــة ولكنه في معظم الحالات، يضع المخلُّين الذين ثبتت ضدهم أعمال شغب، وغذائيــة، او إضرار وإخلال بالنظام الداخلي في دار السّلام حتى يصلحوا ثم يُعادون إلــى مــصاف البُرَءَاءِ من التهم المخلة للشرف.

والصَّرامة هو الطابع الغالب في النظام الداخلي حتّى لاتتحول المدرسة مصنعًا وملجأً للجريمة، فتنحرف تمامًا عن هدفها وعن رسالتها الإنسانية النبيلة. وقد وصــل التيــار الكهربائي إليها سنة 1999م أما المياه فإنها من الآبار الجوفية العميقة قام بحفرهــا أحــد المحسنين الشيخ علي سُوَارِ أنفق عليها مئات ملايّين كما قام محسن آخر ببناء مستشفى عصري مجهز بأدوات طبية، ووسائل عديدة بمحَازَاةِ المدرسة لوجه الله تعــالى، وهــذا الموقف الأخير يتنظر تدخل من الجهات الرسمية لتعيين أطباء وممرضين فيــه حتــى تستفيد من خدماته الأهالي والطلبة بالخصوص. ولهذا أقول إن حياة المنطقة، وتطورها وازدهارها أصبحت مرهونة بحياة المدرسة وخلود رسالتها وماذلك على اللعه بعزيــز. ويحسن الإشارة إلى أن الطباخين والطبخات من بعض الطلبة وســيدات خبيــرات فــي الطبخ تُوظفهم المدرسة، وتقوم بالازم لهم ولحياة أُسرهم كما تملــك شــاحنتين تجلبــان الحطب من الغابات البعيدة لإستعمالها في أغراض إعداد الطعام لأن مطبخًــا عــصرية مكهربة لم تَحِنْ بعدُ ظروفُ بنائه ثمّةَ، ولم يتأخر ذلك بعون الله وحسن توفيقه، لأن فــي البلاد محسنين، يترقبون مثل هذه الفرص لمبايعة المولى تبارك وتعالى بها، والجهاد في سبيله ونصرة دعوة نبيه ص. ولم أتعرض لمبيت الزوار، والضيوف وأهــالي الــشيخ وكوخه الخشبي العريق الذي فضل أن يسكن فيه حتّى وفاته سنة 1988م، وبقي ثمّ كرمز

ومعلمة للزهد، والتقشف النزيه، عن زخارف الدّنيا وزينتها. ولم أتعرض لمصدر المواد الطبية التي تجلبها قدماء الطلبة في المهجر والمحسنون داخل البلاد.

عدد خريجي المدرسة من إنشائها ومصيرهم المهني

من الصعوبة بمكان، وضع جدول للوصولات والمغادرات، أو بدء السنة الدّراسية أو نهايتها، رغم أن هنالك عطل إجبارية في نهاية شهر رمضان وبعد عيد الأضحى، لمدة شهر الدراسة خلالها ممنوعة منعًا باتًا.

وعادة المدرسة هو قبول الطفل في أي شهر من السنة وصل مع أوليائه ومغادرته كذلك بعد الحفظ في أي وقت شاء. ولم يكن ثمّة سجل لتسجيل هذه الحركات الدائمة لمعرفة عدد القائمين والمتخرجين. وكان بالتالي شبهُ مستحيل، وضع جدول موضوعي محدد، يثبت نسبة او معدلاً بهذا الخصوص، ومع ذلك يمكن إعطاء فكرة قريبة للعدد الحقيقي بالطريقة الآتية : في السنوات الأولى من إنشاء المدرسة سنة 1939م إلى سنة 1949م كان معدل الحفظ ما بين 10، 15% حسب شهر الوصول لاحسب السنوات. ويمكن الإحصاء بالسنوات وحتّى بالأوقات لأن عامل السبق معتبر جدًّا، ويلعب دورًا هامًا في مدة بقاء الطفل للحفظ سواء كان من مفرطي الذكاء، من متوسطيهم أو العكس. وعلى كل، فإنّ معدل الحفظ يتناسب مع عدد الموجودين الذين وصلوا في نفس الوقت أو الشهر أو السنة، وحسب ذكاء الطفل، والعوامل المتدخّلة، والإعتبارات المختلفة التي لها دور في عمليات تعليم الأطفال. ولو فرضنا أن مئة من الأطفال وصل في وقت واحد، وشرع في التّعلُّم في وقت واحد، فإنّ نسبة الحفظ في آخر المرحلة لاتقلُّ عن ثمانين بالمئة 80% بحال من الأحوال. هذا بغض النظر عن الظروف والعوامل والإعتبارات المذكورة حسبما دلّتْ التجارب وعليه، فمن الممكن أن نقول بأن عدد خريجي المدرسة سنويًا يُحاسب ويحصىبالعدد الْمُتَوَاجَدِ فيها منذ ثلاث سنين على الأقل، وباعتبار كون العدد المتواجد في تزايد مُطَّرِد، فإنّ نسبة عدد المتخرجين في تزايد مستمر سنويًا كذلك. وليس في المدرسة سجل يحتوي على هذه الإحصاءات في السنوات الأولى. وقد وجدت حاليًّا، لإستجابة على متطلبات العصر. فإذا عرفنا أن أقلّ عدد متواجدٍ فيها لايقل عن ألف أو ألفين ونيف من بداية الستينات إلى الآن، فإنّ عدد الخريجين يكون مرتفع جدًا، أما

عددهم من يوم إنشائها إلى الآن، فإنه، ولاشك ألوف يصعب تعداده، أووضع جدول إحصاء دقيق بشأنه. ففي الثمانينات والتسعينات، يصل عدد الخريجين ما بين المئتين أو المئتين ونصف : 10% من الألف أو الألفين والنصف المُتواجَدِ في المدرسة، ولم يصل إليها في وقت أو شهر واحد. وإني عاجز على ذكر عدد معين لخريجي المدرسة من إنشائها، ولكنهم ألوف مؤلفة. لم يكن الشيخ المؤسس يرغب في مسك سجل إحصائي لهم لأن التعليم المجاني عبادة لله فقط ولا يرجو من ورائه غير مرضاته تعالى. لهذه الإعتبارات الدينية عنده لم تكن ثمة وثائق من هذا النوع. ونشير إلى أن 5% من خريجي المدرسة إستطاعوا اللحوق بالجامعات العربية وتخرجوا منها موشاة بشهادات عالمية ويُقَدَّرُونْ بالمئات، يعود بعضهم إلى البلاد لمزاولة مهنة التعليم، وبعضهم ينخرطون في التجارة وحَرْفًا أُخْرَى، وجزءٌ كبير منهم يبقون في قارة أوربا، يقِينًا منهم بان الإدارة السنغالية لن تعطي لهم أقلّ فرصة للعمل فيها لأن النظام الحالي في البلاد يعادي العربية وحضارتها. وخريجو المدرسة عمومًا ينحرفون إلى سوق العمل في معظم الحالات ولايواصلون دراساتهم وعشرة بالمئة يحاولون مواصلتها، ولكن معظمهم ينحرفون نحو نشاطات أخرى في آخر المطاف لإنعدامُ فرص لهم في الإدارة وسوق العمل.

ولهذا السبب يحرص أولياء الأطفال على إرسال أولادهم بعد الحفظ إلى المدرسة الفرنسية، إن كانوا في سنٍّ مناسب لذلك، وإلا يرسلونهم إلى الورشات لتعلم المهن، قبل فوات الآوان. وبعض الأولياء يرسلونهم مباشرة إلى المدرسة الفرنسية حيث ينشأ الطفل المسلم، وهو لايعرف من الإسلام أكثر من أنّه ولد مسلمًا يصلي لأنه رأى والديه وأقاربه يصلون.

ففي بعد الظروف الصعبة التي تجتازها البلاد، تحاول المدرسة إنقاذ ماأمكن إنقاذها حتى لايفقد الإسلام كل شيئ في هذه الربوع من غرب قارة إفريقيا، جراء الغزو الفكري الثقافي المسيحي المهيمن.

<u>مصادر تمويل المدرسة القرآنية بكوكي</u>

تملك المدرسة من سنة نشأتها مزارع تقوم الطلبة باستغلالها تزرع فيها أنواع الحبوب اللازمة لحياة أبنائها. وكانت المنتوجات كافية لضمان الأمن الغذائي، سنة كاملة، وهـذا الإكتفاء الذاتي، يغنيها عن عِبْ ءِ الصدقات والتبرعات، وعن مساعدات السلطة للقيـام بمهامها. وكانت تنتج كميات وفيرة من الحبوب، والفول، والعدس، والجلبانة، والفـستق، والذرة لأغراض المعيشة فقط. وكانت ثمة مشكلة تخزين هذه المنتوجات لأنها معرضـة للإتلاف جرّاء الحشرات والحرائق وأخطار أخرى تنجم من جُبَـاةِ الـضّرائب الـذين يُصادِرُون، أو يستوْلون بهذه الكميات عند العجز عن دفع الضرائب الشخصية، والعينية ينتزعون الملكيات نزعًا. هذا قبل الإستقلال.

لخزن وادِّخَارِ المنتوجات إنتهت المدرسة التي شراء محل تجاري قديم كـان ملكًـا لإحدى الشركات التجارية الفرنسية التي غادرت المنطقة، وبها مخازن جاهزة معدة لهذا الغرض، وكانت ميزة زائدة على ضمان الأمن الغذائي بتأمين مواد التغذية ووضعها في أماكن آمنة من الأخطار المختلفة.

في تلك السنوات لم تكن المدرسة في حاجة على تدخلات السلطات وناهيـك عـن غيرها. وكان عدد الطلبة في حدود طاقة إحتواها، ولما ارتفع العدد وجاوز هذه الحـدود إضطرت للجوء إلى المحسنين لرفع هذا التحدي، ومواجهة المدّ من الوصولات ياطِّرَادٍ دون أن ترافق هذه الزيادات إِجْرَاءَات غذائية مناسبة المد لإيواء العدد واحتوائـه فـي ظروف إنسانِيَّةٍ والإشراف عليه كما ينبغي صحيا غذائيًا وفي سـكنى مُريحـة آمنـة، ومجهزة بوسائل تستجيب لأغراض التربية والتعليم. ولما تفاخمت الصعوبات، تـدخلت أولاً، آباء التلاميذ، وبدأوا يرسلون موادًّا غذائيةً، وموادًّا للبناء، مبالغ مالية، ويقومـون بزيارة المدرسة كما يرسل بعضهم مواد طبيـة، وألبـسة، وكتـب لمواجهـة مختلـف الصعوبات. وأخيرًا شكلت لجان تابعة لجميعة قدماء الطلبة وضعت على مسؤليتها مهام الإشراف والإدارة وتسيير شؤون المدرسة، ووزعت المسؤولية بينها وهنالك لجان الأمن الغذائي، لجان الصحة، لجان التربية والتعليم، ولجان رقابة التعليم، لجان جمع التبرعات والصدقات والمساعدات، لجان النظافة، والإستقبال والإستضافة، والمرفقـة والمراقبـة العامّة. كلّ هذا تحت إشراف الشيخ الذي يتلقى معلومات من مسؤولي اللجان مشافهة أو

بشكل تقارير مكتوبة لإيجاد حلول مناسبة لجميع المشاكل التي تنجم او تترقب حدوثها واتخاذ الإجراءات لتلاقي الأخطار وجلب المنافع.

في مجال الزراعة، كانت المدرسة تعتمد فقط على الأمطار في موسم نزولها صيفًا، وتستعمل حاليّا الزراعة بالريّ لإنتاج الخضروات الازمة لإثراء الطعام بالموادّ الغذائية الضرورية لنمو الجسم، دون اللجوء إلى شرائها في السوق حيث يُشْتَرَى بثمن مرتفعٍ وغالٍ جدًّا ولا تتحمله ميزانيةُ المدرسة. وقام السيد الحاج علي سُوَارِ بحفر بئر عميق تسدّ حاجات المنطقة كلّها تقريبًا بمياه الشرب للسكان ومواشيهم، وسقي مزارع الريّ الموسميّة. فهذه التدخلات من آباء الطلبة والمحسنين ومن جمعية قدماء خريجي المدرسة المشرفين على مختلف اللجان، تشكل مصدرًا هامًا لحياة المؤسسة. ولاغنًى عنها بحال من الأحوال لأنّ السلطات بعد الإعتراف بها مؤخرًا، لاتقدم لها إلا مساعدة سنويةً هزيلة لاتستحق الذكر لضآلتها.

وقد تصل إلى المدرسة بعض مساعدات من جهات البر والتقوى من كلّ مكان، من داخل البلاد وخارجها، وخصوصًا من أعضاء جمعية قدماء الطلبة في المهجر، هؤلاء يرسلون أدويةً طبيةً وألبسة وسررا وفرشا ومواد غذائية ومبالغ مالية ضخمة. وهم أعرف الناس بظروف المدرسة وحاجياتها. وأكثرهم عونًا وقيامًا بمقتضياتها المادية والمعنويّة.

والمساعدات التي تصل إليها من العالم العربي تكون في شكل منح أو كتب وبعض مبالغ مالية، عن طريق تمثيلياتها الديبلوماسية. غنى عن البيان أن العالم العربي والإسلامي، لايملك في غرب القارة، ثقافيًا وإسلاميًا مصلحة أخمّ من هذه المدرسة التي تعتبر اليوم جامعًا يدرّ من الخيرات والبركات والفيوضات ما عجزت عن مثلها كثير من دول العرب والمسلمين، ويعتبر الإسلام وثقافته، ولغته، وحضارته أهم شيئ تربطنا بالعرب، قبل الجوار، والمصالح والصدقات وغيرها من العلاقات ولهذا يتعين على العرب ردُّ الإعتبار، واتّخاذ إجراءات خاصة لإحياء تراثهم وتخليده في القارة فحياة الإسلام وبقاؤه منوط بهم ولكن قوته وهيمنته مرهونة بغيرهم.

فعندما تتخلى أصحاب النيات الحسنة، والمجاهدون في الله عن الدعوة ورسالة التبليغ بتحفيظ القرآن ونشر تعاليمه وبيان مبادئه ودعم طرق تربيته. بالإرتماء وراء الشهوات ونشوة الترف والتسابق في جمع الثروات. فمن الناس غير الشعب العربي يتحمل هــذه المسؤليات. ولا داعي لإثبات بأن هذه المدرسة في خدمتهم قبل كل شيئ دون مقابل، لأن القائمين بها لايلقون أجورًا منهم ولا تشجيعًا أو دعمًا يمكن ذكرها حقيقية، بينما القــرآن يقول في سورة الأنبياء : { لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم أفلا تعقلون} (آية 10). فــي هذا الكتاب المنزل وحيًا من عند الله على قلب الرسول العربي مجدكم وفخركم، فضلكم وتاريخكم وحضارتكم ومميزاتكم عن غيركم من الشعوب والأمم

في الكون. ولهذا، فلاحاجة لدعوة العرب إلى مساعدة مثل هذه المؤســسات الدنيــة والثقافية في العالم. فأهل مكة أدرى بجبالها! ورضوى جبل بالمدينة المنوّرة.

الظروف الحالية في العالم تفرض على العالم العربي أن يتخذوا بعض مسؤولياتهم في المعركة المحتقة لضمان إستمرارية الوجود والحضور الثقافي، الديني، والحضاري بإنقاذ الموافق المتردية لأجل المنافسة السرشة من جهة ســلطات الإســتعمار، عــن طــرق مراكزها ومؤسساتها التّعليمية التي يديرها مبشرون مسيحيون ويؤيّدهم أفارقة مرتزقــة في حَبَائهم وهم كثيرون وتحت تصرقهم ميزانيّات هائلة تكفي لهدم القارة ثقافيًّا ودينيًــا، ولو كانوا مُدرَّعين مسلحين بعقيدة صحيحة غير متناقضة وبإيمان سليم وديــن فطــري مقبول عقلاً.

فمدرسة كُوكِّي والمدارس المتفرعة منها كَمَنَارِ الهُدى بلُوغُــا، ومراكزهــا بــدكار وبالمدن الكبرى، والقرى تخوض غمار المعركة وتسعى جاهــدة دفاعًــا عــن العقيــدة والإيمان عن طريق نشر المبادئ وتبليغ الدعوة وتعليم القرآن رغم قلّة إمكاناتها، ورغم المضايقات واللامبالات من الجهات الرسمية والملحدين الفرمسة. فالخريجون منها جيش مدرّعٌ في خدمة الإسلام بإيمان وإخلاص ولا ينبغي غير مرضاة الله من وراء ذلك.

وهذا سرّ تفوق ونجاح المدرسة وسرّ خلودها من فجر الإستعمار، وبعده، ويعرفــون يقينًا أنّ القرآن هو العدد اللدود المتربَّص من هؤلاء وأولائك. ومالنصر إلا من عنــد الله إنّ الله عزيز حكيمٌ.

الفصل الرابع عشر: الشيخ احمد تيجان سي

مولده ونشأته:

الشيخ احمد تيجان سه ولد سنة 1926 بكولخ لدى أخواله ومولد أمه السيدة عائشة كان بنت الحاج عبد الله كان، وله قرابة بالشيخ الصالح حامد كان، صديق السيد الحاج مالك، والجدة الثانية من الأم هي أخت ملك سين كمب اندوفين جوف من قبيلة سرير ، ولهذه صلات مصاهرة بأسرة باقم قربى الإمام مبا جاغو باه الذي غزا سين واتى بأخت الملك سلبه جوف وزجها بأخيه من الأم. أما خالاته فمنهن السيدة زينب كان وفاطمة، وكانت الأولى لدى العلامة الشيخ احمد دم بسوكون، والأخيرة لدى الحاج تال لوح بسبقطان، وكان الحاج عثمان وعلى يحرسان البيت والزاوية بكولخ، ويدرسان النشئ علوم القران.

تربيته ودراساته :

تربى ودرس في حضن والده الشيخ الفاضل العلامة القرم المجتهد الفقيه المفكر السياسي المحنك الاستراتجي الذي بحنكته أوصل الطريقة التيجانية إلى أرقى أوج قمة المجد وارسي جذورها راسخة صامدة في مستوى ما وصلت إليه قط في طرف من الدهر من منشئها في القرن 18م حوالي 1830 م و إلى وفاة المِؤسس سنة 1815م ودفن بتواوون ويزار مدفنه رضي الله عنه .

جذوره العلمية والدينية

أما الخليفة ابوبكر سه بن الولي الصالح الحاج مالك سه بن عثمان سه ولد بسان لويس سنة 1885م وتوفي سنة 1957 م بتواوون بمسجده ويزار تبركا به وتقام حفلات دينية بحضرة المسجد ورحاب الزاوية كما يدرس علوم القران فيه.

الشيخ ابوبكر سه هو دون نزاع اكبر فقيه أديب لغوي شاعر ، مفكر ، سياسي عنيد تقي ، ورع نزيه ثبت ببيت الحاج مالك حسبما روى لي الحاج تفسير باب جوف البرنجي وهو يعرف علو كعبته وبسط باعه وتضلعه في العلوم والمعارف . وهذا الأخير من كبار مقدميه ، وعلاقته بالخليفة معروفة كما كان مدرسا ممثلا له بقطر سين وسالم بأمر صريح منه بعدما أنهى دراسته لدى زاوية الحاج مالك بأندر عند

الشيخ إبراهيم جوب سنة 1935 . وكان بمدينة كساس اثر انتقاله من قرية فاس كان، بإذن من الخليفة 1940م وقد ولدت بكساس 13- 10- 1941 أثناء خدمة والدي هنالك مهاجرا، وكان هذا دأب الأسرة المالكية في التربية ونثر العلم وترقية القوم وسقيهم بفيض موارد الوصول السلسبيل.

وقد جمعت فتاوى الخليفة وإجاباته على الأسئلة التي ألقاها على حضرت الحاج تفسير جوف في كتاب بعنوان((الأجوبة المقنعة على الأسئلة الهامة)) وهو مخطوط بيد الخليفة التيجاني العام منصور سه بن السيد ابي بكر الصنديد رضي الله عنه .

عبقريته وعلميته

وقد تربى التيجاني ودر س وتدرب على الكتابة وقول الشعر والمطالعة والبحث ومراسلة كبار العلماء والمفكرين والقادة والجهابذة وأولى العزم والصالحين مدة نصف قرن . وأصبح بحق علما بارزا من أعلام الهدى في فنون شتى ونال من المزايا والدراية والجدارة ما لم ينله شباب جيله ، وذلك بفضل عبقريته العالية واقداميته وسماحته وكرمه ألا محدود فهو محاضر فصيح بليغ يملك مدارك ومآخذ القلوب ولا يميل حديثه اللبق.

الشيخ التيجاني أول من فتح باب الاجتهاد والتفكير والكتابة الحرة والتعبير الحر بفن المسرح والسينما والتصوير والرياضية البدنية والفكرية بما فيها حمل الأثقال والملاكمة وكرة القدم مع صديقه احمد سين تشاو في الخمسينات حيث كنت بيد الشيخ احمد الامين كب لتصحيح القرآن قادما من كوكي من مدرسة الشيخ احمد صغير لوح خريج زاوية الحاج مالك بسين لويس مع كواكب من علماء تتباهى بهم العصور وتزهو .

الشيخ احمد التيجاني سه بعد احداث سنة 1957 م ووفاة والده الخليفة العام أبي بكر والحاج منصور ، وهذا في أسبوع واحد وبتولي الخلافة العامة عمه الفاضل حارس الأسرة المالكية الحاج عبد العزيز دباغ مالك سه (1903 ــ 1997) انقلبت الأوضاع رأسا على عقب .

دور الشيخ التيجاني في المجال السياسي الديني الثقافي في القطر:

أ ـ إيقاظ الضمائر وتعبئة الهمم ، ولم الجهود وصقل الوعي وترسيخ روح الإبداع وتحميس الشباب على مواجهة الظروف وإقناع الجماهير بضرورة خوض غمار الحياة، لتحقيق حياة دينية مثلى بدلا من الجمود والرضوخ والتربع في أحضان الزوايا.

هذه بعض الأسباب والعوامل التي ساهمت في إشعال أحداث تواون ودفع أبناء الشيوخ والمستعربين والمفكرين الثوار الأحرار للتمرد ضد الهيمنة وضد الاحتكار السياسي والإداري سواء من البيض أو السود المستعمرين وعملائهم من السنغاليين واحدث التيجاني ثورة عارمة في الأفكار وضجة في العقليات والعقيدة والعبادة والعلاقات وتركت هذه الثورة آثارا عميقة نعيشها حتى اليوم .

ب ـ وقد حاول سنغور ومحمد ضياء إخماد هذه الثورة بكل وسائل بما فيها السجن التنكيل والنقي إلى خارج الوطن لكنها فشلا فشلا ذريعا ، إذ بذور الثورة نبتت في قلوب جيل بل أجيال من شاب وكهول وشيوخ و مفكرين ومدرسين وفلاسفة يستحيل ردعهم أو إخضاعهم للرضوخ أمام الأمر الواقع الكاذب الذي حاول نظام سنغور فرضه عليه بالقوة والمكيدة .

تكوين الحزب الاشتراكي السنغال (P.S.S) سنة 1958 م

هذا الحزب رابع تجمع سياسيا في البلاد بعد حزب B.D.S وحزب S.F.I.O و وحزب P.A.I . وكان زعماء هذه الأحزاب هم الرئيس سنغور والمحامي الأمين غي والصيدلي ما سمود جوب الشيوعي . وقد شكلت هذه الأحزاب خارج بلاد السنغال هذين بفرنسا والأخير بمسكو، وعليه يكون حزب الشيخ احمد التيجاني أول حزب سياسي ولد على ارض الوطن .

وكان الحزب يحظى بتأييد قوي من الرئيس الفرنسي الجنرال ديغول واندر مالرو، وشخصيات فرنسية وافريقية وعربية وغيرها في قارات العالم، بينما كانت معظم شيوخ الطوائف في السنغال وأتباعهم يعارضه لدواعي وأسباب وحساسيات مردها الجهل بالسياسة وعدم مسايرة ركب الحياة ومجريات شؤون العالم حينئذ وكان التيجاني فكريا وعقليا واستراتيجيا سابقا لأوانه وعصره وما كان الجيل ليفهم ما كان

يجول في خاطره المجتمع الذي يتصور آو ينهض لإقامته وكذلك الخطة والمنهج والأسلوب والخطاب الذي يجده كل هذه العناصر كانت حديثة على شعب غارق في النوم منهزم مغلوب على أمره مستسلم منقاد لا إرادة ولا مبادرة ولا رأي له فيما يجري ببلاده وبالأحرى في العالم، أضف إلى هذه تأثير الاستعمار وقلة الوعي السياسي والتزمت الديني والجهل المنتشر في كل الأوساط وتواطؤ بعض الطوائف الصوفية وعلماء السوء مع سلطات الاستعمار وعملائه من حملة الثقافة الفرنسية الحكام الجدد السود ، وهم خليط متورط مزيج مجهول العناصر من أوساط البيئات المتدنية وأوساخ الوسط الاجتماعي هم الذين كانوا بالأمس عبيدا وكونت منهم فرنسا ثلة من ضباط وحملة شهادات لمواجهة السادة الأباة ووجهاء البلاد وزعماء الزوايا ورواد العلم وحماة الدين مقاومو الغزاة بالأمس القريب.

كانت مهمة الشيخ التيجاني أن يواجه كل هذه العناصر والطبقات والعقليات والتيارات بدءا بأسرته قبل الأسر الأخرى ولم تكن مهمة مزدوجة بل أكثر منها تعقيدا ولهذا كانت المقاومة والمعارضة ضد فلسفته وآرائه وخططه شديدة رغم كثرة مؤيديه عددا وكما، وقد فهم الجيل فلسفة حياته بعد انقطاعه وانسحابه من الميدان وانعزاله من مصاف طبقة الحكام ورواد السلطة السياسية، وخسر الشعب والدين من هذا الموقف خسرانا مبينا لا يمكن تداركه ابد الآبدين، والسبب في ذلك هو أن العوامل والتيارات المضادة المذكورة أعلاها والتي تنشط ضد فلسفته لا تزال نشطة سارية المفعول من كل الأوساط والجهات الدينية والسياسة فالدوائر التيجانية المؤيدة تنقصها التكوين السياسي الايدولوجيا رغم كثر عددها واستعداها لحمل الأعباء ومواجهة الظروف زيادة على الفهم السطحي التافه لفلسفة الشيخ التيجاني في الدين والسياسة والحياة عموما

والتجمع الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه لتخليد أفكاره هو حركة المسترشدين والمسترشدات التي يتزعمها ابنه الكبير محمد المصطفى سه بجدارة وحكمة وحنكة وخبرة وشجاعة نادرة رغم الملاحقات والمعانات والمضايقات والحناق وردود الفعل

المعاكسة من كل الجهات وهو يواجه الظروف بعلم واقتدار وثقـــة بـــالنفس وإيمـــان ومسئولية

وقد ضاءلت نفوذ حركة المسترشدين بسب سوء التفاهم والتمرد والتنازع بينها وبين شقيق التجاني عبد العزيز سه الابن لسان حال الأسرة الذي ضحى بالنفس سلفا والنفيس في تأييد أخيه الكبير نصف قرن كامل ، ولقي بالأمرين لكن قوانين الـــسياسة لا تعرف الأخلاقيات التي تراعى في كبار الأسر الدينية ولا تعترف بالقواعد الوراثية وقد سبب هذا الشقاق فتورا شاهقا ونزفت من دمـــاء الأســـرة كثيـــرا لا يعبـــا بهـــا المتفرجون لأن الوضع رغم عنفه فهو في طي كتمان وضغط شديد قد ينذر بالانفجار يوما،

حيث أن أولاد كل من الأشقاء وصلوا سن النـــضج وهـــم واعـــون بالأزمـــة وتبعثاتها ومدركون مدى خطورتها وحرصون على رعاية مصالحهم وضـــمان امـــن مستقبلهم. ورغم صلات القرابة ومصالح الطائفة ، التـــي تعتبـــر أســـاس الزعامـــة والتبعييةوالمزايا التي يتمتعون بها المسئولية على عاتق كل أفراد الأسرة أخيرا.

هـــ – وبعيدا عن الجو المتوتر المضطرب ، يوجد جمهور غفير من المفكرين مفرنسة يؤيد التيجاني ومنهم فرامسة وشيوعيين وغيرهم مـــن الـــساسة ، وهـــؤلاء أصدقاء هواة لا علاقة لهم بالديانات والتصوف الطائفي، وهم يشكلون قوة هائلـــة لا قبل لأحد في مواجهتها. لكن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن ، حيث أن التيجـــاني منذسينين انسحب طواعيا ، وانقطع عن الجمهور ، والاتصالات ، ولم يعد هناك مبرر لبذل مجهودات للم شمل لا قيادة له سياسيا بدرجة واضحة لا غموضة فيها . وليس هنالك مانع سياسي من ذلك فرؤساء الأحزاب السياسية في البلاد، أقـــزام فـــي ظـــل التيجاني ، لو جاز مقارنته بهم ، وتلك ما ل يستسيغه الذوق السليم .

منزلة شيخ أحمد التيجاني سي:

الشيخ أحمد التيجاني من كبار عباقرة العالم وأحد أركان الأمة الإسلامية فلسفة وعلما وذكاء ، فهو بحق مثل أعلى ونموذج إنساني متكامل يدر أدبا ونبلا وفكرا وهمة وهيبة وجلالا يشهد له بهذه المزايا علماء العصر من مختلف الأوساط وسكارى المشارب. أما خبرته وتجاربه السياسية لم يحظ بالتوفيق فقد تكالب عليه طبقة لا تؤمن بسلطة دينية أو روحية فنافسوه وغروه واغتصبوا منه النصر والفوز الذي حققه في انتخاباته سنة 1959 ، وصرح أحد كبار المنافسين قائلا : ((نحن الخصم والحكم ، ولو صوت له الجن والإنس بجميع أوراق شجرة الدنيا فالفوز والنصر بجانبنا)).

وبالفعل أعلن النتائج قبل بدء فرز الأصوات وكرسوا فشله وحصل ما لم يكن بحسبان وباعتبار الشعب حينئذ غير واع ، غير خبير ، غير مجرب ، ولم تكن هناك رقابة أو إشراف أو لجان مختلفة من المنافسين فمن المحال أن تكون عملية الانتخاب نزيه، وكان جانب المفرنس يعتقد جازما أن الشيوخ لاحق لهم من تولي السلطة السياسية والقضائية والتشريعية والتنفيذية ، وبالأحرى رئاسة الجمهورية.وهذه القناعات لا تزال سارية المفعول بين المفرنسين والمستعربيين الجامعيين وغيرهم ماداموا ينتمون إلى أسرة الدين والثقافة ، هذا كأثر من آثار الاستعمار، فلسفة إدارية سياسية مبرمجة مقررة تدرس في جميع مراحل التعليم حتى في الدراسات العليا.

منذ حصول دولة السنغال على الاستقلال حتى اليوم لم يشارك في إحدى السلطات الثلاثة للدولة مستعرب واحد كنائب في البرلمان، وكوزير، وكقاض في المحاكم حتى الابتدائية منها، وبالأحرى القضاء العالي والوظائف العالية جملة وتفصيلا ، وكان الاستراتيجي التيجاني مبكرا يرى كل ذلك، ونهض بما له من قوى لتفادي وقوع الشعب في هذا الفخ.

وبعد اغتيال أماني الشيخ التيجاني من منافسيه ، جمع هؤلاء قواهم ووضعوا خططا دقيقة واتخذوا إجراءات صارمة لمنع تكرار هذه المحاولة من أفراد كبار أسر الدين، وصوتوا على قانون في الدستور يحرم لحزب أو تجمع سياسي أن تكون لهم

صفة أو صبغة دينية ، وهذا القانون لا يزال ساري المفعول رغم انتــشار الأحــزاب السياسية وتقود ثمانية منها أشخاص تنتمي لهذه الأسر الدينية منهم:
مصطفى سي ، ومود كرا امباكي، ومأمون نياس،وأحمد خليفة نياس ، وغيرهم وتشد عليهم الخناق ويراقبون ويلاحقون ويحرمون من أتفــه الحقــوق ومزايــا الأحــزاب المعترفة رسميا ، بسبب انتماء مؤسسيها من أسر دينية

وهذه العمليات والتجمعات السياسية تكرار لما دعا ونادى وقام بها التيجاني في نهاية الخمسينيات وضحى بالنفس والنفيس من اجلها وكانت مبادرته ومشروعاته غير مفهومة وكان شعار المنافسين يقول ويجاهر بان الشيوخ عليهم أن يلازموا محــارب الزوايا وسبحاتهم وجلودهم وألا يفكروا في مساهة الأطر المفرنسة في تسيير شــئون البلاد لأنهم خلقوا لمهام دينية لايجوز جمعها أو ربطها بشئون الدولة.

ومنذ سينين اعتكف التيجاني في برج مشيد بالصمت وسكون رهيــب يــوحى ويلهم بتعاليم جد غزيرة. ويثار حول سكوته أقاويل والتحليلات والتخمينات ولا يرونه أو يسمعون منه إلا بمناسبة حفلة مولد النبي، حيث لم يعد يشارك في الملتقيات ربمــا لتقدمه في السن ولأن ابنه الكبير يمكن أن ينوب عنه ويلعب دوره بجدارة ، ويواجه قوى التيارات المضادة بخبرة ومهارة وبسالة.لمثل هذا يذوب القلب من كمال إن فــي القلب إيمان وإسلام

الفصل الخامس عشر: الرئيس ليووبول سيدار سينغور

هذا الكتاب وضع في آخر سنة من نهاية نظام سينغور وعبد جــوف 1999-2000، الذين تركا آثارا بالغة الخطورة على الشعب السنغالي ديانة وعقيــدة وثقافــة وسلوكا ، واتخذ الشعب أسلوبا ونمط حياة مستوردة لا شرقية ولا غربية ولا علاقــة لها بالأصالة الإفريقية . ولا غرابة في ذلك لمن يــدري نــشأة شخــصية ســنغور والمراحل التي مر بها تربية وتعلما وتكويا ودراسة ويعرف مختلف الأوساط البيئيــة الاجتماعية التي ساهمت في خلف هذا المنتوج المزدوج المعقد نظرا لتعقد الأطــوار التي أثرت في صياغة شخصيته ونفسيته.

استطاع سنغور بمساعدة مبعوثه فرنسا والفرقة المفرنسة التي حكم البلاد معها أن يؤثر على كل شئ في البلاد سلبا ، ولم ينج من عواقب نظامه رطب أو يــابس ، انس أو جان ، وحتى الشعوب المجاورة تأثر وبسم آرائه وأفكاره و عقليته، وانهــار صرح العقيدة وأسس الدين ومبادئ الأخلاق منها جراء تيارات أفكاره الهدامة التي طمست معالم وجودنا وضوابط شخصيتنا وهويتنا الإفريقية والإسلامية.

حارب سنغور الإسلام بالإسلام وبالمسلمين، بدهاء ومكر وخدع، واقنع معظم زعماء الدين وشيوخ الزوايا والطوائف الصوفية، وأيده بعض المتورطين من حملــة الثقافــة العربية طمعا في المناصب والمزايا المادية التي يغرى ويكيد بهاالإقتنــاص الــشباب والكهول والنسوان والكبار والرطب واليابس .

استغل سنغور نفوذه والسلطة السياسية وثقافية الغربية وخبرته في فن تــسيير شؤون الدولة المكتسبة من فرنسا والغرب عموما فاستولى على السلطة وابعد عنهــا الزعامات الدينية بكذبة فصل الدين بالدولة بالعلمانية واللائكيــة بهــذه الخــزعبلات والترهات رمي بالدين وأهله في خضم اليم وغرفوا في جحيم ظلمات لجــج البحــر المتلاطم . ولا تزال مختلف هذه الزعامات والطوائف تتواطأ مع السلطة والساسة ضد الإسلام وأركانه وقوامه وأهله إذا هاهو سينغور ونظام حكمه

نظام سنغور والكنيسة:

1- المسيحية والكنيسة هي الفخ والمصيدة لإقتناص الأرواح وزجها في غيابات جب الجحود والكفر والفسق والعصيان والنفاق.

2- المسيحية مرتع المجون وقدأضلت قومنا أبادت ديارنا وأفسدت عقيدتنا وديننا وأفشلت طموحاتنا وأمانينا، وأبعدتنا عن الجادة ، وأغرت شبابنا باللهو والعلب والعبث.

3- المسيحية مكنت لسنغور والطغمة التي حكمت البلاد معه من قلع واجتزاز ضوابط وأسس وقيم الشعب، واستبدالها بقيم أجنبية لا علاقة لنا بها، ولا قبل لنا بها، ولا تنفعنا سرمدا .

4- المسيحية ديانة الردة والغزو الروحي والفكري والمادي. بها استطاع سنغور أن ينسف معالم شخصيتنا وعقيدتنا وثقافتنا وأبعدتنا عن الحق والخير والجمال، ودفن قيم الإسلام بمباركة من شرذمة قليلة عددا وكثيرة عدة، وهم الزعامات الدينية، المذبذبون والفاشلون والطماعون والمسطحيون الذين لا يتورعون ، يبيعون دينهم وآخرتهم بدينار دنياهم .

هذا هو سنغور المولود بجزيرة جيلور سنة 1906 الذي يقدسه الطبقة الضالة المخدوعة المتخلفة التي وضعت فرنسا تصميمها وأكمل سنغور صناعتها بأعجوبة في ظرف قصير من الدهر، إذ ، لم تستطع فرنسا خلال قرنين أن تنجز ما انجز سنغور في نصف قرن من إضلال وإفساد. انه اسود قاتم قصير القامة، مبنوذ الهيئة ، لا يستساغ حضور شخصه في مجلس محترم.

5- تربى في أحضان الكنيسة بجوال الكسبيل من أصحاب القبعة الحمراء الغزاة ، رسل الصليب وأكمل دراساته وتكوينه وتدريباته بفرنسا ، حيث مارس العسكرية في الحرب العالمية الثانية، ودرس الفرنسية بالمعاهد الثانوية، ورجع إلى السنغال للقيادة عن طريق أخيه المحامي و أول رئيس المجلس النيابي الأستاذ الأمين غي المتوفى سنة 1986.

وكانت أخت سنغور الشقيقة، زوجة أبي بكر وال غي أبو الأمين غي، وهـذا أساس علاقة الأمين غي بسنغور ، أضف إليها علاقات الثقافة والتربية والمـصاهرة ووراثة قيم حضارية فرنسية غربية واتحاد طموحات سياسية وهلم جرا.

6- احتل سنغور بالمكر السلطة السياسة والتشريعية والتنفيذية وانشأ المرافـق التي تلائم أهدافه وشوقه وأهدافه المسيحية، ووضع برامجه المناسب لتحقيق مراميه، ونجح فعلا نجاحا باهرا نعاني من ماسيه ونقاسى مساوئه حتى يومنا هذا في جميـع مجالات حياتنا، وفي أرواحنا ونسكنا وعقيدتنا وديننا ، ونخاف في آخرتنا منها .

7- وضعت كتاب الإعلام أساسا استنكارا لهذا النظام ، استقباحا لهذا النظام معارضة له استنفارا للهمم ، استيقاظا للضمائر استعباءا للجماهير المعنيـة اسـتنفاء للتـاريخ والأجيال القادمة ، حتى لا يخلد هذا الكذب ، هذه الخدعة ، هذا الضلال ، هذا الإفـك القديم ، حتى يعلم القاصي والداني أن أسطورة سنغور سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا وعلى انه من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان. هذه جوامع كلم رسول الله صـلى الله عليه وسلم المجمع عليه، والمرجع الثبت لمن يهتدون بهداه عليه الصلاة والسلام . ومنه شرعية اجتزاز أسطورة سنغور وخرافة نظامه الظالم.

تهمة محاولة قلب نظام حكم سنغور

ابعد سنغور محمد جاه، بتأيد من الأمين غى أخيـه ورئـيس مجلـس الأمـة وبمباركة من معظم الزعامات الدينية سنة 2 96 1وبتهمة محاولة قلب النظام السياسي ، حيث صوت المجلس النيابي على مشروع ملتمس رقابي ضد حكومة محمد جـاه، الذي منع النواب عقد جلسة, داخل مقر مجلس الأمة ، فانعقد المجلس بمنزل الأمـين وصوتوا لصالح الملتمس الرقابي وقلع محمد جاه من السلطة،

وبنفس اللعبة تم إبعاد شيخ تجان سه من طموحاته السياسي وزجه في السجن مـرتين ثم إبعاده أو نفيه من البلاد بتعيينه سفيرا بمصر للاستنفاذ نفوذه السياسية وكان محمـد جاه أداة طغى بيد سنغور في هذه اللعبة الخطرة وانتهى المطاف بطردهما وإبعادهما

، وخسر البلاد من فشلهما، ما لا يستعاد ابد الدهور ، مات سنغور بفرنسا على أرضه وتحت أحضان زوجته النورماندية كولت سنة 2000 م

ودفنت بمقبرة بل لير بجانب ابنه فليب مجلان المتوفى بحادثة سيارة على طريق المطار ليلا قبله بسنين بدكار العاصمة

9- بعد إبعاد محمد جاه وشيخ تيجان سه من ميدان السياسة والحكم، بدا فعلا في تحقيق سياسته لتغيير معالم البلاد، وذلك بسن قوانين تخول له أن يفعل ما يشاء، لان نظام الحزب الواحد ، أساس الدكتاتوريات في جميع أنحاء العالم، وهكذا صوت مجلس الأمة على عدة قوانين بموجبها الغي الحكم بشريعة الإسلام، وألغيت المحاكم الإسلامية ووظيفة القضاء الشرعي وعقد الزواج بالجوامع وسميا وقبول الأطفال بالمدارس بعد الساسة من عمرها ومنح مزايا للكنيسة ومدارسها، وحرمان مدارس القران حتى من حق الاعتراف وناهيك عن منح مزايا وتشجيعات لها .

وتأزم الوضع ، ولم يقاوم سنغور في تصرفاته وسياسته اللاوطنية إلا المستعربون والحزب الإفريقي للاستقلال PAI ومعظمهم نفوا أو زجوا في السجون ، ومنعوا من العمل في الإدارة العامة والخاصة، أو فتح ورشات ومقاولات، وكون سنغور ذئابا وكلابا شرسة لحماية هذا النظام وهم الساسة حتى الآن ، اللهم إلا عناصر المهاجر الذين وصلوا مع المعارض عبد الله واد ، وهم بالتأكيد أسوا من فرقة سنغور، لانعدام الشعور بالوطنية فيهم ولان معظمهم مزدوجوا الجنسية وشعورهم بالانتماء القومي والوطني ضئيل جدا .

10- أمر سنغور بتاريخ 25 مايو سنة 1963 م يوم تأسيس منظمة الوحدة الإفريقية بأديس أبابا ، بإعادة جميع الطلبة السنغاليين إلى ارض وطنهم من المغرب ، وذلك اثر مظاهرة عنيفة قامت بها الطلبة باللغة العربية وكان الملك الحسن الثاني معه في مؤتمر القمة بحبشة فقبل تسفير الطلبة فرحلوا من رباط جوا إلى دكار ليلا .

ثم زجوا بالسجن المدني بدكار مدة 45 يوما، قبل إخراجهم مؤقتا ريثما ينظر سنغور في كيفية نسف شملهم، وتشتيت صفهم وكلمتهم ، ونجح في ذلك نجاحا باهرا ، وذلك بشج بعض عناصر منهم في حزبه الوحيد الحاكم، ومنح بعض مزايا مادية لهم،

وسموا سياسيا باتحاد الطلبة والمعلمين المنتمين للحزب الاشتراكي PS السنغالي . هؤلاء هم الذين ضلوا وأضلوا واحلوا قومهم دار البوار ، ولا يزالون يصولون ويجولون نفاق .

كان عدد الطلبة المرحلون 92 طالبا في مختلف المراحل الدراسية، ولعب المحامي بوبكر غي لإطلاق سراحهم دورا لا ينسي، وتدخل الشيخ سعيد نور تال ، وشيخ تيجان سه واتحاد المنظمات الإسلامية، وبعض الوجهاء في الموضوع لحل المعضلة. واضطر سينغور للخضوع والرضوخ لأمر الواقع ، وانتهت الحركة بنتيجتين :

أولا : التصويت لدى مجلس الأمة على قانون بموجبه يعطى لجميع الطلبة باللغة العربية منحا ومساعدات حسب مراحل الدارسة الثانوية والجامعية والعليا ، والبدء في توظيفهم في الوظيفة العامة والاعتراف بشهادتهم بواسطة لجان خاصة مكلفة بالإشراف على هذه العملية وكان هؤلاء من اشد الناس كراهة لحملة اللغة والثقافة العربية وانخرط بعض الخرجين في سلك التعليم اثرها .

ثانيا : إعادة بعض الطلبة إلى مقر دراستهم بالمغرب حيث وصلوا جوا و فوجئوا بإعادتهم إلى السجن لان المغرب لم يكن على علم بقرار الإعادة السنغالي ثم اخرجوا بتدخل من الدكتور كمارا سفير السنغالي بالرباط بعد يوم فقط. ومن هذا التاريخ مسك سنغور بواسطة هؤلاء العملاء بزمام الأمور ، ولم يعد احد من الطلبة يستطيع أن يتحرك أو يخرج أو يعود من، والى البلاد دون مراقبة من عملائه الذين يشاركون في كل لجنة وزاوية تشرف على سير شئون التعليم والإسلام في البلاد. ولهؤلاء برامج في الإذاعة للترويج والدعاية وتبرير ظلم وجور نظام سينغور ، وهم حتى اليوم نشطون لان نظم الظلم والاستبداد في حاجة الماسة لمثل هؤلاء .

11- الانهزام : انهزم الرواد الأوائل أمام الجبار الطاغي سنغور، وقبلوا الأمر الواقع ، وقانون الظروف القاهرة وهم : المستعربون الذين طالبوا بالاستقلال وقاوموا الحاكم العام الفرنسي مع عناصر شيوعية من الحزب الإفريقي الاستقلال P.A.I الذي كان من رواده الصيدلي ماسمود جوب، والأستاذ احمد تيجان بيدي لي ، وعثمان كمارا،

وغيرهم، وكان من رواد المستعربين، الأستاذ شيخ تورى، صالح كانج، وصالح امباكى، ومام بار امباكى الحاج عمر صو، الهادي دم، على جوف ، بشير لي ، عمر ديمان جينغ، الحاج احمد تال، سرن شام امباي ، جوهر انجاي، والأستاذ مختار درامي، ومحمد صو رئيس اتحاد الطلبة باللغة العربية بالمغرب، وزعيم الحركات الطلابية، والأخ احمد عيان تيام.

وقد ذكرت هؤلاء للاستثناء فقط، حيث أن عدد أولائك الذين خاضوا غمار المعركة أكثر من أن يضمهم كتاب متواضع كهذا، وارجوا المعذرة من القصور . واقصد بالانهزام قبول هؤلاء مبادرات ومقترحات سينغور القاضية بمنحهم وظائف في الإدارة العامة وتعيين بعضهم مستشارين وسفراء ومدراء وهلم جرا ومنها تضاءلت الحركة الطلابية وانهزمت الزعامات وورثت جهود هؤلاء واو لائك الاتحاد الوطني للجمعيات الثقافية الإسلامية بالسنغال ، واتحاد المنتمين للحزب السنغالي بزعامة المصطفون الخمسة و تأبى الأخلاق ذكر أسمائهم لصرامة أحكام التاريخ وعدم جدوى ملاحقة موتى في ذمة الغيب .

الفصل السادس عشر: الختام

القصد من وضع الكتاب

هو ترجمة الأعلام السنغاليين فقط لتخليد ذكرهم وأمجادهم ومنجزاتهم المادية والعلمية والتربوية من القرون الثلاثة الأخيرة 18 ، 19 ، 20

وقد ترجمت في هذا الجزء الأول حياة ودراسات ومنجزات خمسة عشر منهم ،وكانت قائمة الذين سجلوا يفوق على المائتين وقد ذكرت أعلاما سنغاليين غير مستعربين دون تخصيص دراسة لهم، ولكن قصد مقارنتهم بالمستعربين المعاصرين لهم، أمثال بليس جاج وكالاندو ديوف وسنغور ومحمد جاه والقائد فيدربه ، بول هول ، ميز مير ، بينا لا برات وبونطت وروم ، و ذكرت من القيادة الوطنية التقليدية ، دميل امر كون صوبل ، ميس تند ، برم ، ولاتجور كون لا طرجوب ، البري انجاي ، كو مبدوفين جوف ، ساموري طوري ، ومن جمعوا القيادة الدينية والسياسية، أمثال الشيخ عمر الفوتي والشيخ احمد المهدى، واحمد شيخ تال ، وامري كون اندالك سك، احمد الأمين درام، الشيخ ديل تيام ، سليمان بال، الامير عبد القادر كان، والشيخ مختار نمب جوب، والقاضي عمر فال.

إن سمحت الظروف بترجمتهم فسوف أقوم بها خدمة للإسلام والمسلمين، وابتغاء مرضاة الله وأداء الأمانة للتاريخ، حتى لا ينسى هؤلاء أمام طغيان وجبروت الطاغية المفرنسة، الذين يعتبرون ظلما كل الأعلام المستعربين من جملة الأميين ، ويحكمون عليهم وعلى حياتهم ومنجزاتهم بالإهمال أو بالإعدام لا يعتمد عليهم، ولا يذكرون في التاريخ الرسمي للبلاد .

لهذه الأسباب أو لهذه الظلم السافر الذي يعتبر تثرا من آثار الحرب ضد التوحيد والدين الحنيف وتواصل الحروب الصليبية من القرن العاشر إلى الآن، بل الحرب الخير والشر ، الحق والباطل، الصدق والكذب ، القوي والضعيف ، العلم والجهل ، الغني والفقير.

هذه العوامل التي جرت ويلات على العالم والبشر، مثل الثورات التحررية، وحروب الاستقلال ، وحروب الاستخبارات والإعلام والإرهاب

والصحافة المرئية والمسموعة والاتصالات والظروف والمواصلات، وما تجرها هذه التقيات المقصورة من فوائد وأخطار أو صلت بنا إلى العولمة أو الشمولية بين شعوب وقارات بعضها تغزو ارض القمر وبعضها تبحث عن الماء ولقمة العيش لم تعرف بعد القراءة والكتابة، ولم تر في حياتها ضوء الكهرباء ولم تشاهد شاشة التلفزة أبدا، لانعدام العدالة بين شعوب العالم في توزيع الثروة وتسوية الأفراد ونشر التعاون والإخاء والمحبة أغرت بنا إلى محاولة إعادة الأمور إلى أوضاعها الطبيعة ، وليس بالإمكان ذكر جميع الحوافز والدوافع التي تفرض على أمثالي ضحايا النظام الاستعماري الفرنسي والغزو الفكري الثقافي الديني والمعافاة المادية من جهل وفقر ومرض وخوف وتخلف وإهمال متعمد من الطبقة المفرنسة الحاكمة كوريثة لسلطة الاستعمار اعتقد جازما أن ما ذكرت تكفي وتسوغ لي ولغيري من وضع كتاب كهذا دفاعا عن النفس وعن أبرياء أحياء أو في ذمة الغيب

والمذكورون من الأعلام المستهدفين في هذا الجزء الأول هم السادة : شيخ عمر الفوتي تال ، ابن مقداد سك الأب والابن ، شيخ موسى كامرا ، الحاج مالك سه ، القاضي مجغتي كلا ، الامام لاي تشاو ، الحاج عبد الله انياس الشيخ حماه الله الموريطان ، الشيخ احمد بامبا امبكى الشيخ احمد صغير امباي والشيخ احمد صغير لوح والشيخ احمد التيجاني سه والشيخ عبد الله سيس بجامل، ولكل من أصحاب النيات الحسنة مواصلة هذه الخدمة ويعتبرها جهادا في الله ونصرة لرسوله صلى الله عليه وسلم وابتهل من المولى أن ينتفع بها الإسلام والمسلمون انه ولي ذلك والقادر عليه ، وحتى نلتقي في الجزء الثاني إن شاء الله .

في 06 أغسطس 2007

محمد جوف بن تفسير باب البرنجي

الشيخ الحاج روحان انغوم رضي الله عنه (1859- 1955)

حياته وآثاره وعلاقاته وبعض منجزاته

أولا : حياته:

ولد العلامة الشيخ الحاج روحان انغوم بقرية امبال سنة 1859م وهو نجل الشيخ الجد علي انغوم والممرحومة جدتنا الفاضلة حواء جيي جاتي رحمة الله عليهم اجمعين . ومن الأصل البعيد والقريب نسبا وحسبا ينحدر من محتد أرومة عتيقة وكريمة وهي قبيلة (سيرير) اكبر قبائل السنغال كثثرة وانتشارا، وأقدمهم وصولا الى البقاع التي تحتلها في البلاد ، وهذه القبيلة أصلا من (نوبه) المصرية الفرعونية . وصلت إلى غرب القارة الإفريقية من اقصى شنالها ، لعوامل شتى وظروف تحتاج الى البحوث المعمقة ، وهي قبيلة زراعية فلاحية تحتم أيضا بالرعي وقد وصلت الى غرب القارة مارا بمجاري المياه إلى أن أوقفت البحر مسيرتها. وتحتل قبيلة (سيرير) مساحة واسعة بكل من اقليم تيس وجربل وغاتيك وكولخ والراس الأخضر ، وتوجد جاليات منها بفوتا طورو حيث أسسوا دولة (ساتيكه) بجلنب (دين بنكوكوبه) والدولة الإمامية للشيخ سليمان بال وهذه الأخيرة انقرضت سنة 1891 م على يد طاعون افريقيا الجنرال (فيديرب) . وكان الإمام عبد القادركان أخر اكام لهذه الدولة اغتاله الترارسة سنة 1881 .

والهام هو أن الشيخ العلامة من الأسرة المالكة (بسين وبوال) ولولا فناؤه في الالهيات اتربع على كرسي الملك بسين سالوم، واصبح (تيج) بمقاطعة بوال تلك دليل عراته حسبا ونسبا والى هذا تشير الحكمة الماثورة المنسوبة الى اليه صلوات الله وسلامه عليه " خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام". والمعروف لدى الخاص والعام هو أنه تخلى عن مزايا هذا الماضي الخالد وتحلى بأخلاقيات كبار رجال الله وتحلى باقلاقيات كبار رجال الله وتجلى ساطعا في صفوف القوم حتى قام بمدحه معظمهم . وتوفى بتاريخ 24 فبراير 1955 ودفن بمدينة (امبال) بزاويته العتيقة رحمة الله وغفرانه عليه، بعد عمر مليئ بجسام اعمال لاتقوم بمقيم لأرض وى توزن الا بقيم وموازين السماء .

وقدتوفى عن عمر ناهز (96) سنة ، وقام بتجهيز جنازته غسلا وكفنا ودفنا اقربائه . وحضره أولاد الشيخ الحاج مالك مالك سه يراسهم الخليفة أبوبكر سه ، والحاج منصور سه والشيخ أحمد تيجان سه ومحمد المنصور سه الخليفة الحاليا والشيخ مامه لوه . وادخله الخبر أقرب اقربائه الشيخ الحاج انغوم ، ووالحاج ابراهيم انغوم ، وباي مود انغوم، والحاج جاغ واد بحضور جمهور غفير صباح يوم الخميس، وقد توفى الليلة غرة شهر رجب الفرد 24 فيراير 1955 رحمة الله ورضوانه عليهن وثاه الحباب والأتباع والأصدقاء والقوم زسلطات الاستعمار الذي توصلوا بصالح دعواته المستجابة لإنهاء واطفاء نيران الحرب العالمية الثانية(1939-1945)، ومن أولائك الذين وثوهشعرا ونثرا ونوهوا على جوامعه ومساحده وزواياه وبره وإحسانه للخاص والعام : الحاج عباس سال ، والحاج أحمد صغير لوح ، والحاج تيجان نيانغ والشيخ الحبر براهيم جوب وأبنائه وأسباطه وأحفاده، وقال عنه الشاعر المفوه أحمد عيان سه قصيدة راءعة ، وكذالك الخليفة محمد منصور سه ، وعمه عبد العزيز سه والسبط المحمود الخصال محمد البشير أنغوم حفظه الله وأطال عمره.وقد قال الامام النوي شيخ جامع الازهر يرثي العارف بالله أحمد بامب الباكي لما اطلع على بعض امداحه رثاءا عميق الأثر. وذاك ينطبق على الشيخ روحان تمام الانطباق. قال: حلف الزمان لياتين بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكفري . رحمة الله وغفرانه ورضوانه عليهم اجمعين.

دراساته:

درس القرآن الكريم على يد جملة اسمية واخرى فعلية من كبار قراء القرآن بدءا بوالده الهمام أو الشيخ على انغوم بمسقط رأسه ثم ارتحل على قرية (بقيع) لدى خاله لمواصلة الدراسات القرآنية. وهذا الخال الذي كان يحمل لقب شرف (سرنج) أي شيخ بقيع هو الذي أشر على الشيخ على ضرورة الانتقال الى أرض أخرى خصبة أسس فيها قريته الجديدة وسماها (سنجب على أنغوم)

وقد لازم الخال المقرئ الكريم : الشيخ (مادمبه مرم جاج جي) حتى حفظ على يده .وبعد وفاته رضي الله عته ارتحل الى مدرسة الشيخ (ماسوكي صال) بقرية بار

سال حيث بقي سنوات لدراسة وتجويد ورسم كتاب الله ، ودراسة علوم الدين. وهنا تلاقى مع كثير من رواد علوم القرآن والتوحيد والفقه والقصص وتبحر بهذه العلوم ، وكان معروفا بحسن الصوت وعند ما يقرأ القرآن المستمعون يبكون دون شعور لحلاوة وطلاقة وحسن الأداء ما أحسنه وأكرمه ، ولله في خلقه شئون.

ومن جملة من تلاقى أو تعارف معهم في هذه الرحلة العملية الشاقة ساعده الأيمن أخيرا : الشيخ الأمين سارغي ، ولذالك بين القريتين (بجاس وكربار سال) تعارف مع الشيخ الحاج مالك سه رضي الله عنه ، وكان يتردد هو أيضا بين القريتين لأغراض شتى منها : الزراعة ، والد راسة والتربية ، والتربية الروحية من شيوخ تلك البقاء المقدسة . وبعد برهة اشتدت أواصر المحبة ووشائخ الألفة وعرى الثقة بين الرائدين السالكين نهج القوم العظام وانخرط الشيخ روحان أثناء هذه المدة في سلك الطريقة الأحمد المحمدية الأبراهيمية الحنفية التجانية ، ربما قبل التقائه بالشيخ مالك ، وربما على يده ، وعلى كل فقد تتلمذ منه ونسب نفسه اليه ولازمه وخدمه وتفانى في خدمته أكثر من غيره حتى أقر واعتف بأسبقيته وفضله على غيره شيخ زمانه وبرهان عصره القرم الصنديد الحاج مالك رضي الله عنه . وكان الجمهور يتعجبون منه بينما كان هو يتعجب من الشيخ روحان دوما والام هو سلوكه في طريقة القوم وهم أهل الله بيد من لاأحد يباريهم في المجال منهم الحاج مالك سه لشدة معلقه وعلاقته به ولكن ذوي قرباه يذكرون الشيخ {جيرنو صامب باه } رضي الله عنهم . وقد أنهى دراساته القرآنية والعلمية والروحية ثم رجع الى قرية والده { سنجب علىانعم } لمزاولة مهام عدة منها الزراعة مع والده وتدريس القرآن وعلومه . وشاع صيته في الافاهم . وازدحم الناس ببابه وبقي ثم حتى أقنعه الشيخ مالك سه بضرورة الهجرة الى قرية { أمبال} سنة 1910 حيث أسس زاوية للتربية والتعليم والترقية ، وهناك يحسن الاشارة الى كونه رضي الله عنه من كبار باني الزوايا وكبار أئمتها بل هو زعيمهم و بيده قصب السبق في المجال ويمكن العودة الى زوايته بمدينة {اندر }وتمويلاته الغزيرة لزوايا الحاج مالك في طول وعرض البلاد . تلك هي الحقيقة والحق يقال : انه في هذا المجال فاق القرن والأقران .فالعبارت ، والاشارات ،

والرموز والمدائح وأوسمة الشرف التي توج بها أكتاف شيخنا يصعب ذكرها في سفر ضخم ، لذا نستغني بالاشارة اليها ، اعتبار أنها من المعلوم لدى الخاص والعام . والأعجب من كل هذا ، هو اقناع الجميع بما قيل عنه موحا وغمرما فيه من اسهاب واطناب وصرف واعراب : ان في الأمر مافيه . قال كبار علماء عصره وأدبائه وفقهائه ومربيه وحتى الجهلاء أن الشيخ روحان فوق كل اعتبار، ولايباري بأحد قولا وفعلا وخلقا وخلقا ، هذا بكل تواضع ، وهو الذي بحق وصدق ونزاهة وجدارة تخلى وتحلى وثجلى ولم ينازع ولم يبارز ، ولم ينافس ولم يقارع لأسباب معترف بها منها تفوقه حلما وعلما ، فقها وأدبا وغنما وكرما خلق خلقا ، عدلا وتقوى هذه في الجواهر الخمس في الضرورات والحاجيات والكماليات ما سابق القدم الدهر لشيئ في مجال الخير أل نال فيه مرتبة الشرف الأول لله دره لله دره ولا اريد التوغل في الاهيات والخلاقيات والكشوف لكونها مجالا لغيري من أهل الزهذ والتقوى ، الذين ذاقوا شراب القوم زارتووا من مشاربهم لعلهم يذكرون لنا تفضلا بعض ما عرفوا من فضائله الجمة واكراماته وسرعة استجابة دعونه ، لله دره

<u>ثالثا: علاقاته</u>: تربى الحاج روحان انغون على يد ذوي قربا بدا بوالده الفاضل الخيري الشيخ على أنغوم وخاله المقري القرم الهام الشيخ (ماديمب مرم جاجي) ولهم قصب السبق وفضله وهو ما عبر عنه الحريري في بعض حكمه ولطائفه وفكاهاته " فلو قبل مبكاها بكت صبابة * بسعد شفيت النفس قبل التقدم

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

فأجاب المتقولون بقولهم: الفضل لا للمتقدم ولا لمتأخر بل لمن فضله الله . مصداق قوله تعالى بسورة الحديد الآية 21 " لئلا يعلم أهل الكتاب الا يقدرون على شيئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم"

لمعرفة مرتبة الحاج روحان ومقامه لدى معاصريه يحسن الرجوع إلى شهاداتهم وبالأخص كتاب تحفة الاخوان للشيخ العلامة أستاذ عصره وعميد القراء الشيخ ابراهيم جوب إمام زاوية الحاج مالك سه بمدينة (اندر) المحروسة

الشيخ ابراهيم جوب درس القرىن لدى شيوخ (جندير) حيث ولد بقرية (جغرات)

ودرس الفقه أساسا بمدينة (برج) لدى العلامة (تيرنو يرو انجاي) ثم ارتحل والتحق بركب الحاج مالك سه وأكمل الفنون التي كان نادر الحصول والفهم على يد هذا الشيخ الكريم رضي الله عنهم وقد اسهب مدحا على اخيه في الله وفي محبة الحاج مالك سه في ذلك الكتاب ، وما أرواه يقلد تلك الأوسمة لغيره لأن الشيخ ابراهيم كان من أولي العزم والحزم والتشدد ولا يقول في احد غلا ما كان ولا يخاف في الله لومة لائم، وربما يقال أنه لم يمدح غيره قط. ونصف علماء العصر بالسنغال من جميع الجهات تلامذوه ودرسوا بعض فنون العلم عنده. أما الشيخ روحان الدوحة فيمكن وضع قائمة نسجل فيها مئات من علماء البلاد ومن جميع المشارب والطرق أجمعوا بفضله وأمطروا عليه وابل مدح وشكر ، بل ما قال عنه الحاج مالك سي لم يقله في أحد سوي الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وذلك كاف في حقه رضي الله عنه فخرا ومدحا.

رابعا: شهادات أهل عصره

أ – قال عنه الشيخ ابراهيم جوب اندي إمام وعميد زاوية الحاج مالك سه في ترجمة علماء وادباء واتقياء واتباع شيخه " إن الشيخ روحان هو العرف بالله الذي جرت ينابيع المعرف من صدره ، وأن أمواج بحر العلم تتلاطم في قبه وهو التقي والقدوة الكبيرة ، العرف بالله الدال عليه في سره ونجواه، وابو المحامد والمكارم والسيد" ومولده ومقره هو مقاطعة كانجول ول مثيل له في تلك الجهات وأن الشيخ القرم الصنديد روحان " أحد خلفاء الشيخ هناك"

ب – ولهذا السبب اجمع القوم بعد وفاة الحاج مالك سه 1922 م على ان الشيخ روحان هو الذي يتولى الخلافة ولكن زهذه وتقواه وتقدم سنه حال دونها، فتنزه عنها وأشار إلى كبير أولاد شيخ فتبعه القوم بالسمع والطاعة.

جـــ – اجمع القوم على أن الحاج مالك قال ونصح الأتباع أن من أراد أن يعطيه هذية أو ياخذ منه الورد التجاني ولم يره او لم يتمكن من الوصول إليه فليعط الهدية للشيخ روحان وليأخذ الورد الورد منه.

فهذه عند القوم وصية اختيارية يجب سدادها وتصفيتها قبل توزيع التركة العصبة

وذوي الفوض. والهام هو أنه من خلقاء صاحب الرسالة فضلا عن غيره لأن امر الخلافة وعدد الخلفاء بعدد النجوم في كبد السماء والمعروف من خصاله : التاني والتبصر والصبر والحزم والعزم والسخاء والجود والكرم والحياء وحب الله ورسوله والإخلاص والتفانيوكثرة العبادة وحسن الداء بالذكر والشكر وكتاب الله يتنقل بكل القران في ركعتين . أما الانفاق مما جعله الله مستخلفا فيه ، فهو البحر من أبى النواحي أتيته / شعر ابو تمام : فلجته المعروف الجود ساحله

تعود بسط الكف حتى لو انه * ثناه القبض لم تعطه أنامله

فالقرآن يتلأ كل يوم بزاويته منذ مائة سنة هذا دليل صحة ما شهد به الشاهدون من مشارث الأرض ومغابها.

خامسا: علاقات خاصة ببعض خواصه

من البدهى أن تكون العلاقات بين أهل طريقة صوفية علاقات متميزة ،مثل تلك التى كانت تربط الاخوة في الله الحاج عباس صال ،والحاج مامور انجاي والحاج تيجان انيانغ وأولاد الحاج مالك واخوته مثل الشيخ مور قج سه بالشيخ روحان الدوحة .

وكانت هناك علاقات أمتن تربطه بمعاصريه الذين يقاربونه سنا ، أمثال الشيوخ ماصمب بك ومحمد المصطفى بك والسادة : عيسى لاي تشاور ، والشيخ عيسى أديان . وكان يمتنع أن يكون له مريدون وتلامذة أتباع بل فضل واستغنى بالاخوة والأحباء والأصدقاء وكانوا مثل الكواكب عدة . ويبدو أنه ، خوفا من منافسة شيوخ العصر في المجال لم يستعمل قوة وجاذبية الجلب والسلب والطرد والقهر لكسب الجمهور والرواد وكان ينسب الى شيخه بعض الكشوفات والخوارق التى تظهر منه تواضعا وتنزها من هذه الخصوصيات ورغم سرعة الاجابة المعهودة لديه ، لم يدع قط بشيء يشبه الدعوة الى ولاية وما أبدى سطحات ولم يسخط في كلمة تصرف . وكان في أسفاره العديدة بين الآفاق ينزل في المساجد خوفا من حمل الناس على المنافسة ويقول عبد الله ينزل بيت الله ، وربما يتحمل أعباء الضيافة رأفة ورحمة بعباد الله ، ويمكن القول بأن محل اقامته وعنوانه الثابت حيثما وجد فهو المسجد حتى في مدينة أمبال المحروسة رضي الله عنه .

آثاره ومعجزاته

يبدو لي أنه رضي الله عنه كان شيخ تعليم وتربية وترقية أكثر من شيخ قلم يقول الشعر ويكتب القصائد وينشر الكتب نثرا ، بينما حفاظ القرآن وقراؤه تخرجا على يديه أفواجا جيلا بعد جيل ، وكذلك ضبضنا جملة من شعراء وفقهاء وأدباء من مجالسه العلمية بزواياه العديدة وخاصة أولاده الكرام فهم جميع أهل قرآن وفقه وأدب وحتى الأحفاد والأسبات شاهدنا فيهم ينابيع علم وفضل واحسان وربما الدر من معدنه . وخلاصة القول في هذه النقطة هو أنه فضل أن يكون علماء أدباء فقهاء شعراء وأئمة بدلا من أن يكون هو المطاع ، فسره لايترأى لى العقلاء .

وباعتبار المساجد والزوايا هي أماكن التعليم والتدريس والتربية والعبادة ، فقد أعتني بها عناية فائقة وقام ببناء ثلاث زوايا مشهورة في امبال واندر وفاس وقصر ضيافة بمجهوداته الخاصة . كما يجدر الاشارة في هذا الموضوع أنه سنويا كان أكبر منتج زراعي في مقاطعته دون نزاع وبدون شك أيضا كان أكبر المحسنين لجهات البر والاحسان في الحل والترحال يعتبر ملجأ الفقراء واليتامى والمساكين ويرافقه المعروف في تنقلاته لهذا ما كان يسعه الا المساجد .

ويمكن الضبط دون خطا أن حباة الشيخ روحان مليئة بجسام وجلائل أعمال في كل مجالات الخير والبر والاحسان . وهو مجال الانتاج فريد في منطقته وفي التربية والتعليم والارشاد امام القوم ، وفي مجال بناء مرافق ومراكز للعبادة فلم يبارز وقد أنفق في الله قبل التحاقه بالرفيق الاعلى كلما جعله الله فيه مستخلفا .

جزاه الله عنا وعن الاسلام خيرا يجازي به المحسنون .